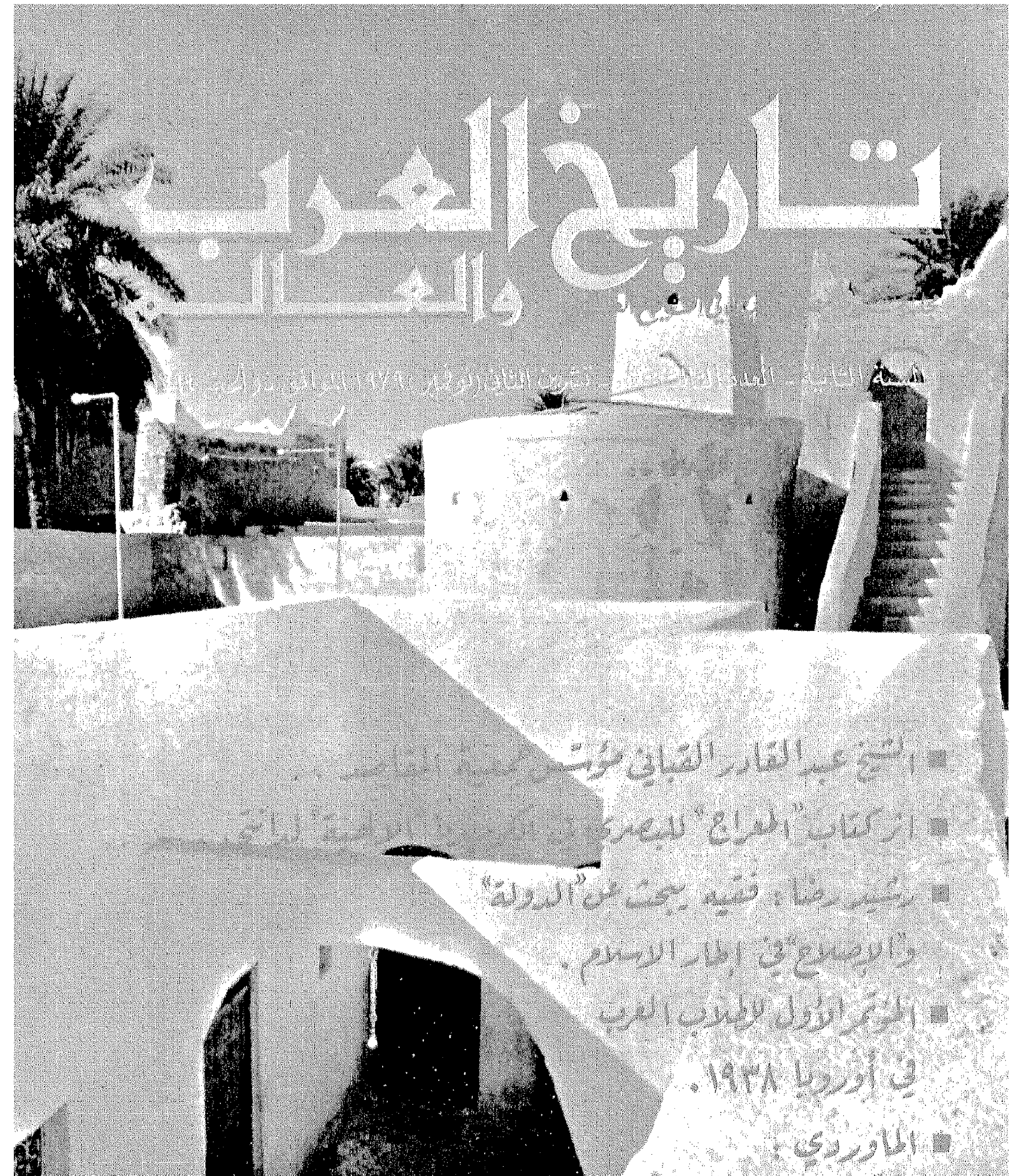


تاريخ العرب والعالم

السنة الثانية - العدد [illegible] - تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٩ [illegible]

- الشيخ عبد القادر القباني مؤسس [illegible]
- من كتاب "المعراج" للبصري [illegible]
- رشيد رضا: فقيه يبحث عن "الدولة" والإصلاح في إطار الإسلام.
- المؤتمر الأول للطلاب العرب في أوروبا ١٩٣٨.
- الماوردي: منظر الإدارة العباسية في العصر البويهي
- بطل الوحدة الإيطالية: غاريبالدي.



بسم الله الرحمن الرحيم وعليه توكلي

في صدر الكتاب	في ذكر وصايا بقراط وغيره من قدماء المتطببين
في الرؤوس الثمانية التي ينبغي ان يعلم قبل قراءة كل كتاب	في قسمة الطب
في معرفة الاسطقسات وماهيتها	في سبعة أصناف المزاج
في العلل التي ينقسم اليها كل واحد من أصناف المزاج	
في تعرف مزاج كل واحد من الاعضاء الخاص به	في تعرف مزاج الدماغ
في تعرف مزاج العينين وسائر الحواس	في تعرف مزاج القلب
في تعرف مزاج الكبد	في تعرف مزاج الانثيين
في تعرف مزاج المعدة	في تعرف مزاج الرئة
في تعرف مزاج جملة البدن	
في تغير المزاج من قبل الاسنان	في تغير المزاج من قبل الذكورة والانوثة
في تغير المزاج من قبل العادات	

المسجد العتيق
في غدامس
"الغلاف الخارجي
١"راجع مقالة - مل
الوطن العربي - ليبي
ص ٤١

صورة الفهرس
من مخطوطة
كامل الصناعات
لعلي بن عباس
(راجع مقالة "تار
الطب العربي" ص ٤



السنة الثانية
العدد الثالث عشر
تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٩
ذو الحجة ١٣٩٩ هـ

تصدر عن دار النشر العربية في منتصف كل شهر

رئيس التحرير : فاروق البربير   المستشار : د. أنيس صايغ

المدير المسؤول : محمد المشنوق

ص.ب : ٥٩٠٥ - بيروت ، لبنان
بناية أبو هليل - شقة ١١
شارع السادات - تلفون : ٨٠٠٧٨٣

الإعلانات
تسام : الشركة العربية لإنماء الإعلانات
ص.ب : ١١/٦٨٨ - بيروت . لبنان

الإخراج
مطبعة المتوسط ش.م.ل.

التوزيع
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات

ثمن النسخة

لبنان :	٤ ل.ل	سوريا :	٦ ل.س
العراق :	٧٠٠ فلس	ليبيا :	٨٠٠ درهم
السعودية :	٧ ريال	الكويت :	٥٠٠ فلس
الأردن :	٥٠٠ فلس	أبوظبي :	٨ درهم
دبي :	٨ درهم	قطر :	٧ ريال
البحرين :	٧٠٠ فلس	المغرب :	٥ درهم

الإشتراكات

في لبنان	٥٠ ل.ل
المؤسسات والدوائر الحكومية	١٥٠ ل.ل
في الدول العربية	٧٥ ل.ل
في أفريقيا وأوروبا	١٠٠ ل.ل
دول العالم الأخرى	١٥٠ ل.ل
المؤسسات والدوائر الحكومية في العالم العربي	٣٠٠ ل.ل

HISTORY OF THE ARABS AND THE WORLD

EDITED BY FARUK BARBIR
A MONTHLY ILLUSTRATED
MAGAZINE PUBLISHED FROM
SADATE ST. ABOU HLEIL
BLG. P.O.B. 5905
Tel.800783
BEIRUT, LEBANON

VOL. II
No. 13, Nov. 1979
PRICE : 4 L.L.
ANNUAL SUBSCRIPTION :
50 $ IN NON-ARABIC
SPEAKING COUNTRIES

«تاريخ العرب والعالم» في عامها الثاني

بهذا العدد تدخل «تاريخ العرب والعالم» عامها الثاني مسلَّحة بخبرة عامها الأول وبرصيد من الثقة منحها إياها أصدقاؤها وقراؤها وكتّابها. وإذا كانت «تاريخ العرب والعالم» من ناحية الكيف، قد بذلت كل ما تستطيعه من جهد، خلال عامها الأول كي تتفاعل بالكلمة الحرة والرأي والتحليل والموقف والمناقشة مع جهود المناضلين العرب في نضالهم لبناء غد عربي أفضل، فإنها بالخبرة المكتسبة ورصيد الثقة تشعر بأن قدرتها على التفاعل وعلى التأثير قد تضاعفت.

وإذا كانت «تاريخ العرب والعالم» من ناحية الكم، قد تمكنت خلال عامها الأول ان تكسب آلافاً من القراء والاصدقاء والموجهين والناقدين، استطاعوا باحتضانهم الحار لها أن يحطموا ارقاماً قياسية في ميدان التوزيع وينتصروا لقضية الصحافة المتخصصة الجادة والملتزمة بطموحات وتطلعات المواطن العربي، فأنها بالخبرة المكتسبة ورصيد الثقة تثق بأنها ستكسب في العام الجديد مزيداً من الاصدقاء الجدد.

لقد جرت العادة في مناسبات كهذه، ان تلقي المجلة بعض الاضواء على الصعوبات والعراقيل التي واجهتها وتواجهها. وأن تبرر، بالتالي، تقصيرها في بعض المجالات. بالنسبة لنا، اننا نعترف، بكل صراحة، بأننا كنا واعين كل الوعي للصعوبات التي ستعترضنا، وكنا مدركين بأن المهمة ستكون شاقة وعسيرة، وان الانطلاق لن يكون سهلاً..

كان طموحنا ان تدخل «تاريخ العرب والعالم» جميع الاقطار العربية بدون استثناء.. وهذا ما حصل بالفعل مع بعض الاستثناءات، ولاسباب لا تمت إلى نهج المجلة العلمي.. كان هدفنا، ولا يزال، أن نخاطب امة مترامية الاطراف تمتد من الخليج إلى المحيط.

كنا نشعر بأن رسالتنا المتواضعة، يجب أن تصل إلى الجميع، إلى العامل في مدينة فاس وإلى الطالب في مدينة المنامة.

كان طموحنا، بعد الانقلاب الكبير والمذهل الذي حصل في الصحافة، أن نتحرر مادياً، لنستطيع ان نقدم للقارئ العربي عملاً علمياً وصحفياً ناجحاً، يمكننا من اداء رسالتنا على الوجه الأكمل. في هذا المجال، وبكل صراحة، فأن نجاحنا لم يكن كاملاً. وهذا ما يدعونا إلى بذل المزيد من الجهد واقناع بعض الحكومات العربية ومختلف المؤسسات الثقافية في الوطن العربي، بأن دعم المؤسسات الثقافية التي تتعاطى نشر المجلات المتخصصة العلمية هو اجدى وانفع على المدى الطويل.

لقد حاولت «تاريخ العرب والعالم» بمنهاج علمي ونظرة موضوعية، أن تمارس خلال العام الماضي التزامها نحو المواطن العربي من خلال تركيز جهودها الجماعية لتقديم صورة حقيقية وشاملة لتاريخ العرب مع كل ما صاحب ذلك من ايجابيات وسلبيات معاً. وذلك بهدف ان تساهم بتحديد نوعية وابعاد الأرضية الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية لتجربة انسانية جديدة.

وعلى هذا الأساس تضمنت الدراسات الأساسية «لتاريخ العرب والعالم» في اعدادها الاثني عشر خلال سنتها الأولى دراسات تمحورت حول موضوعات التاريخ القديم والوسيط والحديث، وبصورة أساسية حول موضوعات التاريخ العربي في جوانبه الحضارية والتراثية، مع مراعاة للتنوع القطري من جهة وتركيز الاهتمام والانظار على بعض الاقطار العربية من جهة ثانية (مثلا فلسطين ولبنان).

وإذا كانت هذه الدراسات قد افتقرت أحياناً، إلى شيء من التوازن من حيث الموضوعات والاقطار،

فأن مجلة «تاريخ العرب والعالم» قد حاولت سد هذه الثغرة من خلال اعتماد باب «ملف الوطن العربي» حيث تضمن كل ملف معالجة عامة لتاريخ قطر من الاقطار العربية الشقيقة. وتأمل المجلة متابعة هذا الخط في عامها الثاني آملة ان تتلقى التشجيع والمساهمة من الجهات التي يهمها توسيع هذا الباب واستمراره.

وإذا كانت هذه الدراسات الرئيسية قد شكلت العامود الفقري «لتاريخ العرب والعالم» في عامها الأول، فلقد صاحبته، في الوقت نفسه، دراسات وابحاث وترجمات وتحليلات عن قضايا دولية وذلك بهدف الاسهام في تأكيد اتصال وموقف المواطن العربي من واقع الحياة حوله، في مجتمعه ووطنه وعالمه على السواء. كما قدمت «تاريخ العرب والعالم» ابحاثاً تاريخية عالجت مواضيع طريفة، تحظى باهتمام قطاعات كبيرة من المثقفين والطلاب، كتاريخ الشطرنج والرياضة والفنون، والطوابع، الخ...

واليوم.. ماذا عن العام الجديد.

لقد انتهت «تاريخ العرب والعالم» بعد دراسات جماعية وافية لاتجاهات ورغبات القراء ومسؤوليات الموقف الراهن، محلياً وعربياً وعالمياً إلى وضع خطة عمل وأهداف سنتها الثانية.

ويمكن أن نلخص هذه الخطة وأهدافها في النقاط الرئيسية التالية:

● ستضاعف «تاريخ العرب والعالم» من جهودها لاعادة بحث وتقويم تاريخنا وتراثنا القومي وثقافتنا وفنوننا على أسس علمية وبمفهوم قومي، وذلك بهدف المساهمة في الوصول إلى رؤية موضوعية وعلمية واضحة لتطورنا القومي والحضاري والانساني، وتدعيم تيار الثقافة القومية الانسانية بكافة صوره.

● بدافع من التزام «تاريخ العرب والعالم»، بالمساهمة بتكوين كادر تاريخي جديد في الحقل الصحفي المتخصص، ستواصل «تاريخ العرب والعالم» تجنيد طاقات متجدّدة بالاضافة إلى الطاقات الجديدة التي ساهمت معها، مساهمة ايجابية، خلال السنة الأولى. وسوف تستمر «تاريخ العرب والعالم» في انتهاج سياسة الباب المفتوح امام جميع الاقلام القومية الحرة.

● ستعمل «تاريخ العرب والعالم» على تشجيع «الكتابات الحرة» التي تتوخّى البحث العلمي الموضوعي، وترحب بأي بحث يرد اليها في حدود لا تتجاوز ١٥٠٠ كلمة.

● ستطرق المجلة موضوعات تاريخية عالمية لم تطرقها في عامها الأول كموضوعات من تاريخ الشرق الأقصى والبلدان الاسلامية الشرقية، ومن التاريخ الأميركي والأوروبي.

● ستخصص المجلة باباً لنشر الوثائق التي تلقي اضواء على تاريخنا، ان من حيث جدتها أو من حيث ضرورة اعادة قراءتها، وذلك بعد استخلاصها من مراكز المحفوظات أو استخراجها من كتب وثائقية لا تتوفر بسهولة للقارئ والباحث.

واننا إذ نشكر جميع الذين ساهموا في معالجة الموضوعات التي نشرتها المجلة في عامها الماضي، نتمنى عليهم الالتفات إلى هذه الموضوعات كما نتمنى من جميع الكتّاب والباحثين في كل أنحاء الوطن العربي تزويدنا بأبحاثهم واقتراحاتهم وملاحظاتهم.

وإذا كان الواجب يقضي ان نقوم بنقد ذاتي لنرى حصيلة «تاريخ العرب والعالم» في عامها الأول، فأن نظرة تلقى على ما نشرته خلال هذا العام ترينا ان «تاريخ العرب والعالم» ان كانت لم تبلغ في ابحاثها ودراساتها المستوى الذي ينبغي ان تبلغه وان كان ثمة تقصير وهنات في بعض الأحيان، فشفيعها في ذلك جهدها الصادق الأمين وسعيها الدؤوب إلى الافضل في خدمة ثقافتنا العربية.

وبعد.. ان «تاريخ العرب والعالم» ستواصل التقدم خلال عام ١٩٨٠، بنفس مناهجها العلمي، ونظرتها الموضوعية، وجهدها الجماهي، وثقتها التي لا تحد في شعبها العربي..

ونأمل من خلال ذلك ان نساهم، بكل تواضع، في انارة بعض معالم الطريق نحو غدٍ عربي أفضل.

«اسرة التحرير»

في هذا العدد

● المقالات الواردة توزّع حسب التبويب الفني للمجلة. ولا علاقة لذلك بمكانة الكاتب. مع حفظ المكانة الاجتماعية للكتاب. تراعى في الألقاب الصفات العلمية فقط.

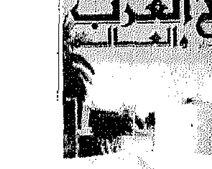
الموضوع | الصفحة

● المقالات والدراسات تُرسَل باسم رئيس التحرير على عنوان المجلة: ص.ب ٥٩٠٥ في بيروت.

● المقالات والدراسات التي تُنشَر لا تعبِّر بالضرورة عن آراء المجلة.

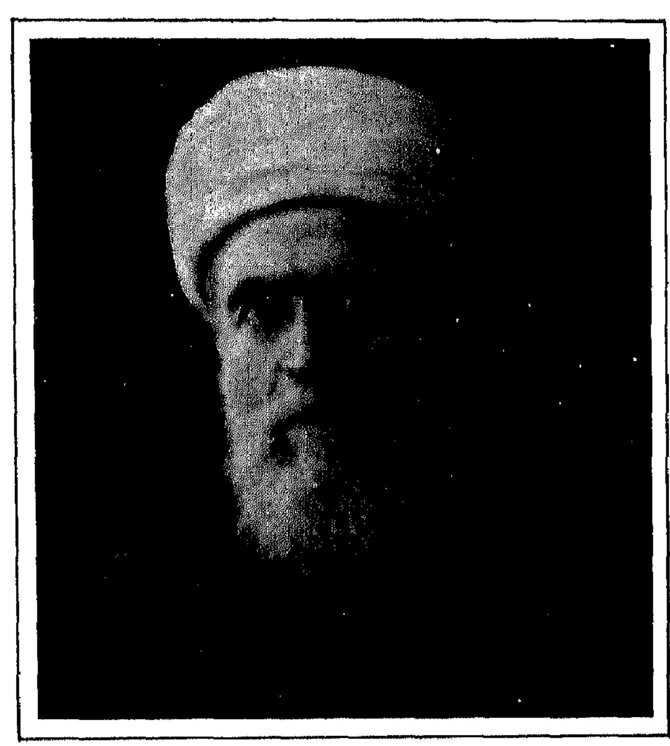
● المواد الواردة إلى المجلة لا تُردّ إذا لم تُنشَر.





راجع مقالة
ملف الوطن العربي
«ليبيا» ص ٤١

الشيخ عبد القادر القبّاني



مؤسّس جمعية المقاصد الخيريّة الإسلامية في بيروت

د. هشام نشابه



من الناس من يستأثر بالاهتمام ويملأ الأعين والأفكار طالما هو على قيد الحياة، فاذا مات قلبت صفحته وطوي ذكره. ومن الناس من يعيش مغموراً طوال حياته لا يدرك مقامه إلا القلة النادرة، فاذا مات وانتهى وظن المرء ان النسيان سيلفه فاذا به يؤثر في الناس بعد مماته فيعترفون بفضله ويرفعون اسمه وينزلونه المنزلة التي ضنّ بها عليه معاصروه. ومن أمثلة هؤلاء وأولئك نماذج عديدة في تاريخ كل امة.

غير أن ثمة فئة ثالثة من الناس، شغلوا معاصريهم، واثروا في حياتهم، فاذا مرّت على وفاتهم اجيال وسنين، عاد الناس اليهم، ليكتشفوا جوانب جديدة من حياتهم، ادرك بعضها معاصروهم ولم يدركوا منها جوانب أخرى. فكان على اجيال لاحقة أن تعيد النظر لتتبين هذه الجوانب وتظهرها، خدمة للتاريخ وانصافاً لرجالاته، من جهة، وتعرفاً إلى العوامل الخفية الفاعلة في حياة المجتمعات، من جهة أخرى.

هذا الصنف الثالث من الرجال هم أكثر الناس أثراً في تطور المجتمعات، لأن أثرهم فيها لا يقتصر على فترة زمنية معينة، في رقعة جغرافية معينة، وانما يبقى اثرهم على مرّ الزمن. وهم بعد ذلك طبقات يتفاوت قدرهم وفقاً للمقاييس المعتمدة في تقويمهم.

والشيخ عبد القادر القباني في لبنان واحد من رجال هذا الصنف الثالث. فقد عاش حياة مليئة بالنشاط الفكري والعملي جعلته محوراً من المحاور السياسية والاجتماعية والثقافية في مجتمعه. ثم ترك مؤسسات ما تزال، بعد ما يزيد على مئة عام من تاريخ تأسيسها، متأثرة بافكاره، فاعلة، ناشطة في مجتمعه. فعنايتنا به اليوم هي بدافع التقدير لأعماله التي ما تزال تتفاعل مع المجتمع اللبناني حتى اليوم وتؤثر فيه.

ولا بد من الاعتراف بأن هذه الأعمال لو لم تجد من يتعهدها من بعده باخلاص، لما استطاعت ان تستمر إلى يومنا هذا. ولكن من الواجب التأكيد أيضاً أن هذه الأعمال لو لم تكن ذات أساس صالح وقابل للتطوير لما وجدت من يتعهدها بالعناية اصلاً.

وان من حسن الطالع أن يأتي هذا الحديث عن الشيخ عبد القادر القباني في العام الأول بعد المئة في التقويم الميلادي من حياة جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت التي كان للشيخ القباني الفضل الأول في تأسيسها. ولئن حالت ظروف الحرب اللبنانية دون احتفال هذه الجمعية بعيدها المئوي في الوقت المناسب، فلعل هذا المقال ان يكون اسهاماً متواضعاً في احياء هذه الذكرى الطيبة لأكبر جمعية تربوية واجتماعية اسلامية عرفها العالم العربي في تاريخه الحديث.



سليم علي سلام ١٩٠٩-١٩١٤.



سماحة الشيخ عبد الرحمن الحوت ١٩١٨.

نسبه :

ولد الشيخ عبد القادر سنة ١٢٦٤ للهجرة (١٨٤٧ للميلاد) وهو ابن مصطفى آغا بن السيد عبد الغني القباني المنتسب إلى الامام زين العابدين حفيد الامام الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم. وهو كما نلاحظ نسب شريف. غير أن منذ أواخر العصر العباسي اختلطت الانساب الشريفة إلى درجة جعلتها تفقد الكثير من المعاني التي ارتبطت بها أيام الصحابة والأمويين والعباسيين. يذكر كتاب بحر الانساب أن آل القباني جاؤوا اصلاً من الحجاز، ثم انتقلوا منه إلى العراق، ومنه إلى بلاد الشام، حيث استقروا في مدينة جبيل في القرن الحادي عشر الميلادي. ولا نعرف عن عائلة شيخنا القباني شيئاً قبل



سماحة الشيخ مصطفى نجا ١٩١٨ - ١٩٣١.



محمد الفاخوري ١٩٣١ - ١٩٣٣.

القرن التاسع عشر الميلادي (الثالث عشر الهجري) فلا يأتي المحبي في خلاصة الأثر[١] على ذكر رجل نستطيع أن نثبت صلته بالشيخ القباني، وكذلك الأمر بالنسبة للمرادي[٢].

فيبقى كتاب بحر الانساب المرجع الوحيد الذي استقينا منه المعلومات عن عائلة القباني قبل النصف الثاني من القرن التاسع عشر. يقول صاحب هذا الكتاب أن جدّ الشيخ عبد القادر كان يعرف باسم مصطفى آغا وكان في الجيش الموالي للدولة العثمانية والذي وقف في وجه ابراهيم باشا عندما جاء لفتح بلاد الشام. وانه جرح اثناء القتال ووقع في الاسر وارسل إلى مصر. ولكنه تمكن من الهرب من مصر إلى الاستانة لينضم إلى جيش السلطان العثماني. وقد تأثر ابراهيم باشا لما عرف بهرب مصطفى آغا من مصر، فاقتص من عائلته التي كانت مقيمة في جبيل، ونفاها إلى جزيرة قبرص. ونحسب ان هذا النفي وقع في أوائل الثلاثينيات من القرن التاسع عشر. ولم يعد آل القباني من منفاهم إلى الساحل الشامي الا بعد جلاء المصريين عنه، أي حوالي سنة ١٨٤٠. غير أن المؤكد ان آل القباني لم يذهبوا إلى جبيل بعد عودتهم من المنفى وانما جاؤوا إلى بيروت حيث اقاموا، وما زالوا فيها إلى يومنا هذا.

نشأته:

لا نعرف الا النذر اليسير عن حياة الشيخ عبد القادر قبل عام ١٨٧٠م/١٢٨٧هـ. سوى أنه درس في المدرسة الوطنية التي أسسها المعلم بطرس البستاني (١٨١٩-١٨٨٣) سنة ١٨٦٣ في بيروت. ولا شك ان انتسابه إلى هذه المدرسة ذات النزعة «الوطنية» والنظام القريب إلى انظمة المدارس الغربية، في زمن كان التعليم التقليدي العثماني هو السائد في البلاد، ترك اثراً ثابتاً في الشيخ القباني، ولفت نظره إلى أهمية المدارس وضرورة تطوير مناهج التدريس فيها. ذلك أن مدرسة البستاني كانت ذات نزعة وطنية وعربية بعيدة عن التبشير الذي كان السمة المميزة للمدارس الحديثة في ذلك العصر.

وبعد «المدرسة الوطنية» درس القباني على كبار علماء بيروت في عصره. نذكر منهم الشيخ عبد القادر الخليلي والشيخ يوسف الاسير، والشيخ محي الدين اليافي والشيخ ابراهيم الاحدب وغيرهم ممن اصبح فيما بعد من المتعاونين معه في مشاريعه العامة.

«ثمرات الفنون» ودورها الطليعي

وقد برز اسم الشيخ القباني لأول مرة سنة ١٢٩٠هـ/١٨٧٣م. عندما انضم إلى «جمعية الفنون» التي كان يرئسها الحاج سعد حمادة. وكانت غاية الجمعية «خدمة الفقراء ونشر المعارف» وكان لها الفضل في شراء المطبعة التي اصدرت صحيفة ثمرات الفنون، فارتبط اسمها باسم الشيخ القباني، باعتباره صاحب امتيازها. وكان صدور أول عدد من الثمرات في ١٥ ربيع الأول ١٢٩٢هـ الموافق ٢٠ نيسان ١٨٧٥م.

ولثمرات الفنون شأن خاص ومميز في تاريخ الصحافة العربية في بلاد الشام في أواخر القرن الماضي.

ذلك انها اعتبرت فور صدورها لسان حال المسلمين في بيروت. وهذا الاعتبار راجع بالدرجة الأولى إلى أن عدداً من الصحف التي صدرت في ذلك الوقت كانت مرتبطة بمؤسسات تبشيرية. مثال ذلك صحيفة البشير لسان حال المؤسسات التبشيرية الكاثوليكية وكوكب الصبح المنير والنشرة الاسبوعية التي كانت تصدرها الارساليات البروتستنتية.

وقد اتهمت الثمرات بأنها مسخرة للدولة العثمانية غير أن تاريخ الصحيفة يثبت انها كانت صحيفة حرة بعيدة عن التعصب أو التبعية. ولو استعرضنا ما حوته صفحاتها من مقالات في شتى المواضيع السياسية والاجتماعية لأعجبنا بالصراحة التي تميزت بها معالجتها الشؤون العامة.

ولم يكن محررو الثمرات من المسلمين وحسب، بل كانت تفسح المجال أمام الكتاب من مختلف الطوائف للاسهام فيها. أما المسلمون فنذكر منهم على سبيل المثال الشيخ ابراهيم الاحدب والشيخ يوسف الأسير والشيخ أحمد طبارة، ومن غير المسلمين أديب اسحق وسليم الشلفون وهم قليل من كثير.

وقد كلف الرأي الحر الصحيفة ثمناً باهظاً في بعض الأحيان، إذ طالتها الرقابة العثمانية وصادرتها عدة مرات، إلى أن اضطر الشيخ القباني إلى ايقافها نهائياً في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٠٨ أي في العام نفسه الذي تم فيه الانقلاب على السلطان عبد الحميد الثاني على يد جماعة الاتحاد والترقي.

وكانت كلما احتجبت الثمرات بأمر الرقابة العثمانية ثم عادت إلى الظهور، لا تذكر أسباب احتجابها بل تكتفي بالقول: «فهذه جريدتنا ثمرات الفنون قد عادت اليوم إلى عالم الظهور بعد أن احتجبت عن قرائها الكرام امداً ترتل آيات الحمد والشكر لحضرة سيدنا ومولانا أمير المؤمنين»

«الحدث الأكبر: جمعية المقاصد...

«غير أن أهم انجاز في حياة الشيخ عبد القادر القباني هو دون ريب تأسيسه مع نفر من اصحابه سنة ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت واختياره ليكون أول رئيس لمجلس ادارتها، فقد كتب لهذه الجمعية ان تعيش وتزدهر لتصبح في



عمر الداعوق ١٩٣٣ - ١٩٢٩.



محمد سلام ١٩٤٩ - ١٩٥٨.

يومنا هذا أكبر جمعية تعليمية واجتماعية في الوطن العربي بل وفي العالم الاسلامي قاطبة. ومما لا شك فيه ان السبب الأهم لنجاح هذه الجمعية انها استجابت لحاجة ملحة في المجتمع اللبناني من جهة وانها بنيت على اسس من التقى والاخلاص والادارة الحكيمة، من جهة أخرى.

ولعل أول ما يستلفت النظر أن مؤسسي الجمعية فكروا أن ينشئوا مدرسة للبنات قبل التفكير بانشاء مدرسة للبنين والفضل في هذا التوجيه جاء من الشيخ عبد القادر لما عرفناه عنه لاحقاً من اهتمام بدور المرأة في تقدم المجتمع[٣].

وقد استطاعت جمعية المقاصد خلال القرن التاسع عشر أن تؤسس عدداً من المدارس في بيروت بلغت الست أو السبع مدارس. ثم استمر انتشار

مدارس المقاصد في مطلع القرن العشرين إلى أن شعرت السلطات العثمانية التي باتت ترتاب من كل الحركات والنشاطات القائمة في الولايات الشامية، فضمت مدارس الجمعية في أواخر القرن الحالي إلى شعبة المعارف ولم تعد الجمعية إلى الظهور مرة أخرى بشكل جدّي إلا بعد الحرب العالمية الأولى.

وللجمعية المقاصد اليوم ست وعشرون مدرسة في بيروت، وخمسون مدرسة في القرى تضم ما يزيد عن خمس وعشرين ألف تلميذ وتلميذة موزعين على مختلف المراحل الدراسية من الروضة حتى نهاية المرحلة الثانوية والنية متجهة اليوم لانشاء معاهد عليا تابعة للجمعية.

في سنة ١٨٨٠م عين الشيخ عبد القادر القباني عضوا في مجلس ادارة لواء بيروت. وحوالي ذلك الوقت عين أيضاً قاضياً في المحاكم البدائية. وفي سنة ١٨٨٨ اصبح قاضياً في محكمة التمييز لولاية بيروت. وفي سنة ١٨٩٨ رئيساً لبلدية بيروت. وكان في هذا المركز في سنة ١٩٠٥ عندما زار بيروت امبراطور المانيا فريدريك ولهلم الثاني أثناء زيارته الشهيرة للامبراطورية العثمانية.

ثم عين مديراً للمعارف حتى سنة ١٩٠٨ عندما ساءت علاقته مع جماعة الاتحاد والترقي وانقطع عن القيام بأي عمل حكومي لينصرف إلى أعمال تجارية ذات طابع ريادي نذكر منها تأسيسه شركة للتنقيب عن النفط في سوريا، بالاتفاق مع بعض المهندسين الألمان.

أما في عهد الانتداب الفرنسي فقد تولى الشيخ القباني ادارة الاوقاف الاسلامية مدة خمس سنوات تمكن خلالها من وضع جميع مقابر المسلمين في بيروت تحت ادارة جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت التي ما تزال إلى يومنا هذا مسؤولة عن هذا المرفق المهم في المجتمع.

توفي الشيخ القباني سنة ١٣٥٤هـ/١٩٣٥ للميلاد في بيروت تاركاً عدة أولاد وبنات واحفاد ما يزالون مقيمين فيها إلى يومنا هذا.

نظرة في حياة القباني، الشيخ الرائد:

عاش الشيخ القباني حياة حافلة بالنشاط، ذكرنا فيما تقدم معالمها الرئيسية، ولم نأت على ذكر العديد من معالمها الأخرى. ولو أن الدارسين يتناولون حياة هذا



مصباح الطيارة ١٩٥٨.

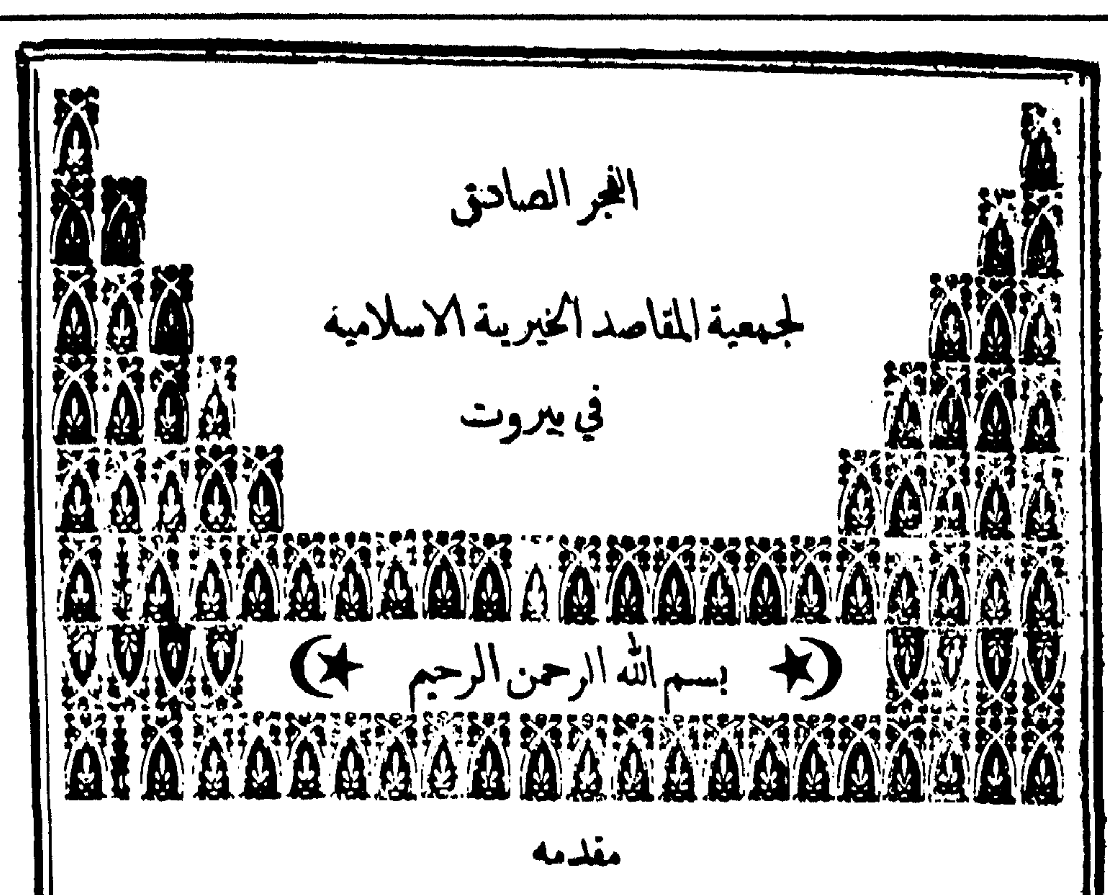


الرئيس صائب سلام ١٩٥٨–

الرجل بعناية أوفر واهتمام أدق، يكتشفون في حياته جوانب قد لا تقل أهمية عن تلك التي ذكرت فيما تقدم.

غير أن ثمة خصائص رئيسية تنتظم جميع النشاطات التي قام بها الشيخ في حياته تستلفت النظر، وهي التي اعطت الرجل مكانته الخاصة واضفت على اعماله طابعها المميز، وهي التي في النتيجة تجعله جديراً بالدراسة فضلاً عن التقدير والاحترام.

الخاصة الأولى، أن الشيخ اختار العمل في الميدان الثقافي والاجتماعي، يحاول بواسطتهما ان يضع اسس النهضة الجديدة التي شهدها لبنان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وبينما كان امثاله من رجالات عصره كالسيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده والأمير شكيب ارسلان، وعزيز



الفجر الصادق

لجمعية المقاصد الخيرية الاسلامية

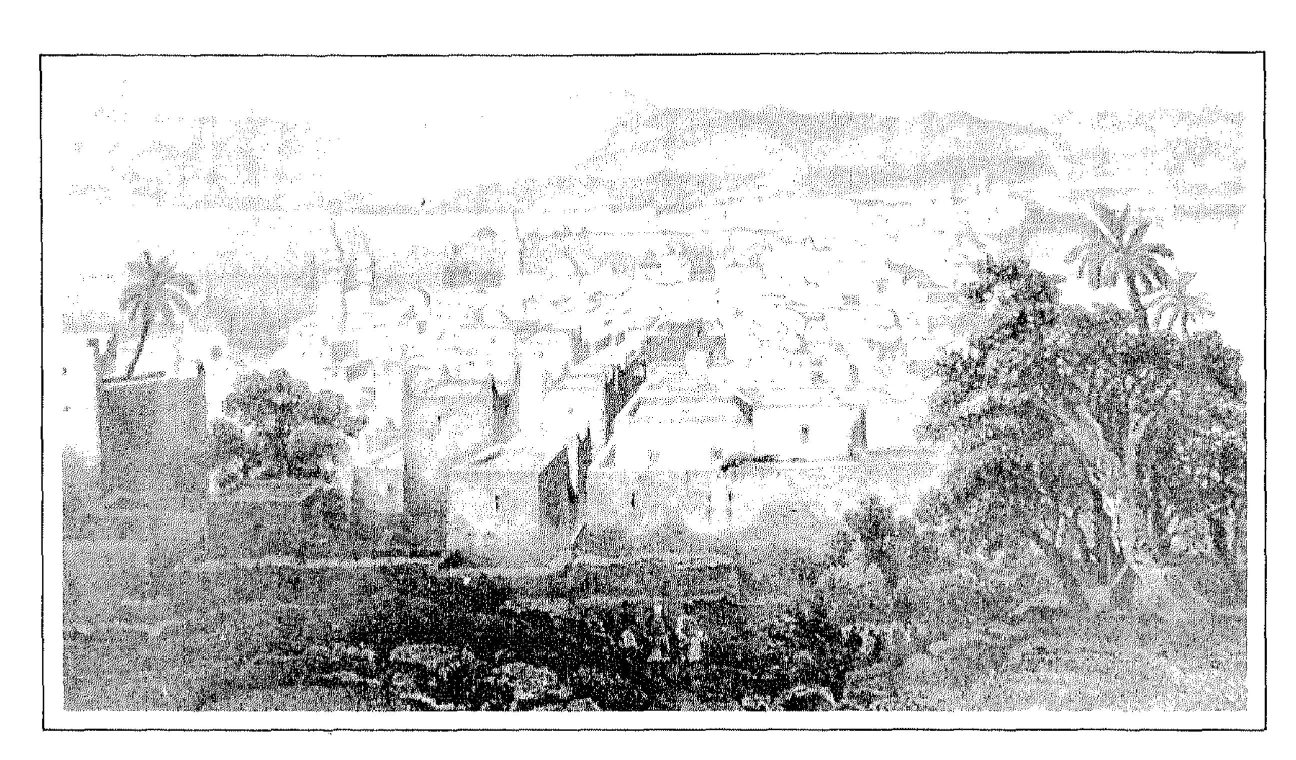
في بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمه

وبعد فان هذه المجموعة السنوية تحتوي على اعمال جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية التي انتظمت في بيروت ليلة غرة شعبان المعظم لسنة خمس وتسعين ومائتين والف للقيام بقضاء حاجات سيأتي الكلام عليها وتحتوي ايضاً على مجموع وارداتها ومصارفاتها وجهاتهما في سنة وستة اشهر اعتباراً من ليلة تأليف الجمعية الى ختام سنة ١٢٩٦ ومقدمتها نتكلم عن ملخص اعمال الجمعية وما صادفته الى يومنا هذا وقد سميناها الفجر الصادق وسننشرها ان شاء الله تعالى في رأس كل سنة بأوقاتها المقررة توفيقاً لنص قانون الجمعية الداخلي لان تأخرنا هذه السنة عن المسارعة الى نشرها كان ناشئاً من الحاق اشغال الجمعية في الأشهر الستة

الصفحة الأولى من كتيب أعمال السنة الأولى لجمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت.



مدينة بيروت القديمة. ١٨٤٦.

علي المصري وغيرهم، يخوضون المعترك السياسي، اختار الشيخ القباني أن يحصر اهتمامه بالنواحي الادبية والفكرية والتربوية تاركاً للميدان السياسي قدراً يسيراً من اهتماماته، وهو في هذا المجال ومن هذه الناحية فقط، اقرب إلى المصلح الهندي السيد أحمد خان الذي أسس في سنة ١٨٧٥ كلية اسلامية على النمط الأوروبي الحديث في عليكره في الهند.

أما الخاصة الثانية، فهي أنه كان يؤمن بانشاء المؤسسات لا بالعمل الفردي. فان خطرت له فكرة واقتنع بصلاحها عمد الي تجسيدها في مؤسسة لذلك نراه يدعو للاصلاح الاجتماعي عن طريق تأسيس جريدة ثمرات الفنون ثم جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت. وحرص أن يشرف شخصياً على كلا المؤسستين في فترة تأسيسها. فاذا ما استقام عودهما ووضع لها أسس العمل، عهد إلى مجالس ادارة مكونة من عدة اشخاص موثوقين ليتولوا مراكز القيادة في المؤسسة الجديدة، ويبقى هو عاملاً ثانوياً فيها. وهذه الطريقة في العمل تنم عن بعد نظر نادر بين القادة والمصلحين الذين غالباً ما يستأثرون بالسلطة في المؤسسات التي ينشئون.

أما الخاصة الثالثة فهي أن القباني كان مدركاً لأهمية الدور الذي تلعبه المرأة في اصلاح المجتمع. ولذلك نراه يحرص، إن في ثمرات الفنون أو في جمعية المقاصد أو في مراسلاته الخاصة، ان يدعو لتعليم المرأة لتتحمل المسؤولية في تقدم المجتمع.

لقد كان الشيخ القباني من مناصري الدولة العثمانية باعتبارها دولة اسلامية، ودولة الخلافة، ولكنه كان أيضاً داعية من دعاة الاصلاح في هذه الدولة وظل طوال حياته وفياً لهذه المبادئ.

رحم الله الشيخ عبد القادر القباني، لقد كان من هؤلاء الرجال الافذاذ الذين يتركون وراءهم آثارا سنبقى الشاهد الصادق على جهادهم العظيم في سبيل مجتمعاتهم. ●

(١) راجع المحبّي، محمد، خلاصة الأثر في اعيان القرن الحادي عشر، ٤ أجزاء بيروت دار الصياد، (دون تاريخ).
(٢) راجع المرادي، سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر، ٤ أجزاء القاهرة ١٨٧٤ - ١٨٨٣.
(٣) في رسالة مخطوطة من الشيخ عبد القادر القباني إلى السيدة عنبرة سلام الخالدي، وكانت من الرعيل الأول من السيدات المسلمات اللواتي درسن في المعاهد العليا في أوروبا، ما يدل على اهتمام القباني بتعليم المرأة وتقديره لها كعاملة وموجهة في المجتمع.

اثر كتاب "المعراج" للبصري في "الكوميديا الإلهية" لدانتي.

دراسات في التفاعل الحضاري بين الشرق والغرب

غلاف كتاب «الكوميديا الالهية» لدانتي.

د. مارتينيانو بيليغرينو. رونكاليا(*)

● تحدث الدكتور إحسان عباس في المركز الثقافي الاسلامي في بيروت على «الحضارة الاسلامية والنزعة الانسانية». والدكتور عباس واحد من اكبر الاخصائيين في العلاقات الثقافية بين العالم العربي واسبانيا وايطاليا، خصوصاً صقلية. مما يشير الى أن الباحثين في العالم العربي أخذوا يهتمون بتأثيرات الحضارة الاسلامية في العالم الغربي. وهي التأثيرات التي تركزت اكثر ما تركزت في اسبانيا وصقلية. ومن جهة الغرب ان دراسات ومحاضرات فرانشيسكو غابرييلي، واومبيرتو ريدزيتانو، ومنشورات ميشال أماري («تاريخ المسلمين في صقلية»، المكتبة العربية – الصقلية، الخ.) وأوغو مونيريه دو فيريلار: «دراسة للاسلام في اوروبا في القرنين الثاني عشر والثالث عشر» (دراسة وبحث ١١٠)، حاضرة الفاتيكان، ١٩٤٤. وانريكو تشيرولي: «المعراج ومسألة الاصول العربية – الاسبانية للكوميديا الإلهية» (دراسة وبحث ١٥٠) حاضرة الفاتيكان ١٩٤٩، وأخيراً للكاتب نفسه: «بحث جديد عن المعراج.. وتأثير الاسلام في الغرب» (دراسة وبحث ٢٧١) حاضرة الفاتيكان ١٩٧٢، ان هذه الدراسات، تشكل، (مع المؤلف الذي طواه النسيان «المسيحية والاسلام» للمؤلفين ب. لاتور وماريو مارتينو مورينو وفرانشيسكو غابرييلي وايتوره دوسي/ بريسيا: مورتشيليانا ١٩٤٩) مراحل مهمة جداً لنفهم بإيجابية متزايدة التأثيرات الحقيقية والقابلة للتوثيق، التي كانت للثقافة العربية الاسلامية في الثقافة المسيحية الغربية، وذلك خارج أية مفاهيم مجمعية، أو أية لقاءات اسلامية – مسيحية.

وللهبوط الى الصعيد العملي، كان انريكو

تشيرولي قد اهتم بالعنصر العربي في الأدب الايطالي والاسباني الحديث. كذلك فان أبحاث اوريليانو رونكاليا في مجال تأثير العناصر الادبية الشعرية العربية في الادب الايطالي، عن طريق أدب البروفانس، هي أبحاث معروفة.

ان الحديث بتأثير الحضارات هو حديث ساحر. وكل ما يمكن أن نقوله هو صحيح وخاطىء معاً. لأن ثمة مبادلات يصعب أحياناً تفسيرها. ومن الأمثلة: كلمة كاستروم (اي المخيم العسكري: المعسكر) انتقلت الى اللغة العربية في كلمة «قصر» وارتدت الى ايطاليا (صقلية) في كلمة كاسيرو العربية - اللاتينية - الايطالية. وفوساطوم (وهي الخندق العسكري عند الرومان) - فسطاط بالعربية. وهكذا...

من وجهة نظر لغوية، اهتم بهذه المشكلات جيوفان باتيستا بيللغريني: «أثر التعريب في اللغة النيولاتينية في ايطاليا» (بريسيا: بايديا، ١٩٧٢ - مجلدان) وقد أتاح له بحثه أن يكتشف حوالي ألفي كلمة انتقلت من العربية الى اللغات الرومانية أو النيو لاتينية!

وللتأثيرات الثقافية مظاهر عديدة اخرى في الاساطير والفولكلور والتقاليد. وقد توصل جيورجيو ليڤي ديلا ڤيدا في أبحاثه الاستشراقية الى خلاصات محددة.

دانتي والأصول العربية

نأتي الآن الى واحدة من المشكلات التي أسالت كثيراً من الحبر، وبدأت حول قضية معينة ثم تحولت الى السؤال: ما هو مدى ما كان معروفاً في العالم الغربي عموماً، وفي ايطاليا خصوصاً، عن الحضارة العربية، في العصور الاوروبية الوسطى؟

نقطة الانطلاق كان قد حددها ميغيل آسين بالاسيوس في مؤلفه الأساسي آنذاك: «المعتقدات الاسلامية والكوميديا الالهية» (مدريد ١٩١٩)، الذي عكس معارف، لكن أيضاً جهل أبناء ذلك العصر وأفكارهم المسبقة في هذه المسائل. وقيل يومئذ ان التشابهات التي ذكرها آسين بالسيوس بين الكوميديا الالهية والآداب العربية التي روت رؤيا النبي لم يكن لها حظ من الصحة بالنظر الى عدم قيام علاقة بين هذه الآداب ودانتي اليغييري الذي كان يجهل العربية. غير ان المعراج، الذي ذكره الفرنسيون قديماً في كلمة محرفة «هالميريغ»، وورد باللاتينية باسم «سكالا ماهوميديس» أو «سلم محمد» (ﷺ)، هذا المعراج، كان شائعاً في الترجمات المتداولة بين الأيدي، والتي انتشرت انتشاراً سريعاً وواسعاً جداً. فمثلاً غوفريدو دو ڤيتيربو، أمين سر فريدريك بربروس، ألّف سنة ١١٨٦ فصلاً من «البانتيون» المهم جداً بالنسبة لمعرفة ما كان الغربيون يعرفونه عن الاسلام في القرن الثاني عشر في أوروبا. وفي المكتبة الوطنية في باريس (المجلد اللاتيني ٦٠٦٤ للقرن الرابع عشر)، توجد النسخة اللاتينية التي عرفها دانتي اليغييري: «سكالا ماهوميديس...»

ويصف فازيو ديلي اوبيرتي، بين العامين ١٣٥٠ و ١٣٦٠، في كتابه «ديتا موندو» المعراج، ويقدم وصفاً شعرياً للجنة كما يصفها القرآن. والملف ٥٠ (من القرن الرابع عشر) في مكتبة مجمع بيزا الكهنوتي، يضم رواية مهمة جداً عن النبي محمد. وقام الراهب الفرنسيسكاني روبرتو كاراتشيولو دي ليشي في العام ١٤٩٥ بنشر ملخص طويل بالايطالية عن معراج النبي. ومن المؤكد ان هؤلاء المؤلفين استندوا الى مؤلفات قديمة جداً، بعضها مما قبل القرن الثامن الميلادي، أي من عصر «فجر الاسلام».

ولنعد الى نقطة الانطلاق فان «كتاب المعراج»، ترجم من العربية الى اللغة الكاتالونية، ثم ترجمه عنها الى اللاتينية النبيل الفلورنسي بونافنتورا دو سيانا. كما ترجم الى الفرنسية والايطالية، وكلها لغات يعرفها دانتي اليغييري، مما حدا العلماء على طرح السؤال بأسلوب جديد. فهكذا أمكن تحديد الصلة بين رؤيا النبي محمد (ﷺ) وعصر دانتي اليغييري. واذا كان لا بد من حل المشكلة ايجابياً، فانه يتوجب الانطلاق من نص بونافنتورا دو سيانا اللاتيني، أو من النص الفرنسي. هذه النصوص نشرها انريكو تشيرولي

(*) د. مارتينيانو بيليغرينو رونكاليا، دكتور آداب من السوربون، مؤسس ومدير مركز الدراسات الشرقية في القاهرة، استاذ في كلية اللغات في جامعة عين شمس، استاذ زائر في جامعات فرانكفورت وجنيف، والاميركية ببيروت، وليون، واللبنانية، الخ.. عضو في الجمعية الدولية للدراسات القبطية، عضو في الجمعية الدولية للدراسات الشرقية، اسطمبول، وغيرها من الجمعيات العلمية المرموقة في المانيا وفرنسا.

استناداً الى مخطوطات اوكسفورد وباريس والفاتيكان. ومن هذه النصوص كانت حقيقة واضحة تفرض نفسها، حقيقة تاريخية بالغة الاهمية بالنسبة لتاريخ التأثيرات العربية – الاسلامية في الحضارة الاوروبية إجمالاً والحضارة الايطالية على الاخص – بما فيها بالتحديد الحضارة التوسكانية، حضارة دانتي اليغييري – أي ان عالم الثقافة الايطالي والغربي عرف حقيقة الرؤيا الاسلامية الماورائية، المعراج، ليس بواسطة الأدب الشعري الراقي، أو الفلسفي أو الروحاني، بل من خلال قطعة من الأدب الشعبي هي «كتاب المعراج» للواعظ أبو الحسن أحمد بن عبد الله ابن محمد البكري البصري. وهو كتاب يبقى تاريخ وضعه سراً، مثل تاريخ موت صاحبه. ذلك ان لبعض الكتب مصيراً لا يمكن التكهن به.

وثمة مسائل نعرف كيف تبدأ ولا نعرف دائماً الى أين تصل. وهكذا فان مسألة من هذه المسائل تركزت على دانتي اليغييري، واتخذت أبعاداً اوروبية. ثم انه، الى المعلومات المتزايدة شيئاً فشيئاً، عن التأثير الثابت والمؤكد للفلسفة الاسلامية وعلوم الشرق الاسلامي في الفكر الغربي في العصور الوسطى، منذ بداية القرن التاسع، يتعين إضافة كيفية معرفة الدين الاسلامي وطرح السؤال: الى أي مدى جرى تشويه صورة الاسلام خلال المجادلات الدينية؟ من المتعارف عليه انه، ضمن هذه المسألة، تتخذ معرفة الافكار الاسلامية عن الحياة الماورائية أهمية خاصة في النقاش، وحتى في فضول الغربيين. وهذا الفضول مشار إليه في كتابات العصور الوسطى ابتداء بالأب سبرنديو في قرطبة في القرن التاسع، حتى غيدو تيرينا في قطلونيا في القرن الرابع عشر، وهو معاصر لدانتي اليغييري. فمنذ العام ٨٥٠، كان الفارو مطران قرطبة يشتكي بسبب عظيم الاهتمام الذي يوليه المسيحيون المعاصرون له للاهوت والفلسفة الاسلاميين. حتى ان الاعتقاد الاوروبي الشائع الذي كان يعتبر ان الاسلام والمسيحية ليسا متباعدين كثيراً في العقيدة، كان يرى الديانة الاسلامية وكأنها «هرطقة» مسيحية. هذا الاعتقاد يثبت ان الاسلام كان معروفاً اكثر مما يظن، حتى لو كانت نقطة الانطلاق لمعرفته، تشوهها المجادلات العقيمة. ويرى ماريو مارتينو مورينو في: «الاسلام والمسيحية من القرن السابع الى القرن الحادي عشر» (لاتور – مورينو – غابرييلي – روسي، «المسيحية



دانتي.

والاسلام»، بريسيا ١٩٤٩، ٢٦) ان ثمة انسجاماً اكبر بين الاسلام والمسيحية (بالمقارنة مع ما بين الاسلام واليهودية) بسبب المساومة اللاهوتية التي يتشاركان فيها.

وهكذا انزلقت مسألة دانتي رويدا رويدا الى مرتبتها الثقافية الحقيقية، على انها أقصوصة من تاريخ المبادلات الحضارية. وان كان هذا الواقع دينياً والآخر فلسفياً، أو أن كان هذا الموقف طبياً، والثاني شاعرياً، الخ، فليس ذلك موطن الأهمية. إذ أن كل شيء يجري استيعابه بالمعرفة، التي هي في أساس تفاهم البشر أصحاب النيات السليمة. وكل هذه المظاهر، الديني واللاهوتي والفلسفي والأدبي منها، ليست سوى مظاهر مختلفة لمسألة واحدة. فأوروبا العصور الوسطى لم تكن تستطيع، إلاّ عن طريق المعرفة، أن تأخذ موقفاً، فتتمثل أو ترفض المعتقدات الاسلامية حول الآخرة، وما تراه مقبولاً أو مرفوضاً منها. فانتشار «كتاب المعراج» في القرون الوسطى كان هائلاً، وظل على ازدياد حتى القرن السابع عشر. والى جانب هذا المؤلف الشعبي الذي ضرب أرقاماً قياسية، أضيف عدد من النصوص المستقاة من مصادر اخرى وصلت الى

الغرب، خصوصاً بعد الغزو المسيحي لغرناطة عام ١٤٩٢، من خلال كتاب خوان اندريس، وهو فقيه مسلم تحول الى المسيحية. وأضاف آخرون مساهمات الى معرفة الاسلام في الغرب، وخصوصاً حول المعتقدات الدينية والاخروية، مثل الحاخام موييسيس سفارادي في القرن الثاني عشر، الذي تحول الى المسيحية تحت اسم بتروس الفونسي، ومثل ابراهام الفقيم، في منتصف القرن الثالث عشر.

ان المجادلات هي أفضل الطرق لعدم التفاهم. لكنها تعطي المؤرخ ميزة معينة. لمن خلالها يستطيع ان يكشف مدى معرفة المجادل بخصمه الفكري. وهكذا نلاحظ كمية مثيرة من المعلومات في الكتابات الغربية، تسمح ربما للغربيين بأن يعرفوا عن الاسلام، اكثر مما عرف المسلمون عن المسيحية.

دراسات في التفاعل الحضاري

وفي حين كانت فيه للاحتكاك الاوروبي الغربي مع العالم الاسلامي في ميدان الفلسفة والعلوم حصة غالبة في تطوير الثقافة في العصور الوسطى، حتى في حقول التقاليد الدينية الاسلامية وهي حقول حساسة جداً، كانت المبادلات والاتصالات المتبادلة أهم وأوسع مما كان يجرؤ العلماء على تخيله قبل أبحاث انريكو تشيرولي الأساسية. فبأسماء أمثال كبار القديسين المسيحيين والدكاترة والعلماء الغربيين ألبرت الكبير وتوما الاقويني وبونافنتورا دي بالنيوريغيو، وجان دونز سكوت، والفلاسفة ابن سينا وابن رشد والغزالي، وبالأسماء الكبيرة الاخرى كالبطيني والخوارزمي والبيروني ومايكل سكوتس اريجينا وليوناردو فيبوناتشي وغيرهم كثيرين، بهذه الأسماء ارتبطت المنجزات العظيمة، التي استطاعت من قرطبة وعبر كل البلاد الاسلامية حتى آسيا الوسطى، ومن طليطلة وعبر قطلونية وحتى باريس واوكسفورد وبولونيا (المدينة الايطالية) وبادوا وصقلية، ان تحول الفكر والنشاطات الانسانية. وقد تشبعت الفلسفة السكولاستية بالفلسفة الاسلامية، في دراسة أرسطو الذي راجعه وصحّحه وترجمه خصوصاً ابن رشد. وقد نشر زديلاف كوكسيفتش في وارسو سنة ١٩٦٥ نصوصاً أصلية لاتينية لفلاسفة ايطاليين من جامعة بولونيا كانوا يتبعون مذاهب ابن رشد وينشرونها في تعاليمهم: انسيلمو دي كومو، وكامبيولو دي بولونيا، وجياكومو دي بياتشينزا، وجيوردانو دي ترنتو، وماتيو دي غوبيو، وبييترو دي بونيفاتشيس، وانجيلو داريدزو، وتاديو دي بارما. انظر مؤلفات أ. ماير («مدخل الى تاريخ الابن رشدية الايطالية في القرن الرابع عشر» — بالالمانية، المصادر والمراجع من المحفوظات والمكتبات الايطالية، ١٩٤٤) ومارتن غرابمان («انجيلو داريدزو، ابن رشدي ايطالي»، وهو مؤلف منشور في مونستر ١٩٥٠) وصوفيا فاني روفيغي («مسائل في كتاب «دي انيما» لتاديو دي بارما»، ميلانو ١٩٥١) و ش. ارمانتينغر («الابن رشدية في أوائل القرن الرابع عشر في بولونيا» — دراسات القرون الوسطى، ١٩٥٤) وسلستينو بيانا («مساهمة جديدة في دراسة التيارات العقائدية لجامعة بولونيا في القرن الرابع عشر» — في انطونيانوم، روما ١٩٤٨).

وثمة مدرسة «ابن رشدية» مهّدت، إذا صح التعبير، لاكتشاف غاليليو غاليلي، ودرسها أ. ماير («مدرسة ايطالية ابن رشدية مهدت لغاليلي»، روما ١٩٤٩). ودرس النشاطات الابن رشدية، عند زلفريدو دي بياتشينزا، ز. كوكسيفتش الذي توصل الى ان دي بياتشينزا هو فيلسوف ابن رشدي خصب جداً. وقد نشر لائحة مؤلفاته في مقالة بعنوان: «المؤلفات المخطوطة لابن رشدي بولوني هو ياكوبوس دي بلاسنتيا»، في «مجلة الفلسفة السكولاستية الجديدة»، ١٩٦٣، ص ص ٢١١ الى ٢١٦. أنظر ايضاً للعالم ذاته: «تعليق على كتاب دي انيما للابن رشدي البولوني ياكوبوس دي بلاسنتيا» في المجلة ذاتها والعام نفسه من ص ١ الى ص ٢٠. وليسمح لي ان أضيف أحد مؤلفات شبابي المتواضع، ملاحظة عن «جيوفاني دونز سكوتو والاسلام»، في «دراسات شرقية» (القاهرة ١٩٥٧ — ص ص ٥٢ — ٥٨). وكان جان دونز سكوت ملماً بالتراث الاسلامي في العالم الغربي، وهو التراث الذي يتخطى مجرد الفضول الموسمي.

ولختم هذه الملاحظات الموثقة والمختصرة، فيما يلي بعض الدراسات التي يمكنها ان تفي بغرض أية دراسات مفصلة لاحقة في الموضوع: جيمس كريتسيك: «بيتر الموقر والاسلام» (دراسات برنستون الشرقية، ٢٣ — منشورات جامعة برنستون ١٩٦٤) وهذه دراسة مهمة جداً لمعرفة الدفعة التي تلقتها الدراسات الاسلامية

والتحفظات التي واجهتها أحياناً بين الأوساط الكهنوتية على الأخص: فقد جرت أيضاً محاولات لترجمة القرآن الى اللاتينية. وعن مساهمة ودور العرب، هناك دراسة عبد الرحمن البدوي: «دور العرب في تكوين الفكر الاوروبي»، القاهرة ١٩٦٧ (الطبعة الثانية المزيدة). ونورمان دانييل: «العرب واوروبا في القرون الوسطى»، بيروت، مكتبة لبنان ١٩٧٥. وويليام مونتغمري وات: «تأثير الاسلام في اوروبا القرون الوسطى» في دراسة اسلامية، ٩، ادنبرة، الصحافة الجامعية، ١٩٧٢. وغيورغ جاكوب: «اثر الشرق في الغرب خلال العصور الوسطى»، هانوفر ١٩٢٤ (أعيدت طباعته في أوسنابروك ١٩٧٢). وس. دوفريدي في «التّرجمة الايطالية الاولى للقرآن كأساس للعلاقات بين المسيحية والاسلام» (دراسات ومواد لمعارف الشرق في ايطاليا، ٢، نابولي، المعهد الشرقي العالمي، ١٩٦٧). ولمعرفة العلاقات بين الشرق والغرب بدءاً من القرن الثامن عشر، هناك دراسة موسى الكاظم التونسي: «وثائق التدخل الاجنبي في الوطن العربي»، دمشق، دار البعث، ١٩٧٢. وعن إمكانات التبادل الثقافي يمكن قراءة تقارير ندوة نشرها ايلي اديب سليم: «الانسان ومستقبل الحضارة العربية. أبحاث مؤتمرات العلائق الدولية لكبار علماء العالم ومفكريه»، بيروت، دار المتحدة، ١٩٧٣. وأحمد أمين: «الشرق والغرب»، القاهرة، ١٩٥٥. وعن العلاقات الثقافية بين الشرق والغرب المعاصر يمكن الرجوع الى مراجع كثيرة منها، لحسام الخطيب: «سبل المؤثرات الاجنبية واشكالها في القصة السورية. دراسة تطبيقية في الأدب المقارن»، دمشق، ١٩٧٤، وبصورة إجمالية دراسات تفسيرية حول الفكر العربي والحضارة الغربية المعاصرة، وضعها عاطف أحمد، وأنور السادات، ومحمد وهبي، واسحق موسى الحسيني، في «الفكر السياسي والاجتماعي في الشرق الاوسط المعاصر» الذي حرره كمال كربات، نيويورك، ١٩٦٨.

وفي شهر ايلول (سبتمبر) ١٩٥٥، (من ١٩ الى ٢٤ منه) جمع «مركز الثقافة والحضارة لمؤسسة جيورجيو تشيني— البندقية»، ندوة برئاسة الكاتب الايطالي غويدو بيوفيني، حول موضوع: «سيرورة الاسلام في الحضارة الغربية». (فلورنسا: سانسوني، ١٩٥٧). هذه المحاكمة للحضارة الغربية، من جانب نخبة مسلمة تهمنا، لأن بعض العلماء الايطاليين حاولوا منعهم من الكلام. المسلمون كان يمثلهم طّه حسين (مصر) حسن تقي زاده (ايران) حسن حسني عبد الوهاب (تونس) جواد علي (العراق) حسن قبلان (لبنان) زكي وليدي توغان (تركيا) مكتبة مينوفي (ايران). واذا ما قرأنا المساهمات المختلفة، فانك تشعر بالحزن، ذلك ان نخباً فكرية تهبط الى مستوى بلاغة المساجلات الضيقة. فلا يسعك إلاّ أن تلاحظ المسافة الهائلة التي تفصلنا عن التيارات الفكرية الكبيرة التي خلقت عملية الامتصاص الحضاري بين الاسلام والمسيحية الغربية منذ العصور الوسطى وحتى القرن السادس عشر. لقد كانت المبادلات ملموسة جداً الى حد ان الفكر الاوروبي تجدد، وانخرط في مناخ الوحدة الحضارية لبلاد المتوسط.



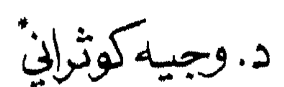
طّه حسين.

طّه حسين، طّه حسين الكبير، لم يجد ما يقوله في البندقية، سوى ان فرنسا خانت مهمتها الحضارية، وان الفرنسيين هم في نهاية الأمر مخمورون! أما اندريه مالرو، مالرو العظيم، فكتب: «رغم انني في شبابي عرفت الشرق في صورة عجوز عربي على حماره...» «مذكرات مضادة، ١، باريس: غاليمار، ١٩٦٧، ١١).

ان بعض العقول الكبيرة تبالغ أحياناً في ممارسة الذكاء، فنصل بذلك الى انحطاط في ثياب كلمات جيدة. فلا تعود هذه حضارة. ولحسن الحظ فان الامتصاص الحضاري حول المتوسط يواصل عمله رغم «الكلمات الجيدة» هذه، خصوصاً منذ حوالي عشرين سنة. وان حركة العودة الى الينابيع تسمح لنا بفهم أفضل للتكامل، الذي يتجلى في الحضارة بين الاسلام والمسيحية، اكثر بكثير مما يماثله بين المسيحية واليهودية: ولكننا هنا نلج موضوعاً جديداً... وانني أتوقف ●

رشيد رضا:

فقيه يبحث عن «الدولة» و«الإصلاح» في إطار الإسلام





الشيخ رشيد رضا

* مدرّس التاريخ الاجتماعي العربي في الجامعة اللبنانية – كلية الآداب ومعهد العلوم الاجتماعية.

مؤلفاته:

- الاتجاهات الاجتماعية السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ١٨٦٠ – ١٩٢٠، بيروت، ط١، ١٩٧٦، ط٢ ١٩٧٨.
- بلاد الشام: السكان، الاقتصاد والسياسة الفرنسية في مطالع القرن العشرين. قراءة في الوثائق – تحت الطبع يصدر عن معهد الانماء العربي.
- رشيد رضا: مختارات سياسية من مجلة المنار، تحت الطبع، يصدر عن دار الطليعة.

إلى جانب أبحاث ومحاضرات نشرت في مجلة كلية الآداب، الجامعة اللبنانية، دراسات عربية، الفكر العربي، قضايا عربية..





نشأتــه

● ولد رشيد رضا في ٢٧ جمادى الأولى سنة ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م في قرية القلمون (وهي تبعد عن طرابلس الشام زهاء ثلاثة أميال) في بيت من بيوتات الأشراف، أو «الأسياد» الذين يتحدرون، وفق قصة تاريخ العائلة المتناقَل، الى آل البيت، فرع الحسين بن علي. وكان هذا الانتساب يحدد موقعاً في الهرم الاجتماعي في الدولة الاسلامية، يسمح بممارسة سلطة دينية تطال مجالات سلطوية عديدة: سياسية وقضائية، وترتكز الى عصبة عائلية ووظيفة علمية – دينية تتسع بشرياً وجغرافياً بمقدار قوة هذه العصبة وأهمية هذه الوظيفة «الايديولوجية» في مجال خدمة الدولة.

يحدثنا رشيد في سيرته عن موقع عائلته هذا فيقول: «وأهل بيتنا ممتازون فيهم بأنهم أهل العلم والارشاد والرياسة، ويلقبون بالمشايخ للتمييز، وجدّي الثالث هو الذي بنى لهم المسجد المعروف الآن بجانب بيتنا القديم الذي ولدت فيه، وكان لهم مسجد قديم هدم وتقاسموا حجارته لغلبة الجهل عليهم. فأحيا جدنا الدين ببناء المسجد وإقامة الشعائر فيه من إمامة وخطابة وتدريس، وكان عالماً صالحاً مشهوراً بالكرامات، وقد أنعم عليه السلطان العثماني ببراءة سلطانية حبس عليه فيها سبعة قراريط من ٢٤ قيراطاً من أموال الدولة الأميرية، وببراءات اخرى بالامامة والخطابة في المسجد، وقد تسلسلت هذه البراءات من السلاطين في ذريته حتى آلت إليَّ، فكانت آخر براءة وجهت عليَّ أو إلي من السلطان محمد وحيد الدين قبل الحرب العامة.»[1].

وفي مثل هذه البيوتات كانت الثقافة الاسلامية تتناقل في إطار مجالس العائلة وتقدَّم عبر كتاب القرية وعلى يد «علماء» معتمَدين في شتى علوم الدين. بيد ان المرحلة التي شبَّ فيها رشيد رضا هي المرحلة التي بدأت فيها المدرسة «العصرية» («كمؤسسة» تحتذي النموذج الغربي) تتأسس وتنتشر، وذلك انطلاقاً من مواقع سياسية وثقافية مختلفة: إرساليات أجنبية، مدارس رسمية (المدارس العثمانية)، ومدارس أهلية خاصة بأفراد أو طوائف.

وبالنسبة لرشيد رضا، التحق أولاً بكتّاب قرية القلمون ثم انتقل الى المدرسة الرشيدية بطرابلس. ثم الى المدرسة الوطنية الاسلامية التي كان قد أسسها الشيخ حسين الجسر في سياق التزاحم الطوائفي على نشر التعليم. وفي سياق تعاظم حاجة المسلمين للوقوف في وجه النشاط الارسالي التعليمي. يحدثنا رشيد رضا عن نشأته العلمية الأولى فيقول: «لقد تعلمت في كتّاب قريتنا (القلمون) قراءة القرآن والخط وقواعد الحساب الاربع. ثم ادخلت في المدرسة الرشيدية في مدينتنا (طرابلس الشام) وهي مدرسة ابتدائية للدولة يدرس فيها الصرف والنحو والحساب ومبادىء الجغرافية وعلم الحال (العقائد والعبادات) واللغة التركية واللغة العربية، ولكن جميع التدريس فيها باللغة التركية. فأتممت فيها سنة ثم لم أعُد إليها لأنني لم أحب أن أخدم الحكومة».

ويتابع: «ثم دخلت المدرسة الوطنية الاسلامية وهي أرقى من المدرسة الرشيدية وجميع التعليم فيها باللغة العربية إلاّ اللغتين التركية والفرنسية. وتدرس فيها العلوم العربية والشرعية والمنطق والرياضيات والفلسفة الطبيعية. وكان استاذنا العلاّمة الشيخ حسين الجسر الأزهري هو المدير لها بعد أن كان هو الذي سعى لتأسيسها، لأن رأيه ان الامة الاسلامية لا تصلح وترقى إلاّ بالجمع بين علوم الدين وعلوم الدنيا على الطريقة العصرية الاوروبية مع التربية الاسلامية الوطنية تجاه التربية الاجنبية في مدارس الدول الاوروبية والاميركانية، ولكن الحكومة العثمانية لم تقبل ان تعدها من المدارس الدينية التي يعفى طلابها من الخدمة العسكرية، فكان ذلك سبباً لالغائها. فحرمت مدينة طرابلس وملحقاتها من فوائدها بجهل الدولة وغباوتها. وتفرق طلبتها، فذهب بعضهم الى مدارس بيروت المختلفة وانقطع بعضهم للطلب في المدارس الدينية في طرابلس وأنا منهم.»[2].





مصدر ثقافته

ويذكر رشيد رضا مصادر تحصيله الثقافي في «سيرته الذاتية»[٣]، ومن بين المصادر الكتبية يذكر «إحياء علوم الدين» للغزالي. وهو يقول فيه: «وكنت أكثر مراجعته وقراءة بعض أبوابه عوداً على بدء، ثم صرت أقرأه للناس وكان له أكبر التأثير في ديني وأخلاقي وعلمي وعملي»[٤].

ويذكر أيضاً أساتذته الذين تتلمذ عليهم في ميادين علوم الدين فيقول: «وتخرجت في العلوم العربية والشرعية والعقلية على الشيخ حسين الجسر... وأخذت الحديث وفقه الشافعية عن شيخ الشيوخ العلاّمة الشيخ محمود نشّابة... وحضرت على العلاّمة الشيخ عبد الغني الرافعي قليلاً من كتاب «نيل الأوطار» للقاضي الشوكاني... وتلقيت عن العالم المحدث العابد الشهير الشيخ محمد القاوقجي الكبير كتابه في الأحاديث المسلسلة وبعض كتابه المعجم الوجيز...»[٥]. ويعلق رشيد رضا على اهتمامه بالحديث: «وقد فتح لي الاشتغال بالحديث رواية ودراية باب الانتقاد على كتب الوعظ والفقه والأدب ودواوين الخطب، فأنتقد ما فيها من الأحاديث الضعيفة والموضوعة»[٦]. وكان لهذا الاهتمام أثر في توجيه رشيد رضا نحو نزعة ابن تيمية في العودة الى النصوص وتحقيقها والابتعاد عن التأثيرات الصوفية التي رافقت مرحلة شبابه. ويعلق شكيب ارسلان في معرض نقل سيرة رشيد رضا على هذا الأمر بما يلي: «يقال ان الإمام الغزالي كان يستشهد حتى بالضعاف من الأحاديث لأجل تأييد نظرياته، فالاستاذ السيد رشيد عرف هذا بعد أن تبحر في علم الحديث وصار من أئمته. وكذلك بعد أن تبحّر في علم الحديث نزع إلى مشرب ابن تيمية رحمه الله وترك أقوال الصوفية ورجع عن كثير من نظريات الغزالي العلمية»[٧].

الأمير شكيب إرسلان.

تأثير «العروة الوثقى»: الأفغاني وعبده

هذا، بيد أن التأثير العميق الذي جاء عبر مقالات «العروة الوثقى»، الجريدة التي كان قد أصدرها في باريس جمال الدين الافغاني ومحمد عبده، كان هو الحاسم في إثارة الأسئلة الكبرى في حياته، وممارساته حول الاسلام كدين ودولة، أي كنظام علاقات في المجتمع. وكان رضا قد اطلع على أعداد هذه الجريدة قبل سفره الى مصر. يُذكر «إنه ظفر بنسخة من تلك الجريدة في أوراق أبيه فأكبّ على قراءتها في شوق وتلهف، ثم أخذ ينتقل من منزل إلى آخر باحثاً عن الأعداد الباقية، حتى إذا وجدها





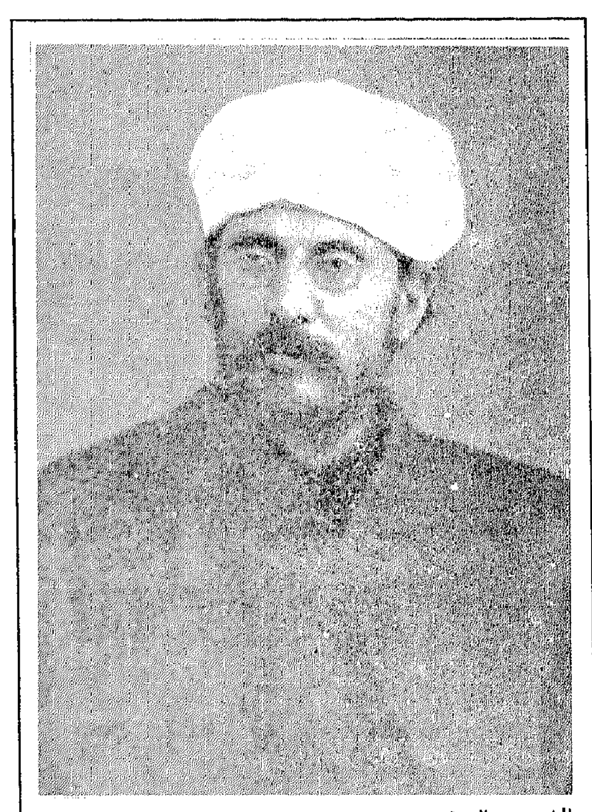
نسخها بيده، واستطاع أن يكمل مجموعة الأعداد التي صدرت من نسخ كانت عند الشيخ حسين الجسر.[8]»

ويشير رشيد رضا إلى أثر «العروة الوثقى» في توجيهه فيقول: «وأكبر أثرها عندي انها هي التي وجهت نفسي للسعي في الاصلاح الاسلامي العام بعد أن كنت لا افكر إلاّ فيمن بين يدي، وأرى كل الواجب على أن أظهر في دروسي العقيدة الصحيحة والأخلاق الفاضلة، وآمر بالمعروف وانهى عن المنكر وأنفر من المعاصي وأنا لا أعلم سبب الفساد الذي فعل في العقائد والأخلاق ما فعل، ودفع المسلمين الى مزالق الزلل، حتى هدتني «العروة الوثقى» الى المناشىء والعلل»[9].

«فالعروة الوثقى» كانت قد طرحت الواقع الذي آلت إليه أوضاع المسلمين من منظور «الفقيه» الذي يحرص على أنشاء دولة إسلامية مركزية قوية. «ففساد» المسلمين «دخل على توالي الزمن من عقيدة الجبر والخطأ في فهم القضاء والقدر»، ومما أدخله على الاسلام من «زندقة» وتشيعات وحزبيات، ومما أدخل على «الحديث» من أقاويل منحولة لتبرير الأمر الواقع[10]... والحل هو الحل الذي يقدمه «الفقيه» المسلم التقليدي: تنقية الاسلام وتوحيد اتجاهاته.

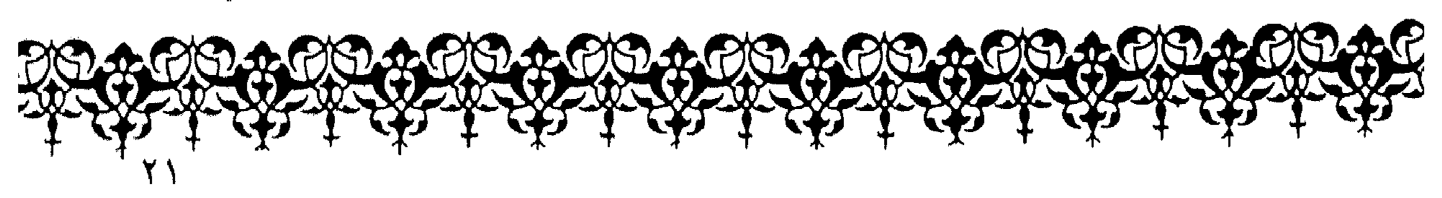
لكن أيضاً في مرحلة الهجوم الاستعماري الكبير، واحتلال الانكليز لمصر تكتسب دعوة «العروة الوثقى» للعودة الى الأصول وتمثل الاسلام في مرحلة صعوده وبناء دولته الأولى (الاسلام الراشدي) مضموناً سياسياً يتجلى في الدعوة إلى مقاومة الاستعمار ورد هجماته العسكرية والسياسية والثقافية: فثمة دعوة لتضامن الشرقيين، ونداء للدولة العثمانية «للذود عن مصر، وكف يد الانجليز عنها»، كذلك دعوة لاستنهاض الهمم والتصدي للدراسات الغربية التي تجعل من الاسلام ديناً ينشر الأوهام، والقنوط والاتكالية ويعادي العقلانية والعلم.

وكان قد صدر من «العروة الوثقى» ثمانية عشر



الشيخ جمال الدين الافغاني

عدداً، صدر أولها في ١٣ آذار (مارس) ١٨٨٤ وآخرها في ١٧ تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٨٨٤م. هذه الأعداد استنسخها رشيد رضا واطلع عليها وأصبحت بالنسبة إليه مراجع أساسية لاطروحات الاصلاح الديني والعمل السياسي وتوجهاته. وأثناء إقامة محمد عبده في بيروت بعد إقفال جريدة «العروة الوثقى»، كان رشيد رضا يتابع نشاط الاستاذ الإمام في بيروت، حيث اشتغل بالتأليف والتعليم في المدرسة السلطانية مدة خمس سنوات. ومما يذكر في هذا المجال تأثر رشيد رضا بترجمة «رسالة الرّد على مذهب الدهريين» التي كان قد ألّفها جمال الدين الافغاني بالفارسية. وقد عمل محمد عبده على ترجمتها الى العربية مستعيناً بشخصية تجيد الفارسية «فأتاح لهذه الرسالة القيمة أن تنتشر بين الأوساط العلمية»[11].





في هذا الوقت كان رشيد رضا يشق طريقه في ميدان الكتابة في الصحف المحلية ويستلهم أفكار الاستاذين الكبيرين.

ومع عودة محمد عبده الى مصر وتوجُّه الافغاني الى الاستانة (١٨٩٢) تبدأ مرحلة جديدة في فرز الاتجاهات الاصلاحية الاسلامية بين صاحبي «العروة الوثقى». فجمال الدين استمر يعتبر الاصلاح السياسي في الدولة، ومقاومة الاستعمار هو المنطلق.. ولذلك ظل يراهن على رفع صوته من عواصم السلطات الاسلامية. وكانت آخر مراهناته التي أضحت بالرغم عنه أسيرة دبلوماسية السلطان عبد الحميد، ذهابه الى الاستانة. وهناك ما لبث أن شعر أنه أصبح في قفص من ذهب ينال ما يريد من حفاوة وتكريم دون تلبية رسالته الأولى وهي إصلاح الاسلام والمسلمين»[١٢]، واستمر على هذه الحال الى أن قضى في «سجنه الذهبي» وكان ذلك في عام ١٨٩٧، العام الذي قرر فيه رشيد رضا الهجرة الى مصر.

أما عبده فان ثمة اتجاهاً اصلاحياً بدأ يتكون لديه أثناء إقامته في بيروت يؤكد على التربية والتعليم في الاصلاح، لا على العمل السياسي. لقد بدأ عبده يتخلى تدريجاً عن تجربته السابقة: «الاشتراك في الثورة العرابية ودعمها، محاربة الانكليز، التحريض السياسي ضد الاستعمار في «العروة الوثقى»، ليتجه في وجهة العمل التربوي معلناً ابتعاده واشمئزازه من السياسة»[١٣]، وهذا ما سيتبعه بعد عودته الى مصر، وفي سياق نشاطاته في مضمار اصلاح الازهر وتأسيس المدارس والموقف من الخديوي والسلطات الانكليزية.

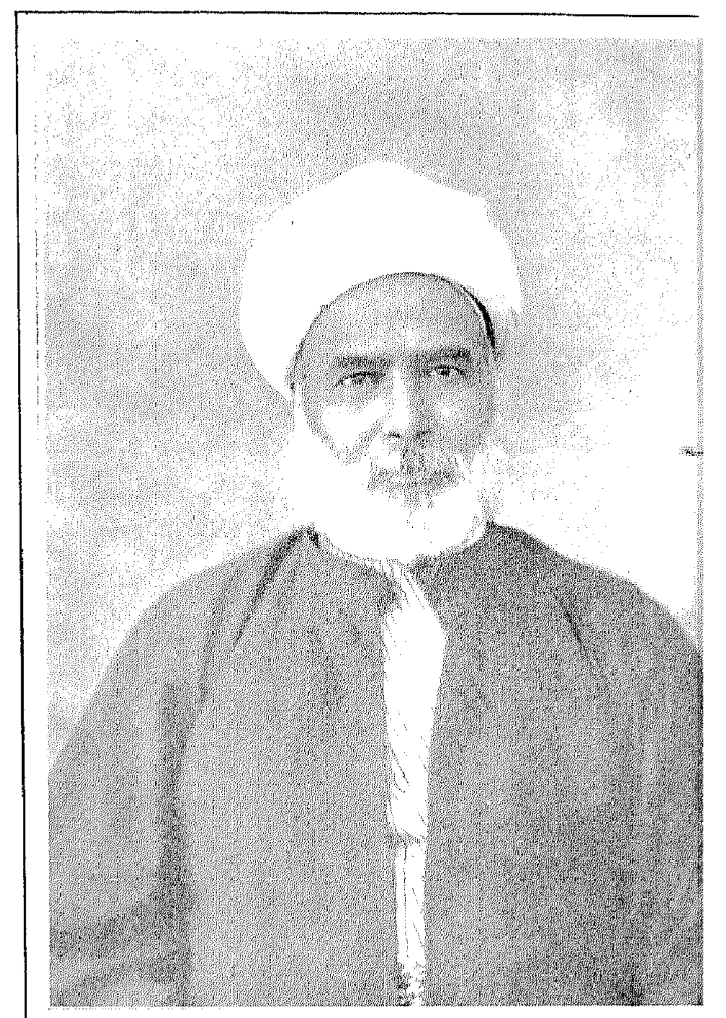
وبقيت تجربة «العروة الوثقى» «صيحة» فريدة في طبيعتها وتوجهها ومشروعها السياسي الكبير والطموح: محاربة الاستعمار، اصلاح الدولة، تحقيق التضامن والوحدة بين الشعوب الاسلامية، التحريض ضد الظلم والقهر...

وهكذا، في الوقت الذي ضاع فيه المشروع السياسي للأفغاني في نزعة تجريبية نضالية تحرِّض على الثورة والمقاومة لكن تراهن على إصلاح «الدولة» بقوى الدولة ذاتها، وفي الوقت الذي توجه فيه عبده بعد عودته الى مصر إلى إصلاح حال «الأمة» عن طريق التعليم، وفَصَل السياسة عن الاصلاح بحيث ضاع مشروع الاصلاح في السياسة الانكليزية «المحدِّثة» نفسها، نرى رشيد رضا يبدأ مشروعه الاصلاحي: العزم على الهجرة الى مصر وتأسيس مجلة اصلاحية هناك.

الهجرة إلى مصر وتأسيس «المنار»

وأتى مشروع هجرة رشيد رضا الى مصر كردّ على التدابير البوليسية الاستبدادية التي لجأ اليها السلطان عبد الحميد وعلى استحالة التعبير عن الآراء والأفكار التي بدأ رشيد رضا يتشبّع بها من خلال طروحات «العروة الوثقى» في فهم الاسلام وتمثله. لقد كانت طرق الصوفية من حلقات ذكر، وطقوس دراويش، قد أصبحت من ركائز الاستلاب الشعبي الواسع التي تدعمها قوى السلطان عبد الحميد. وكان أبو الهدى الصيادي الذي لعب دوراً مهماً في استدراج جمال الدين الافغاني الى الاستانة وتحجيمه، وإهماله أثناء مرضه حتى وفاته كما تردّد آنذاك، ينتسب إلى هذه الطرق ويدافع عنها ويشجع أشكال ممارساتها الشعبية، ويستخدم رسوخها في الوعي الجماهيري كظواهر اجتماعية، أداةً للتعمية وتشديد الارتباط بالسلطان والطاعة له عبر الوسطاء والشفعاء وأصحاب الكرامات. وكان رشيد رضا قد أخذ قبل سفره إلى مصر يتصدى لظواهر الصوفية الشعبية فألّف في ذلك كتاباً بعنوان: «الحكمة الشرعية في محاكمة القادرية والرفاعية» ولكن، حتى في حدود التصدي لمسائل إصلاحية إسلامية شرعية لم يستطع رشيد رضا أن ينشر كتابه هذا في بلاد الشام. وينقل لنا رشيد رضا حديثاً دار بينه وبين عبد القادر القباني، صاحب جريدة





الشيخ محمد عبده

«ثمرات الفنون». وكان هذا الأخير قد عرض على رضا بعد أن عرف بهدف رحلته إلى مصر تولي رئاسة تحرير جريدته، ويجيب رشيد على العرض: «ان الحرية التي في بيروت لا تسعني». فقال عبد القادر القباني: أوتريد أن تنتقد السلطان عبد الحميد أو تخوض في سياسته؟ فقال رشيد رضا: إنما أريد إصلاح الاخلاق والاجتماع والتربية والتعليم. قال ان لك أوسع الحرية في هذا. (وأجاب رشيد): إذا أردت أن أكتب في فضيلة الصدق ومضار الكذب ومفاسده فأُبيِّن أن أكبر أسباب فشو الكذب في الأمم الحكم الاستبدادي أتنشر لي ذلك جريدتكم؟ فقال له القباني: لا، لا. عجِّل بالذهاب إلى مصر ولا تخبر أحداً [١٤].

«وركب رشيد رضا السفينة من بيروت الى الاسكندرية، فوصل ميناءها مساء الجمعة ٨ رجب سنة ١٣١٥هـ - ٣ يناير ١٨٩٨م. وبقي نحو اسبوعين متنقلاً بين الاسكندرية وطنطا ودمياط، وفي يوم ٢٣ رجب من السنة المذكورة توجه الى القاهرة، وفي اليوم التالي زار الاستاذ الإمام في داره، وشرح له هدفه من هجرته، ثم تردد عليه مرات ومرات، ثم استشاره في إصدار مجلة «المنار» لتكون صحيفة إصلاحية، فوافق الاستاذ الإمام على ذلك، وأرشده وعاونه، وصدرت جريدة «المنار»، وكان أول أعدادها بتاريخ ٢٢ شوال سنة ١٣١٥هـ - ١٥ مارس سنة ١٨٩٨م.» [١٥].

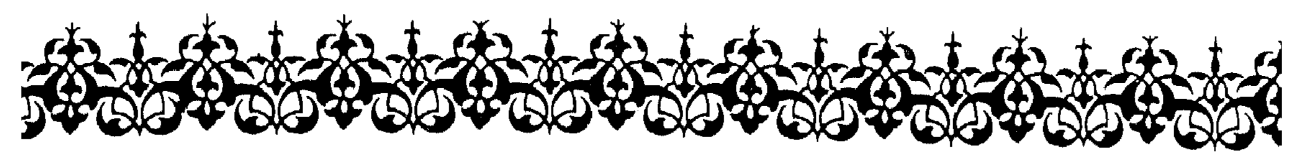
وكان أن صدر العدد الأول من «المنار» كجريدة اسبوعية من ثماني صفحات، وفي السنة الثانية تحوَّلت إلى مجلة شهرية تنشر إلى جانب ما ينشره رشيد رضا، دون توقيع، مقالات للكتاب الاصلاحيين في مصر وعلى رأسهم محمد عبده وتلامذته.

وفي السنة الثالثة بدأت «المنار» بنشر تفسير محمد عبده للقرآن وباباً خاصاً للفتاوى والاجابات على مسائل فقهية وشرعية، كذلك أبواباً في أخبار الأمم الاسلامية وفي مراجعات الكتب والتعريف بها...

من الاصلاح الديني إلـى العمـل السياسي

وسارت «المنار» في سنواتها الأولى وحتى ١٩٠٥م في وجهة الاصلاح الديني الذي كان يشدد عليه الشيخ محمد عبده ولم تدخل في موضوعات السياسة المباشرة، لا السياسة العثمانية ولا الانكليزية. وبالرغم من ذلك فان الوجه «العقلاني» و «العصري» الذي أبرز فيه الاسلام كان كافياً لمنع «المنار» من الدخول الى البلاد العربية الخاضعة بصورة مباشرة





للسلطان عبد الحميد. وكانت المعركة الأولى هي تلك التي بدأ بها أبو الهدى الصيادي عندما بدأ رشيد رضا بنشر بعض فصول كتابه القديم الذي ألّفه في طرابلس والذي يتصدى فيه للممارسات الغيبية والسحرية التي أدخلت على طرق الصوفية. واعتبر ابو الهدى الصيادي نفسه معنياً بهذا النقد، وبعد أن فشلت محاولة هذا الأخير في احتواء رشيد رضا عبر وعده إياه بالاستحصال له على أعلى «المراتب العلمية» من السلطان، لجأ أبو الهدى الى إرهاب رشيد بالاعتداء على اخوته في القلمون ونهب محتويات مكتبته؛ كذلك استطاع جواسيس ابي الهدى في القاهرة أن يصلوا إلى مكتب «المنار» فأحدثوا بعض التخريب فيه. وكان ذلك في عام ١٩٠٥م.

وتوفي محمد عبده في العام نفسه الذي تعرض فيه رشيد رضا لتلك الاجراءات الانتقامية. فكان ذلك مدخلاً لانخراط رشيد رضا في ميدان السياسة من باب الدعوة إلى اصلاح أوضاع الدولة العثمانية وممارسة الاستبداد الفردي والدعوة الى حكم الشورى والدستور، بعد ان كان الأستاذ الامام يمانع في إقحام «المنار» مجال العمل السياسي المباشر. وفي هذه المرحلة كانت حركة «تركيا الفتاة» في أوج اتساعها في الخارج وقد أشاعت حركة معارضة واسعة ضد الحكم الفردي الاستبدادي وفي هذا الاطار تأسست في القاهرة لجنة أطلق عليها اسم «جمعية الشورى العثمانية» تولى رئاستها رشيد رضا. وكان لهذا التحول أثره في مجلة «المنار»، إذ سيبدأ رشيد رضا منذ ذلك الحين بكتابة مقالات عن الاستبداد، والسياسة الحميدية، وحكم الشورى، وطرق إصلاح الدولة العثمانية. وسيتابع هذا الخط في «المنار»، في المرحلة اللاحقة، أي مع الانقلاب العثماني وسياسة الاتحاديين العنصرية، ثم مع الحرب الأولى وما أعقبها من أحداث مصيرية...

ورافقت «المنار» أحداث حوالي أربعين سنة من التاريخ العربي شكّلت مرحلة انهيار الدولة العثمانية وبروز الصيغ العربية البديلة «للدولة» في ظل أشكال التبعية للرأسماليات الغربية ونماذجها الدستورية والسياسية والثقافية، لقد صدرت «المنار» عام ١٨٩٨م وآخر ما طبع منها كان الجزء الثاني من المجلد الخامس والثلاثين، سنة ١٩٣٥م، وكان رشيد رضا قد توفي في العام نفسه في ٢٢ آب (اغسطس)، فوزع الجزء الثاني من «المنار» بعد وفاته.

وأهمية مجلدات «المنار» تكمن في انها تحوي سلسلة مقالات رشيد رضا طيلة كل هذه الفترة وهذه المقالات بالاضافة الى كونها محطات مهمة في مسار تطور فكر رشيد رضا، ومرآة لانعكاس أحداث تلك المرحلة التاريخية المهمة في وعي فقيه مسلم تمثّل بشكل من الأشكال الايديولوجية مهمات الاصلاح وتكوّن الدولة الاسلامية في مرحلة انتصار الامبريالية، فانها بالاضافة الى كل ذلك تشكل أهمية وثائقية باعتبار أن مؤلفات رشيد رضا الاخرى تجد منطلقاتها وأحياناً نصوصها الأساسية في مقالات «المنار» نفسها.

المواقف السياسية من خلال نصوص «المنار»

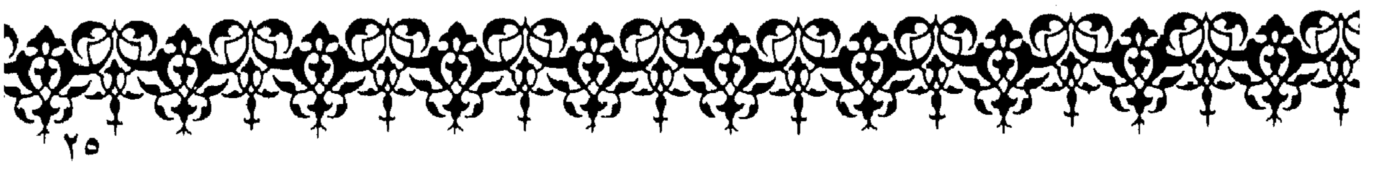
والذي يتتبع نصوص «المنار»، لا سيما تلك التي تطرح موضوعات سياسية أو تتابع أحداثاً مهمة، يلاحظ أن رشيد رضا قد تحوّل من معجب بالمدنية الانكليزية قبل الحرب، لا سيما قبل ١٩٠٥م، وذلك بتأثير محمد عبده الذي عارض إقحام «المنار» في «السياسة»، إلى معادٍ شديد للاستعمار الاجنبي، لا سيما بعد الحرب وانكشاف مخططات الاحتلال والإلحاق والتجزئة. وهذا التحول كان يترادف مع تحولات اخرى في مواقف رشيد رضا من القوى المحلية (الموقف من الاتراك، ومن الشريف حسين، الى الموقف المؤيد لعبد العزيز آل سعود)، وهذه التحولات، برغم التناقضات التي تثيرها في الظاهر، تخفي منطقاً واحداً، هو منطق الفقيه المسلم التقليدي الذي تشبّع بالعلوم الفقهية للدولة الاسلامية، والذي لا يزال يحاول ان



الشيخ محمد رشيد رضا وابن عمه السيد عبد الرحمن عاصم.

يكيف رؤيته للدولة وأجهزتها ومؤسساتها مع التحديات الداخلية والخارجية التي تواجهها، وذلك عبر الاجتهاد والاستدلال بالبرهان تمشياً مع محاولة الدمج بين النموذج الاسلامي – التاريخي والأمر الواقع[١٦].
ورشيد يبحث في نصوصه السياسية عن نواة لمشروع هذه الدولة. وبغض النظر عن طبيعة القوى الاجتماعية التي تحمل هذا المشروع ومدى إمكانات تحققه الموضوعية فان الفقيه المسلم الذي يرى بأم عينه زوال آخر مظهر من مظاهر الدولة الاسلامية (الدولة العثمانية)، يعلّق الأمل الكبير على إمكانية إعادة بنائها: تارة عبر محاربة الاستبداد الفردي للسلطان بالدعوة إلى «الشورى» التي توازي «الديمقراطية الغربية» التي سمحت له أن يصدر «المنار» في مصر، (هذه الديمقراطية التي تتراءى له وكأنها هي سر نجاح الانكليز وقدرتهم)، وتارة اخرى عبر الرهان على حزب الاتحاد والترقي و«الدستور»؛ ثم وبعد تمكن العصبية التركية وسيطرتها وقهرها للعصبية العربية عبر تأييد حركة الشريف حسين، (باعتبار هذه الحركة مشروع إنقاذ للدولة الاسلامية)؛ وأخيراً وبعد ضعف هذا الأخير، عبر تأييد الدعوة السعودية – الوهابية ومشروعها السياسي، باعتباره مشروعاً يرتكز كما يقول إلى عصبية قوية و«تدين» أكيد يضمن نجاحه[١٧].

والواقع أن متابعة مواقف رشيد رضا عبر نصوصه نفسها، والتي لن نستطيع في سياق هذا المقال أن نعرض لها جميعاً وبالتفصيل[١٨]، تكتسب في هذه المرحلة حيث تطرح مهمة إعادة قراءة تاريخنا على أكثر من صعيد ولأكثر من سبب، أهمية أكيدة، فالتعميمات التي أطلقت على الفكر السياسي لعصر النهضة لا تعدو نعوتاً ايديولوجية أسقطت إسقاطاً على أوضاع ينبغي إعادة درسها من جديد. فمن مسألة المواقف من الدولة العثمانية وتشعب هذه المواقف تبعاً لمواقعها وأصولها الاجتماعية والثقافية، إلى مسألة «التماهي القومي» وتعددية وتقلُّب أشكال هذا التماهي من عثماني، واسلامي إلى عربي وأقاليمي وطوائفي.. إلى مسالة الاصلاح وعلاقته بأوروبا أي بالعلمانية والليبرالية من جهة وبالاسلام من جهة ثانية، إلى مسألة طبيعة الدولة في الشرق العربي والاسلامي.. فكل هذه المسائل تجد صيغاً لها في نصوص «المنار».. صيغاً انتجت في مرحلة استقبال الغرب الرأسمالي في الشرق العربي والاسلامي، وارتبطت بمعاناة مثقف مسلم تمثل دور الفقيه «الرسمي» في التاريخ الاسلامي وبحث بالتالي عن الصيغة المناسبة لمشروع دولة إسلامية بديلة في مرحلة انتقالية اتسمت بانهيار الدولة العثمانية، وقيام الدول المحلية التابعة للغرب، وسيطرة الامبريالية. ●





الهوامش

(١) عن: الأمير شكيب ارسلان: السيد رشيد رضا واخاء اربعين سنة. دمشق، ١٩٣٧، ص ٢٤.
(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٣٥-٣٦.
(٣) دوّنها في كتاب «المنار والأزهر» ونقل فصلاً منها شكيب ارسلان في كتابه المذكور سابقاً: «إخاء أربعين سنة».
(٤) المصدر السابق نفسه، ص ٣٦..
(٥) المصدر السابق نفسه، ص ٣٦ - ٤٠.
(٦) المصدر السابق نفسه، ص ٤١.
(٧) المصدر السابق نفسه، ص ٣٧.
(٨) آدمس، تشارلز: «الاسلام والتجديد في مصر»؛ ترجمة عباس محمود، لجنة دائرة المعارف الاسلامية، ١٩٣٥م.
(٩) عن: العدوي، ابراهيم أحمد: «رشيد رضا الإمام المجاهد».
(١٠) راجع في موضوعات «العروة الوثقى»: العدوي، ابراهيم أحمد: «رشيد رضا».. ص ٧٧ - ٨٦.
(١١) العدوي، ابراهيم أحمد: مرجع ذُكر سابقاً، ص ٩٢.
(١٢) العدوي، ابراهيم أحمد، ص ٩٦.
(١٣) من أقوال محمد عبده المشهورة: «أعوذ بالله من السياسة، ومن لفظ السياسة ومن معنى السياسة، ومن كل حرف يلفظ من كلمة السياسة، ومن كل خيال يخطر ببالي من السياسة، ومن كل أرض تذكر فيها السياسة، ومن كل شخص يتكلم أو يتعلم أو يجن أو يعقل في السياسة، ومن ساس ويسوس، وسائس ومسوس»، عن: العدوي، ابراهيم أحمد، ص ٢١٦ - ٢١٧.
(١٤) كما ورد عند: ارسلان، شكيب: «إخاء أربعين سنة»، ص ١٢٩.
(١٥) الفقرة لـ: الشرباصي، أحمد: «رشيد رضا، صاحب المنار، عصره وحياته ومصادر ثقافته»، القاهرة، ١٩٧٠، ص ١٣٦.
راجع أيضاً بشأن المحاورات التي دارت بين رضا وعبده بشأن المجلة: العدوي، ابراهيم، ذكر سابقاً، ص ١٢٦ - ١٣٥.
(١٦) ان نموذج الفقيه المسلم الرسمي، الذي واجه مشكلة استمرارية الخلافة الاسلامية وضرورة تكيفها مع المستجدات ورآها شرطاً لوحدة الاسلام واطاراً لاحتواء التناقضات بين القوى والفرق في صيغة توازن الأمر الواقع، ووسطية الحلول التي يفرضها هذا التوازن، هو الماوردي.
راجع حول هذه النقطة: «قوانين الوزارة وسياسة الملك»، للماوردي، تحقيق ودراسة الدكتور رضوان السيد، دار الطليعة، ١٩٧٩، ص ١١٣.
(١٧) يقول ابن خلدون: «ان الدعوة الدينية تزيد في أصلها قوة على قوة العصبية».
(١٨) عرضنا لهذا الموقف في كتاب هو قيد الطبع: «رشيد رضا: مختارات سياسية من مجلة المنار»، يصدر عن دار الطليعة، بيروت.



- اذا أطعمت جائعاً سمكةً فسيجوع بعد ساعات،
أما اذا علمته صيد السمك فسيشبع طول العمر.

حكمة صينية



المؤتمر الأول للطلاب العرب في أوروبا

بروكسل ٢٧-٣٠ ك١ (ديسمبر) ١٩٣٨

السفير الدكتور حليم أبو عز الدين



ظروف الدعوة إلى المؤتمر:

بين يديَّ «كتاب المؤتمر»[١] الذي وضعه واصدره المؤتمر الأول للطلاب العرب في أوروبا، المنعقد في بروكسيل، بلجيكا، بين ٢٧ و ٢٩ كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٣٨، وفيه ابحاث عن «القومية العربية: حقيقتها - اهدافها - وسائلها».

قرأته، بل اعدت قرأته، بشغف وحنان، ذلك انه اعاد إلي ذكريات قومية عزيزة، وذكريات طالبية شخصية غالية، احببت ان يشاركني فيها جيلنا المخضرم، والجيل العربي الجديد، عله يجد فيها بعض الفائدة، وبعض العبر.

كنا مجموعة من الطلاب العرب في أوروبا: سوريون، ولبنــــانيون، وعراقيون، ومصريون وفلسطينيون، واردنيون، وكنا ندرس في جامعات فرنسا، وبريطانيا، والمانيا، وبلجيكا.

وكانت سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، ومع ان البلدين كانا قد وقعا عامي ١٩٣٦ و١٩٣٧ على معاهدتين مع فرنسا تضعان حداً للانتداب، وتتيحان لهما الدخول كدولتين مستقلتين في عصبة الأمم، الا أن فرنسا، وقد بدت نذر الحرب تتجمع في أجواء أوروبا والعالم، توقفت عن ابرام هاتين المعاهدتين. وفلسطين كانت تئن من الانتداب البريطاني العامل على تحقيق سياسة الوطن القومي اليهودي وفقاً لما جاء في «وعد بلفور» الذي تبناه صك الانتداب

على فلسطين. أما العراق ومصر فكانا مستقلين تربطهما ببريطانيا معاهدتان تحدان من الاستقلال، وشرقي الاردن ضائع بين الانتداب والاستقلال.

وكنا في عام ١٩٣٨، عام «ميونيخ»، الذي سيطرت فيه المانيا على تشيكوسلوفاكيا، بعد أن كانت قد ضمت اليها النمسا، واعلنت «الانشلوس».

وكانت أوروبا تعيش في هاجس الحرب. فبعد الاستيلاء على النمسا، وعلى تشيكوسلوفاكيا، بقيت بولونيا، وممر دانزيغ. والاستيلاء على بولونيا، التي تضمن سلامتها معاهدة دفاعية بينها وبين بريطانيا وفرنسا، يعني الحرب. والحرب تعني الخراب والدمار، ولكنها قد تعني أيضاً الاستقلال والسيادة للبلدان المستضعفة الواقعة تحت الانتداب أو تحت الاستعمار.

تنادينا نحن الطلاب العرب في أوروبا، لعقد مؤتمر لنا نبحث فيه شؤوننا وشجوننا وآلامنا وآمالنا، حاضرنا ومستقبلنا. وشكلنا لجنة تحضيرية، كنت في عدادها، للاعداد للمؤتمر.

وبعد أن تدارست اللجنة التحضيرية أهداف المؤتمر وغاياته، ووسائله، ومكانه، واتفقت عليها، اصدرت بيانها الأول بالدعوة إلى المؤتمر.

وأرى ان من حق القارئ، ومن حق التاريخ، ان ننشر بعض وثائق المؤتمر كما صدرت في حينه. وأبدأ بنداء اللجنة التحضيرية:

إلى شبان العرب

بيان الهيئة التحضيرية المركزية

للمؤتمر الأول للطلاب العرب في أوروبا

«منذ فجر القدم أخذت السلائل العربية الأولى تنساب من الجزيرة إلى الاقطار المجاورة تحمل معها معالم المدنية والحضارة. ثم جاء محمد سيد العرب وموحد كلمتهم ومؤسس دولتهم. وكان البعث العربي الأكبر أكليل هذه المساعي لتأسيس حضارة عالمية خالدة. وانتشر العرب في العالم، واتخذوا مقاعدهم الدائمة في الأرض، ممتدة من العراق إلى المحيط، واضاؤوا في العالم مدى عدة قرون مصابيح مدنية جديدة فذة، وسلموا للاجيال التي تلتهم تراث المدنيات السابقة مزيداً فيه غير منقوص.

وادركت العرب اغفاءة، فتواترت على العالم



الصف الأمامي: من اليمين: الدكتور عبد الغني الدّلي والسفير حليم أبو عز الدين الصف الخلفي: من اليمين: عبد الرحمن البزاز، السفير الدكتور فريد الخاني، والدكتور موسى عبد الله الحسيني.

العربي النكبات، فغابت الوحدة، وضاع الاستقلال. ثم تسرب الانحلال إلى نظامهم الاجتماعي والاقتصادي، فساد التأخر وعمت الفاقة، وران على الشمائل العربية الكريمة صدأ الأهمال، وتنبه العرب من بعد، فاذا عيشهم بؤس، وعلمهم جهل، وشملهم شتيت، وسادتهم أجانب.

واليوم تضطرب في جوانب العالم العربي عوامل اليقظة والنهوض، وتتجلى هذه العوامل كفاحاً مستعراً في الشمال الافريقي، وثورة دامية في فلسطين، وموتاً يتساقط قنابل في الجنوب العربي، وتطوراً يشبه الثورة في البلاد التي ادركت غايتها الأولى ونالت شبحاً من الحرية أو ظلاً من الاستقلال. وهذه الثورات، وان اختلفت صورها، انما هي في الحقيقة مظاهر متعددة لشيء واحد هو البعث العربي الجديد لقومية عربية تسعى نحو التحرر والوحدة والمجد.

وهذا البعث العربي الجديد انما يصدر عن ادراك العرب ان الاستعمار هو الوحش الجائم فوق

صدورهم جميعاً، ليختطف من فمهم لقمة الخبز ويحرم اعينهم نور العلم، ولا امان من الاستعمار الا بالتكتل والوحدة، وينبعث عن شعورهم بانهم امة واحدة في ثقافتها وتاريخها ومصالحها، لها مكانتها تحت الشمس، وواجبها نحو المجموع البشري، ورسالتها للناس، كافة، وينبثق عن حيوية فيهم عجيبة حفظتهم طوال قرون الغفلة ولقد تألبت عليهم اذ ذاك قوى العالم تحاول ابادتهم وافناءهم، بشتى الافانين. ولكن الحيوية صمدت للقدر، وصبرت على البلاء، واستطاعت البقاء، ورجع الظالم يعض على يديه، ويقبض على الريح.

ولكن لئن كانت القومية العربية غنية بوسائل القوة وأسباب النهوض، فلانه لا يزال ينقصها شيء من الاتفاق والانسجام في اهدافها، والتحديد والوضوح في وسائلها، والتنظيم والتأليف بين جهود العاملين في سبيلها. وما لم يتأت ذلك للقضية العربية، بعدت الشقة وتشعبت السبل، وضاعت الجهود سدى، واوشكت ان تضل الهداة.

ولقد شعر بهذه الحاجة الطلبة العرب في أوروبا، وتجلت لهم اثناء اجتماعاتهم ومناقشاتهم في هذه الشؤون العامة. فأتصلت جمعياتهم وافرادهم في لندن وبرلين وباريس، والفوا من ممثلي هذه الهيئات هيئة مركزية تحضيرية تدعو إلى مؤتمر لهم يعقدونه في دوقية لكسمبورغ[٢] في أواخر كانون الأول (من هذا العام ١٩٣٨)، يحاولون فيه تحديد اهدافهم القومية في الشؤون الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ويضعون المناهج الكفيلة بتحقيقها، ويبحثون في شؤون الطلبة العرب في أوروبا، ساعين إلى تهيئة ما يسهل تعارفهم وتعاونهم في المستقبل.

ولئن كانت تنقص الشباب الخبرة وتعوزهم كثرة التجارب، فانهم بوجودهم في هذا الافق الغربي أقدر على دراسة هذه المسائل بعيداً عن النزعات المحلية وتفهمها على ضوء ما يجري في هذه البلاد، وما كتبه أو عمله العاملون في الحقل القومي من قبل. وان لهم من ايمان الشباب وعزيمة الفتيان وخلوص النية ما يسهل عليهم واجبهم وينير امامهم السبيل. الا وان لهم أو عليهم المستقبل، لمن حقهم بل من واجبهم ان يكون لهم في تحديده والعمل له نصيب وفير.

فيا أيها الفتى العربي:

ان كنت قومياً يعتقد بأن العرب أمة لها في هذا العالم حق، هو ان تعيش الحياة التي تريد، حرة متحدة غنية عزيزة، وعليها واجب، هو ان تتعاون مع الامم الأخرى في بناء مجتمع عالمي اصح واهدى سبيلاً، ولها رسالة تحمل مشكاتها فتنير بها جنبات هذا العالم المظلمة هي رسالة الحق والحرية والسلام.

ويا ايها الأخ العربي!

إذا كان يعجبك ان تجتمع باخوانك من الاقطار الأخرى تحدثهم ويحدثونك عن قطرك وقطرهم، والمك والمهم، واملك في الحياة واملهم، ثم تسمر معهم ويسمرون معك، وتأنس بهم ويأنسون بك ثم تلهون قسطاً من الوقت معاً، وتنشدون اناشيدكم الشعبية معاً، ثم تجدون معاً خطة للعمل المشترك للاهداف القومية التي تستهدف ويستهدفون.

ويا أيها الشاب القومي!

إذا كنت تشهد في هذا العالم سير القوميات ونهضاتها وتقدمها فتتمنى لو كانت لقومك نهضة منظمة فعالة كنهضات تلك الأمم، وتحب ان تتعاون مع العاملين في فك القيود وتحطيم الاغلال، وتود لو اتيح لشبان العرب ان يجتمعوا ويفكروا في أحوال الوطن العربي فيشخصون الداء، ويعينون الدواء، ويقرون الهدف، ويحددون الغاية، ثم يرسمون الوسائل والخطط، ويمضون في تنفيذها قدماً.

إذا كنت كل أولئك، أو اذا اردت ان تكون كذلك، فهلم إذاً فها هو المؤتمر الأول للطلاب العرب في أوروبا يتيح لك الفرصة. ساعد في شأن هذا المؤتمر وتحدث عنه إلى اخوانك وفكر في بحوثه وتعاون مع اخوانك في تحضيرها.

اتصل حالاً بالهيئة التحضيرية المركزية وابعث اليها بعنوانك وعناوين اخوانك من الطلبة، ثم صمم على القدوم إلى لكسمبورغ (اصبحت بروكسيل فيما بعد) في آواخر كانون الأول من هذا العام».

الهيئة التحضيرية المركزية للمؤتمر الأول للطلاب العرب في أوروبا أول تشرين الأول ١٩٣٨.

افتتاح المؤتمر:

لقد لاقى هذا النداء تجاوباً طيباً من قبل الطلاب العرب الذين طلب الكثير منهم المشاركة في أعمال المؤتمر. وغني عن القول ان عدد الطلاب



الدكتور عدنان القوتلي. حليم أبو عز الدين، السفير الدكتور فريد الخاني. الدكتور أسعد المحاسني والدكتور موسى الحسيني.

العرب في أوروبا في ذلك الحين (عام ١٩٣٨) لم يكن على ما هو عليه الآن.

فأقبل الثلاثون منهم، ويمثلون العشرات من غيرهم، إلى بروكسيل، التي اختيرت في النهاية بدلاً من لكسبورغ كمكان للمؤتمر.

واعود إلى «كتاب المؤتمر»، الذي وضعناه في حينه واستعير منه كلامه عن «جلسات المؤتمر وقراراته». فقد ورد فيه بالنص:

«افتتح المؤتمر في وقته المحدد له في الساعة الثالثة بعد الظهر، يوم الثلاثاء ٢٧ كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٣٨ في «دار الطلبة» في بروكسيل».

وقد حضر جلسة الافتتاح السادة:

اسعد المحاسني (دمشق)، ادوار تونتنجي (حلب)، اغسطس قسطندي (القاهرة)، امين الراوي (بغداد)، بدر الفاهوم (الناصرة)، حليم أبو عز الدين (العبادية – لبنان) حيدر العجلاني (دمشق)، رفاعي حديد (الموصل)، رفيق السيوفي (دمشق)، سالم المدلل (بغداد)، شاهر حسين ضاهر (فلسطين)، عبد الرحمن البزاز (بغداد)، عبد العزيز الدوري (بغداد)، عبد الغني الدلي (سوق الشيوخ – العراق) عباس عبد اللطيف (بغداد)، عبد الله عيتاني (دمشق)، عزت طرابلسي (دمشق)، عدنان القوتلي (دمشق)، عفيف فاخوري (بيروت)، عوني عزيز الداودي (القدس)، نوري كاشف الغطاء (النجف)، هاني هاشم (عمان)، وفيق الرمالي (القاهرة)، يحيى رضا (اللد).

«وهؤلاء السادة يدرسون في انكلترا وفرنسا وبلجيكا والمانيا، وقد حالت عقبات دون الكثيرين من الطلاب العرب منعتهم من الحضور، وقد ارسل الطلبة المغاربة في باريس يأسفون لعدم تمكنهم من الحضور، ويؤيدون المؤتمر، ووردت برقية تأييد واعتذار من الطلبة العرب في غرينوبل أما معظم الطلبة العرب في المانيا فقد امتنعت القنصلية البلجيكية عن السماح لهم بدخول بلجيكا فأرسلوا يعتذرون ويؤيدون المؤتمر».

ترأس الجلسة أكبر الاعضاء سناً الدكتور قاسم البزركان. وبعد الوقوف بضع دقائق حداداً على شهداء العرب، وتبادل كلمات الترحيب مع مندوبي اتحاد الطلبة البلجيكيين، قام السيد عبد الغني الدلي وتلي باسم الهيئة التحضيرية المركزية تقريراً عن اعمالها وعن مالية المؤتمر، فوافق عليه المؤتمر.

«وبعد ذلك انتخب المؤتمر بالاقتراع السري السادة: موسى الحسيني، عبد الرحمن البزاز، حليم

أبو عز الدين، اعضاء في الهيئة الادارية للمؤتمر، ليكملوا نصاب الهيئة الادارية مع العضويين الطبيعيين فيها، وهما السيدان فريد الخاني وعبد الغني الدلي، بصفتهما ممثلي باريس ولندن في الهيئة التحضيرية المركزية.

اللجان:

«ثم انتخبت الهيئة الادارية من بين اعضائها السيد فريد الخاني رئيساً للمؤتمر، وانتخب المؤتمر من بين اعضاء الهيئة الادارية السيد موسى الحسيني اميناً للسر».

«ثم انتخبت الهيئة الادارية السيدين عبد الرحمن البزاز وحليم أبو عز الدين نائبين للرئيس والسيد عبد الغني الدلي اميناً للصندوق.

«وانقسم المؤتمر بعد ذلك إلى ثلاث لجان»:

الأولى: اللجنة السياسية: لتدرس التقرير المقدم لها من لجنة البحث السياسية التحضيرية عن «أهداف الطلبة العرب القومية في الناحية السياسية ووسائل تحقيقها»، وقد كان رئيسها السيد وفيق الرمالي، ومقرراها السيدين موسى الحسيني، وحليم أبو عز الدين.

الثانية: اللجنة الاقتصادية: لتدرس تقريرا عن «اهداف الطلبة العرب القومية في الناحية الاقتصادية ووسائل تحقيقها»، وقد كان رئيسها السيد عبد الغني الدلي، ومقرراها السيدين رفيق السيوفي وفرحات زيادة.

والثالثة: لجنة الشؤون الاجتماعية وشؤون الطلاب: لتدرس تقريرين عن «أهداف الطلبة العرب القومية في الناحية الاجتماعية ووسائل تحقيقها»، وعن «شؤون الطلبة العرب في أوروبا»، وقد كان رئيسها السيد عبد الرحمن البزاز، ومقرراها السيدان عوني عزيز الداودي وحيدر العجلاني.

«وقد استمر عمل هذه اللجان بقية اليوم الأول، وطوال اليوم الثاني، الا انه في مساء اليوم الأول اقيمت حفلة سمر للاعضاء انشدت فيها الاناشيد الوطنية والشعبية، وفي صباح اليوم الثاني ذهب الأعضاء فوضعوا اكليلاً على قبر الجندي المجهول، وزاروا مدينة بروكسيل، واجتمعت لجان المؤتمر بعد الظهر.

«وفي صباح اليوم الثالث عاد المؤتمر بكامل هيئته للاجتماع، فبحث التقارير الاربعة كما اقرتها لجان المؤتمر، واقرها بعد تعديلات شتى».

وفيما يلي القرارات النهائية التي اتخذها المؤتمر:

قرارات المؤتمر الأول للطلاب العرب في أوروبا

بروكسيل ٢٧ – ٢٩ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٣٨

١ – يتخذ المؤتمر ميثاقاً قومياً مقتبساً من البحوث التي اقرها ومن مقرراته، ويتعاون الاعضاء مع الهيئة التنفيذية في سبيل تنفيذ مقررات المؤتمر بكل وسيلة وفي كل مكان.

والميثاق القومي هو:

«أنا عربي، اؤمن بان العرب أمة واحدة، حقها المقدس ان تكون كاملة السيادة في تصريف شؤونها، تدفعها قوميتها المتحفزة إلى تحرير الوطن العربي واتحاده بكافة اجزائه، وإلى تأسيس نظم سياسية واقتصادية واجتماعية أعدل وأصلح من النظم الراهنة فيه، تستهدف ترقية مستوى المعيشة وزيادة الخير المادي والمعنوي للشعب، وتريد ان تساهم في العمل لخير المجموع الانساني، وتسعى لتحقيق ذلك بالعمل الدائب على أساس التنظيم القومي. اعاهد الله على أن اجاهد في هذا السبيل ما استطعت، واضعاً المصلحة القومية فوق كل اعتبار».

٢ – تنشر اللجنة التنفيذية مقررات المؤتمر في كتاب خاص تترجمه للفرنسية والانجليزية والالمانية، ثم تلحقه بالدعاية الدائمة للفكرة القومية بأساليب مختلفة في الوطن والخارج.

٣ – تتصل اللجنة التنفيذية بالهيئات العربية التي تتفق مع مبادئها، وترسل اليها كتاب المؤتمر، وتدعوها إلى نشر مبادئ المؤتمر وتحقيقها.

٤ – هذا المؤتمر دوري. ينعقد كل عام، والهيئة التنفيذية تحقق ذلك، وتدعو إلى عقد مؤتمرات مماثلة له في الوطن العربي، وتسعى إلى توثيق الارتباط بين هذه المؤتمرات.

والمؤتمر يرحب بفكرة عقد مؤتمر للشباب العربي في دمشق ويتمنى له النجاح.

٥ – تؤلف في العواصم الاوروبية جمعيات للطلبة العرب يكون من واجبها العمل بروح هذا المؤتمر، وتتعاون مع الهيئات العربية المماثلة، بشرط ان تحتفظ بكيانها المستقل، وبصبغتها العلمية والعملية، بعيدة عن النزعات التي لا تتفق مع مبادئ هذا المؤتمر، وكذلك الشأن في الجمعيات الموجودة.

٦ – تتصل اللجنة التنفيذية بسائر مؤسسات الطلبة الدولية للعمل في سبيل الحرية ولشرح فكرة المؤتمر للغرب.

٧ – ارسال برقيتين بشأن سوريا وفلسطين للمراجع المسؤولة.

٨ – دعوة شعراء العربية لتأليف نشيد قومي للمؤتمر، يعبر عن فكرة القومية العربية، وتلحين ذلك النشيد.

٩ – ارسال مذكرة من قبل اللجنة التنفيذية للمؤتمر إلى وفود الدول العربية التي ستجتمع في لندن لحضور المؤتمر المزمع عقده بشأن فلسطين، تحتوي على النقاط الآتية:

أولاً: حل مشكلة فلسطين يجب أن يكون على الاسس التالية:

(أ) تأسيس حكومة دستورية مستقلة في فلسطين، وانهاء الانتداب، والارتباط مع بريطانيا بمعاهدة تحالف.

(ب) وقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين وقفاً باتاً.

(هـ) فلسطين عربية، وتشكل نقطة هامة وجزءاً لا يتجزأ من الجسم العربي.

ثانياً: الاستفادة من وجودهم هناك لتقوية الحلف العربي سياسياً واقتصادياً، والسعي لدى الحكومة المصرية للانضمام إلى الحلف.

ثالثاً: استعمال نفوذهم في حلّ المسألة السورية.

١٠ – تأييد حركة الكفاح القومي في فلسطين،



هيئة المكتب: في الوسط السيد فريد الخاني وعن يمينه السكرتير السيد موسى الحسيني ثم نائب الرئيس السيد حليم سعيد أبو عز الدين وعن يسار الرئيس السيد البزاز فالسيد عبد الغني الدلّي أمين الصندوق.

وتحية الثورة الفلسطينية.

١١ – على الشبـاب العربـي في العـواصم الأوروبية ان يهتم بأمر الدعاية بكافة الطرق والوسائل لدعم مطالب سوريا، وتأييد مطالب عرب فلسطين، والدعاية لأي قضية عربية أخرى، وشرح الفكرة القومية العامة. ويأمل ان تتلقى هذه المساعي كل معونة وتشجيع من الافراد والهيئات العربية.

١٢ – شكر الهيئتين التحضيرية والادارية على جهودهما.

١٣ – تتكون اللجنة التنفيذية للمؤتمر من تسعة اعضاء، ينتخب المؤتمر ثلاثة اعضاء للجنة التنفيذية من الطلاب العرب في باريس، وثلاثة اعضاء من الطلاب العرب في لندن، ويتفاهم الستة مع الطلاب العرب في برلين على تسمية ثلاثة اعضاء من الطلاب العرب في المانيا.

١٤ – في حالة استقالة أو انسحاب أو تغيب أي بلد، ينتخب العضوان الباقيان عن ذلك البلد من يخلفه.

١٥ – انتخب عن باريس بالاجماع السادة: عدنان القوتلي، حيدر العجلاني، حليم أبو عز الدين.

١٦ – انتخب عن لندن السادة: موسى الحسيني، فرحات زيادة، عبد العزيز الدوري.

رسائل المؤتمر إلى فرنسا وبريطانيا وعصبة الأمم

وانفض المؤتمر في منتصف ليل الخميس ٢٩ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٣٨. وفيما يلي نص البرقيتين اللتين ارسلهما المؤتمر، وفقاً للبند السابع من المقررات المذكورة آنفا، إلى كل من الحكومتين البريطانية، والفرنسية، وإلى عصبة الأمم:

أولاً: البرقية التي ارسلها المؤتمر بشأن قضية فلسطين إلى كل من رئيس الوزراء، ووزيري الخارجية والمستعمرات في بريطانيا، وإلى عصبة الأمم في جنيف:

«الطلاب العرب في أوروبا، في مؤتمرهم الأول، يحتجون ضد السياسة البريطانية وفظائع الجند في فلسطين، ويعلنون ان الحل الوحيد هو:

١ – تشكيل حكومة مستقلة دستورية.

٢ – توقيف الهجرة اليهودية.

٣ – معاهدة صداقة وتحالف بين بريطانيا وفلسطين».

ثانياً: البرقية التي ارسلها المؤتمر بشأن سوريا إلى كل من رئيس الوزراء، وزير الخارجية، مقرري لجنتي الشؤون الخارجية في مجلسي الشيوخ والنواب الفرنسيين، وإلى عصبة الأمم:

«الطلاب العرب في أوروبا في مؤتمرهم الأول في بروكسيل يحتجون بكل قوة على السياسة المتبعة في سوريا، ويؤيدون كافة مطالب الشعب السوري الرامية إلى تحقيق استقلاله الكامل والناجز».

انفض المؤتمر الأول للطلاب العرب في أوروبا، وعاد اعضاؤه كل إلى البلد الذي يدرس فيه، وعمل اعضاء اللجنة التنفيذية في كل من بريطانيا وفرنسا والمانيا على تشكيل نواة للعمل الطالبي السياسي والاجتماعي على الصعيدين القومي والوطني.

ولا بد لي من القول اننا في جماعة باريس اجرينا اتصالات عدة مع الأوساط الطالبية والسياسية الفرنسية، اذكر منها تلك التي كانت تتعاطف والحركات التحررية في العالم. كما اجتمعنا بعدد من اعضاء لجنتي الشؤون الخارجية في مجلسي الشيوخ والنواب الفرنسيين وتناقشنا معهم في موضوع ابرام المعاهدتين السورية – الفرنسية، واللبنانية – الفرنسية. واخص بالذكر اجتماعاً لنا مع السناتور هنري هاي، عضو مجلس الشيوخ الفرنسي عن فرساي، ومقرر لجنة الشيوخ الخارجية عن المعاهدتين السورية واللبنانية. وخرجنا من الاجتماع بانطباع واضح ان فرنسا لم تكن في وارد ابرام هاتين المعاهدتين، خاصة بعد أزمة ميونيخ، وتجمع سحب الحرب في سماء أوروبا.

وفي أول أيلول عام ١٩٣٩ وقعت الحرب، وتفرق الطلاب العرب، واتخذت الاحداث اتجاهاً آخر تحدده الحرب ونتائجها. ●

---

(١) طبع في دار الأحد للطبع والنشر.

(٢) تم عقد المؤتمر فيما بعد في بروكسيل عاصمة البلجيك.



منظر الادارة العباسيّة في العصر البويـهي

الدكتور ابراهيم بيضون

● «الماوردي»[١] اسم يتردد خاصة في الكتابات التاريخية ذات الطابع الاداري والتشريعي. وهو من أكثر الأسماء جذباً للمهتمين بدراسة الفكر السياسي الاسلامي في التاريخ الوسيط. وكان كتابه الشهير «الأحكام السلطانية» أحد المصادر الرئيسية والنادرة للتعرف إلى طبيعة نظام الحكم في الدولة العربية الاسلامية، من عصر القوة والسلطة الفعلية للخلفاء إلى عصر الانحدار والحكم الاسمي مع امراء البويهيين خاصة، حيث عاش «الماوردي» موظفاً كبيراً في بلاط القادر بالله ثم القائم بأمر الله، وذلك في النصف الأول من القرن الخامس الهجري. وطلع آنذاك بالمقولة الشهيرة التي انطوت على نظريته في الحكم أو الخلافة – السلطة العليا من حيث المبدأ – بأنها «موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين والدنيا، وعقدها لمن يقوم في الأمة واجب بالأجماع»[٢].

«والأحكام السلطانية» ليست كل تراث الماوردي في اطار الفكر السياسي، فقد ترك لنا بضعة كتب في غاية الأهمية وهي: تسهيل النظر وتعجيل الظفر في اخلاق الملك وسياسة الملك/نصيحة الملوك/أدب الدنيا والدين/قوانين الوزارة وسياسة الملك. وهي جميعها مضافاً اليها مؤلفات أخرى في الفقه الشافعي[٣]، دوّنها على الارجح إثر ابتعاده عن القصر ودخول السلاجقة بغداد فاعتكف في بيته، متفرغاً للكتابة ومستفيداً من خبرته في الادارة ومعايشته لتناقضاتها وأمراضها المستعصية. والكتاب الأخير – أي قوانين الوزارة وسياسة الملك – كان لا يزال مجهولاً ربما للكثيرين، حتى قيام الدكتور رضوان السيد بتحقيق مخطوطته ونشرها مؤخراً في اطار دراسة قيمة ورضية.

والحقيقة ان مادة الكتاب الخاصة بالدكتور السيد جاءت في غالبيتها مناقشةً لـ «الأحكام السلطانية» ونظريته في الخلافة، ومن ثم دعوته للنهوض بها، كعلاج جذري لمشكلة السلطة في الدولة العباسية. ولعله وجد في هذا الكتاب – وهو مصيب بدون ريب – مفتاح نظرية الماوردي في القضايا السياسية الرئيسة في ذلك الوقت[٤]. حيث نظر إلى الخلافة على أنها النظام الوحيد، القادر على تحقيق الاستقرار السياسي والاقتصادي. ومن الواضح ان هذه النظرية عاشت في وجدان الكثيرين من مفكري المشرق الأسلامي، الذين وجدوا في النظام المركزي أو الخلافي، حتى في عصور الانحطاط، القديمة والمستجدة، العلاج الوحيد لمشكلة الحكم في المنطقة، وليس أدلّ على ذلك من تعاقب الأنظمة ذات الطابع الاستقلالي، دون أن تتعارض مع خلافة بغداد الأسمية، ومن دون التوقف عند شرعية هذه الأنظمة أو من يمثلها، هويةً ومذهباً. ولعل الثورة الأيوانية تصب في ذات المجرى المركزي، حيث

الدكتور ابراهيم بيضون.
استاذ التاريخ الاسلامي في الجامعة اللبنانية.
المؤلفات:
- تاريخ العرب السياسي من فجر الاسلام حتى سقوط بغداد بالأشتراك مع د. سهيل زكار.
- التوابون.
- الدولة العربية في اسبانية.
- ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري.
- إلى جانب مقالات وأبحاث نشرت في مجلات:
- الفكر العربي.
- المؤرخ العربي.
- الباحث.
- المنطلق.

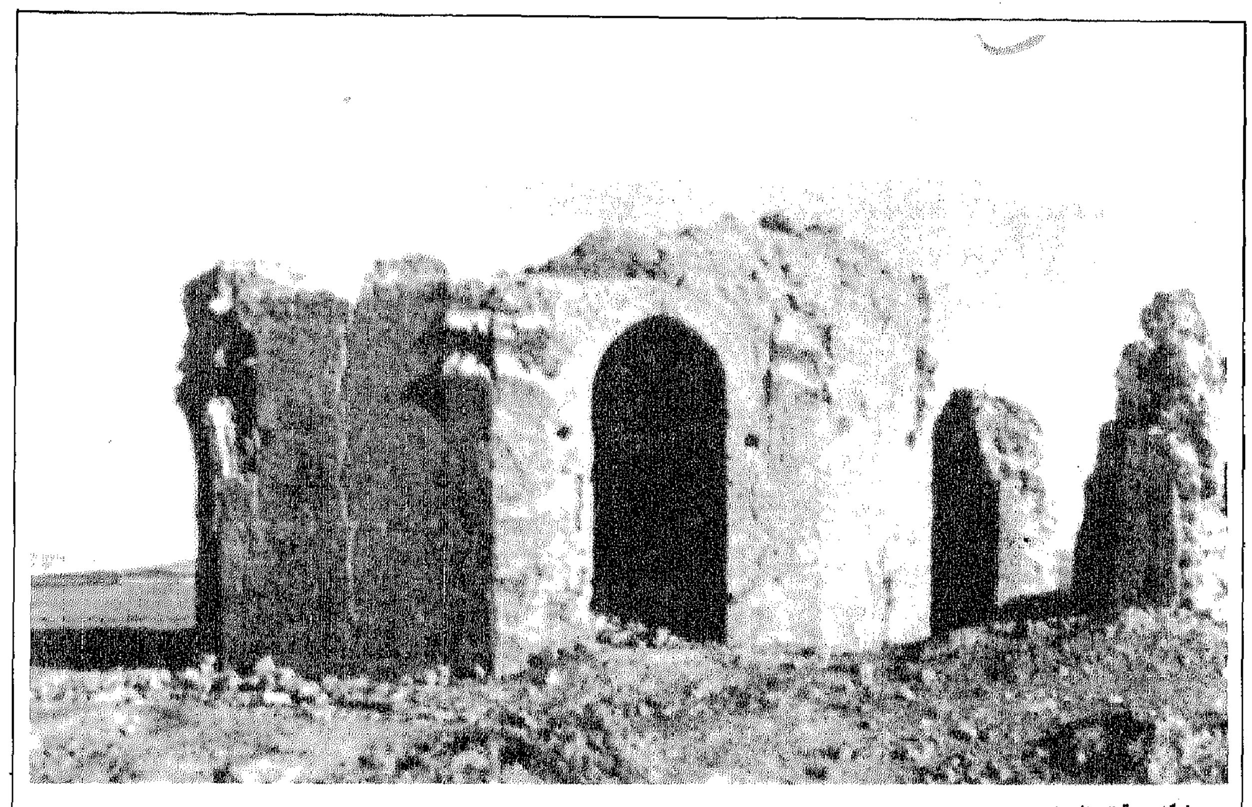
حملت – بصرف النظر عن النجاح أو الفشل – ملامح هذه الشخصية الاسلامية، المستمدة في العمق من النظام الخلافي في عهوده المبكرة والأولى، ورفضت أي أطار آخر بما فيه الأطار القومي، المتعارض حكماً مع هذه النظرية.

... والطريق إلى الوزارة ليس معقداً، فالخلافة تختصره حتى العدم أحياناً. والدكتور السيّد قد اجتاز الطريق العريض في هذا الاتجاه، حيث الخلافة هي السلطة المطلقة والمرجع لكل الأمور. أو كما عرفها الماوردي في قول آخر بأنها «مؤسسة ضرورية لا معدى عنها للدين أو الدنيا»[٥]. وهو تنظير لا يختلف عن سابقه في تحديد أهداف ومهام الخلافة، وتأكيد التحام السلطتين الروحية والزمنية في الدولة.

موقفه التقليدي

والماوردي هنا سلفي حتى التطرف، لا ينفك يقدّم السلف على الخلف، وهو موقف تقليدي لمفكر عاش قريباً من الخلافة وفي بلاطها. ومن الملفت للأنتباه، أنه في الجانب التاريخي مما كتبه كان دائماً رجل السلطة الذي تغلب عليه الموالاة وتسويغ المواقف المختلفة، مشروعةً كانت أم غير مشروعة. فخلفاء العهد الراشدي، متقدّمون باسبقيتهم أو بتسلسلهم. ولا يخرج من هذه القاعدة عثمان، الذي كان هدف ثورة دموية، حركتها النقمة على الاستغلال والاستئثار اللذين رافقا خلافته. فجل ما يقوله الماوردي في حادثة خطيرة كهذه «وكان مما نقمه الناس على عثمان رضي الله عنه، أنه جعل كل الصلات من مال الفيء ولم ير الفرق بين الأمرين»[٦].

ولا يتخلى الماوردي عن موقفه التقليدي هذا، عندما يتحدث عن خلافة الأمويين، متجاهلاً أو يكاد، قيامها في اعقاب حرب أهلية دامية. وكذلك خلافة العباسيين التي قامت على انقاض الأولى، دون ابداء تعليق أو موقف خاص. فهو يرى هذه المؤسسة وكأنها تتابع مسارها الطبيعي منذ خلافة أبي بكر، رغم التباين الجذري بين عهد وآخر في الرؤية والطرح والممارسة. وهو كذلك يتجاهل الأسباب التي كانت وراء انهيار هذا النظام أو ذاك، كما يغضي النظر عن أخطاء بعض الخلفاء ولا يجيز محاسبتهم عليها أو الثورة باسمها. فلم يتعرض مثلاً لخلافة يزيد الأولى بأي انتقاد، سواء انطلق من مسؤوليتها في مقتل الحسين، أو في انتهاكها للكعبة، في محاولة القضاء على



سامرّا: قبة الصليبية.

حركة ابن الزبير. وإذا ما حملت عباراته القليل من النقد لبعض الخلفاء الأمويين والكثير من المدح لأثنين منهم على الأقل (عبد الملك وعمر بن عبد العزيز)، فلأن الخلافة في نظره فوق النقد وربما فوق الشبهات، ولأن كلاً من هذين الخليفتين يمثل المضمون المثالي للمؤسسة، كما تطلع اليها أو رُوج لها في عصر الانحطاط السياسي للخلافة. فهو نازع إلى التقليد بالفطرة والثقافة والأنتماء ورافض لكل تغيير انقلابي أو ثوري، وإن تمادت السلطة في الأخطاء واستحكم فيها الفشل.

اعتداله وواقعيته السياسية

على أن الجابية ينبغي أن تسجل «للماوردي» هي التزامه من جهة أخرى بالاعتدال والواقعية السياسية. وإذا كان محكوماً بعدم التعريض بالشيعة، بسيطرة البويهيين على السلطة كما يرى الدكتور السيّد، فأن الذي غلب عليه دائماً التوازن والبعد عن الانفعال. في وقت كان يتصدى لقضية حساسة هي الخلافة. وكان دفاعه عن هذه المؤسسة في أيام البويهيين. لا يختلف عنه في أيام السلاجقة. وهو يعدو أن يكون دفاعاً عن وجهة نظره، واستطراداً عن مذهبه الذي تمثله الخلافة[٧].

وهكذا تنطلق فلسفة الماوردي في الحكم من موقع تقليدي وسلفي. ومن داخل السلطة نفسها. وجاءت كتاباته دراسة للعصر. حيث تأثر الماوردي وسجلاً لأحداثه المفصلة بما فيها الوزارة والامارة. فضلاً عن المذاهب وجدليات العلماء والصراعات السياسية والفكرية إلى آخر ذلك.. هذا عدا القضية المحورية التي استأثرت باهتمامه وهي الخلافة. وقد عالجها «من خلال منظورين كلاهما يرى الخلافة ضرورية وواجبة لكن الشكل يختلف»[٨]:

المنظور الأول هو النص (منطق الشيعة الأمامية ونص السنيين) والمنظور الثاني هو الأختيار. «ويرى أن جماعة المسلمين الذي يمثلهم أهل الحل والعقد هم الذين يختارون الامام دونما نص أو تعيين سابق أو وراثة»[٩].

فهو يرفض النص. ولكنه لا يجد ما يمنع تعيين الخليفة من جانب سلفه حرصاً على التسلسلية وتفادياً لشغور مركز الأمام. ومن ناحية أخرى. فإن الماوردي يرفض مبدأ عزل الخليفة حتى لو كان هدفاً للطعن في كفاءته. والحالة الوحيدة التي تجيز هذا الأجراء، هي ثبوت ما يسميه بـ«فساد الخليفة».. وهو إما جسدي كعاهة ما، أو أخلاقي كعدم توفر شرط العدالة فيه. الـذي هو شرط الولاية أولاً وأخيراً بـرأي الماوردي[١٠].

الحكم العباسي وتأثيره في فكر الماوردي

والحقيقة ان ثمة عاملين تحكما في فكر الماوردي: أولهما. ضعف الخلافة العباسية. وثانيهما سيطرة البويهيين الشيعة على السلطة الفعلية في بغداد. وقد انعكس ذلك على آرائه بصورة مباشرة. وجعلها متأثرة بالتطورات التي اجتاحت العالم الاسلامي آنذاك. سواء في العراق والمشرق حيث سيطرت الشيعة الامامية على الحكم. أو في مصر والمغرب وبعض الشام. حيث تزعمت الشيعة الاسماعيلية خلافة جديدة. فكان موقف الماوردي في مضمونه دعوة إلى تدعيم الموقف السني. بمذهب الخلافة العباسية الرسمي. أو هجمة معاكسة ضد دعوات المعارضة وتياراتها المختلفة. وهذا ما يسميه الدكتور السيد بحركة الاحياء السني التي تبلورت في عهد الخليفة القادر.

ولكن الخلافة. مؤسسة مطلقة الصلاحيات كما تطلع اليها الماوردي. تحولت مع الوقت إلى مجرد رمز. وفشلت في تحقيق الحدّ الأدنى من السلطة الفعلية. وظلت مطية يتسلقها ذوو الطموح والسلطات. وتنوء باعبائها ومشاكلها المستعصية. فهي لم تنتصر باستيلاء السلاجقة على الحكم في بغداد. بل المذهب الذي تمثله. تعززت مكانته في العاصمة والأقاليم الأخرى المجاورة[١١].

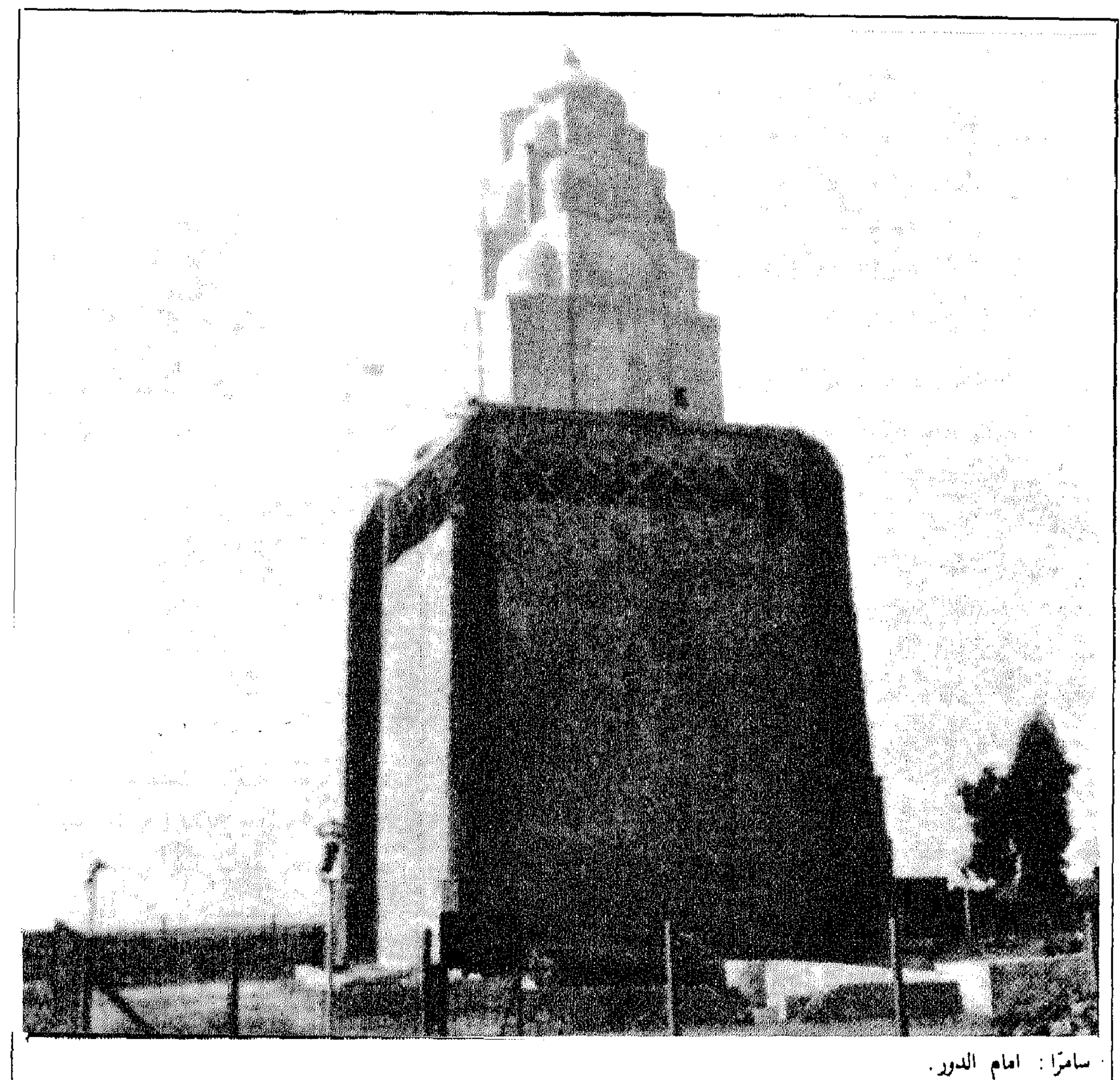
وإذا كانت نظرية الماوردي السياسية لم تحقق النجاح الذي تمناه. فأنها اسهمت في بلورة مفهوم متطور نسبياً لنظام الخلافة بجعله مؤسسة ضرورية لكل زمان ومكان «ورمزاً لوحدة الاسلام وتضامن المسلمين»[١٢]. ولعل ذلك يعود بنا إلى بحث مسألة الامارة وعلاقتها بالخلافة. على ضوء تشريع الماوردي. باعتبار أن الأمير هو نائب الخليفة[١٣]. فاذا جرى التعيين بشكل طبيعي. أي بتفويض من الخليفة. فهي (امارة استكفاء) على حد تعبير الماوردي[١٤]. بينما هي (امارة استيلاء) إذا كانت رغم ارادته ومرغماً على

الاعتراف بها. والماوردي كان معاصراً للنوع الثاني من الامارة، حيث الخلافة فقدت آخر رموزها المركزية بعد قيام خلافتي مصر والأندلس والماوردي فيما كتبه لم يشترع نظاماً جديداً، بل تعامل مع نظام قائم ووضع اطار صيغة توفيقيه بين خلافة فخرية وبين امارة استيلاء في يدها السلطة الحقيقية.

الوزارة...

ومن «الأحكام السلطانية» حيث أفاض الدكتور السيد في شرح وتحليل نظرية الماوردي في الخلافة، يتابع من خلال الرؤية ذاتها مناقشة «قوانين الوزارة وسياسة الملك» موضوع التحقيق. والمادة هنا رغم ضآلتها ليست في الواقع منفصلة عن المادة السابقة المتعلقة بالخلافة فهذه الأخيرة تمثل من حيث المبدأ السلطة المطلقة في الدولة وتتحجم في ظلها كافة المؤسسات الادارية والعسكرية. وهذا ما جعلها متنافرة بل متناقضة مع أية مؤسسة أخرى مستجدة كالامارة أو الوزارة. لان مفهوم الخلافة، حسب قول الدكتور السيد «لا يسمح بقيام مراكز قوى متعددة في الدولة»[15]. ومن هنا نفسر ظهور الوزارة بشكل وثيق الارتباط ببداية تدهور الخلافة.

بيد أن الوزارة التي تردد ذكرها لأول مرة في ظل الغياب المؤقت للأمام العباسي. حيث أشتهر أبو سلمة الخلال بوزير آل محمد. لم تنتزع من الخلافة سوى القليل من صلاحياتها التي انتقلت في معظمها إلى (امارة الاستيلاء) فقد فشلت كمؤسسة مدنية تجاوز



سامرّا: امام الدور.

دورها الثانوي، في وقت اشتدت فيه قبضة العسكريين على السلطة. أي ان الوزير عاش في ظل الأمير ابان عصر الانحدار، كما عاش في ظل الخليفة ابان عصر القوة. ولم تحقق الوزارة دورها الفعلي في السلطة الا في أواخر الحكم الفاطمي[١٦]، حيث ساعدت موازين القوى آنذاك على تألق هذه المؤسسة على حساب الخلافة، بينما كانت المؤسسة العسكرية في بغداد المستفيدة الأولى من هذه الظروف.

والماوردي في (قوانين الوزارة) يتوجه إلى معاصره الوزير ابن المسلمة بلغة مباشرة ضمنها مفهومه للوزارة، مستهلاً بمقدمة تاريخية لهذه المؤسسة ذات الجذور الفارسية. ويتبعها بنصيحته إلى صديقه الوزير «أن يجعل الدين قائده والحق رائده»[١٧]، وذلك في نطاق تصور خاص لا يقتصر على ابن المسلمة، بل يتناول دور الوزير كما أن ينبغي أن يكون أي كرأس للهرم الاداري في الدولة.

ويتجاوز الماوردي مقدماته إلى صلب الكتاب، بادئاً بالموضوع الأول وهو (في معنى الوزارة). وعلى غرار (الامارة) يقتبس من كتابه «الأحكام السلطانية» تشريعه السالف، محدداً شكلين للوزارة: «وزارة تفويض تجمع كفايتي السيف والقلم ووزارة تنفيذ تختص بالرأي والحزم، ولكل منها حقوق وشروط»[١٨]. ولعل ابرز ما يثير الاهتمام في تصور الماوردي لدور الوزير، بأنه حسب قوله «الدفاع عن الملك من الأولياء وعن المملكة من الأعداء وعن نفسه من الأكفاء وعن الرعية من خوف واختلاف»[١٩]. وهنا يأخذ عليه الدكتور السيد وضع الرعية في نهاية اهتمامات الوزير، التي تبدو مكرسة لخدمة السلطة، حيث يتحدث الماوردي باسمها ولمصلحتها، بعيداً عن هموم ومشاكل الرعية المغلوبة على أمرها والفاقدة حضورها في مشاغل السلطة وقراراتها.

وثمة ما يستلفت الانتباه أيضاً، دعوة الماوردي إلى مهادنة الاعداء، بما يحمله هذا الموقف من تخل عن ركن اساسي في النظام وهو الجهاد، ومن ثم تغليب المسالمة على الحرب. ومن الواضح أن خلفية هذه الدعوة متصلة بعجز الدولة العسكري في الفترة المتعاصرة مع الماوردي، حيث طاقات الدولة مهدورة في معارك داخلية ذات طابع سلطوي محلي.

والموضوع الثاني يدخل في (الدفاع عن مهمة الوزير) وهي محددة في الشروط الأربعة السابق ذكرها. والموضوع الثالث يدخل في (مزايا الوزير وصفاته)، ومن ابرزها الأقدام «على اجتلاب المنافع وعلى دفع المضار»[٢٠]. وأما الموضوع الرابع فيبحث في (الحذر) الذي ينبغي أن يتسلح به الوزير، وهو حذر «من الله تعالى فيما فرض ومن السلطات فيما فرض ومن الزمان فيما اعترض ومن غلبة الأعداء ومكر الدهاة»[٢١].

ويتبع ذلك موضوع خامس في (التقليد والعزل) ويبحث في معاوني الوزير وصفاتهم وفي الحالات التي تجيز له استنابة غيره. هذا في التقليد أما في العزل، فالماوردي لا يجيز شرعية عزل الوزير بغير سبب، كذلك لا يجيز شرعية عزل معاونيه بغير سبب أيضاً. وهو يعود هنا إلى نظريته في «الاحكام السلطانية» التي ترفض خلع الخليفة الا بعد ثبوت تهمة الفساد عليه، مضيفاً اليها مع الوزير تهمة الخيانة. ذلك ان عدم الكفاءة لا يسوغ برأيه خلع الوزير شأن الخليفة.

والمبحث الأخير خاص بوزارة التنفيذ التي تختلف عن وزارة التفويض بأربعة قوانين:

الأول: السفارة بين الملك وأهل مملكته.

الثاني: السفارة بين الملك وعماله.

الثالث: السفارة بين الملك ورعيته.

الرابع: السفارة في استيفاء حقوق السلطة التي للملك وعليه من غير مباشرة قبض ولا تنقيص.

ويتوجه الماوردي في خاتمة كتابه إلى صديقه الوزير ابن المسلمة، باسلوب واضح المباشرة، ودعوة تغلب عليها المناشدة والرجاء وأحياناً التحذير، وذلك بشيء من الخصوصية الحارة «وقد أوجزت لك أيها الوزير ما إن كان عملك به محيطاً ذكرك، وان كنت غافلاً عنه انذرك، والله يمدك بتوفيقه ويعينك على طاعته بجوده».

تقويم الكتاب

بعد هذا العرض السريع لأبرز محتويات هذا الكتاب، لا بد من العودة إلى التقويم الذي ختم به الدكتور السيد مناقشته لفكر الماوردي وتنظيره للأدارة العباسية، خلافة أم وزارة أم إمارة. فهو يرى فيه عالماً

معترض يمنع بغرامه ويحجب بتمامه وانت ايها
الوزير امدك الله بتوفيقه في منصب مختلف الاطراف
تدبر غيرك من الرعايا وتدبر بغيرك من الملوك فانت
سايس مسوس تقوم بسياسة رعيتك وتنقاد لطاعة
سلطانك فتجمع بين سطوة مطاع وانقياد مطيع
فشطر فكرك جاذب لمن تسوسه وشطره مجذوب لمن
تطيعه وهو اثقل الاقسام الثلاثة محملا واصعبها
مركبا لان الناس بين سايس ومسوس وجامع بينهما
وانت من الرتبة الجامعة فانت تجمع ما اختلف من
احكامها وتستكمل ما تباين من اقسامها وسبيلك
تدبير مملكة صلاحها مستحق عليك وفسادها منسوب
اليك تواخذ بالاساءة ولا يعتد لك بالاحسان
تلاقى لك المبادي بالارتياع وتشتد عليك الغايات
بالاعنات مستظهرا لتكون امداد الاحسان اليك وتسلم
من عتب المؤاخذة لك ويلزمك مثلها في حق سلطانك
ان لا تعتد عليه بصلاح ملكه لانك للصلاح مندوب
ولا تعتذر اليه من اختلاله لانك بالاختلال منسوب

الورقة ١ ب من المخطوطة

من علماء الفكر السياسي البارزين في التاريخ العربي الأسلامي، بيد أنه شأن غيره أو أكثر تفوقاً – تغلبت عليه نزعة المحافظة الشديدة، سمة العصر البارزة في وقت تعاظمت فيه الحاجة إلى «قوى ضبط فعاله في المجال السياسي لمواجهة فوضى المتغلبين»[٢٢].

ولكن الدكتور السيد، لا يلبث أن يسير بدوره مع الماوردي في الاعتقاد بعودة العافية إلى نظام الخلافة المترنح، الذي اثبت حسب قوله بأنه قادر مرة أخرى على الارتفاع إلى مستوى الأحداث، عندما وضع أمكانياته الأيديولوجية وراء نور الدين محمود ثم صلاح الدين، ادراكاً منه أنهما يقومان بالمهمة التي كان على الخلافة ان تقوم بها[٢٣]. فهل كانت حقاً الخلافة قادرة على أتخاذ موقف ما ازاء المتغيرات السياسية المعاصرة لها حينذاك؟ والحقيقة ان خلافة بغداد لم تكن في موقع صناعة القرار أو التأثير في مجرى التطورات الخطيرة التي اسفر عنها الغزو الصليبي للمنطقة. فجل ما قامت به آنذاك وتحت تأثير موجة الاستياء والاستنكار الشعبي، هو اعلان السلطان محمد السلجوقي باسم الخلافة الجهاد ضد الصليبيين وتكليف اتابك الموصل (مودود) القيام بهذا الدور . ولكن الجبهة الاسلامية في الشام كانت ممزقة تمزق نظام الخلافة المتقوقع في بغداد، حيث أسهمت في اخفاق مهمة (مودود)، الذي انتهى قتيلاً في صحن الجامع في دمشق، بتدبير من اتابكها (طغتكين) ، فغابت معه دعوة الخلافة إلى الجهاد.

وكانت حاجة المنطقة في الواقع إلى دفع الخطر عنها وعجز القوى المركزية والمحلية عن انقاذها، وراء ظهور شخصيات تاريخية من امثال عماد الدين ونور الدين وصلاح الدين، دون أن يكون للخلافة أي دور في التأثير ولو هامشياً على الظروف التي افرزت هؤلاء الزعماء. ومن ناحية أخرى لم يكن ثمة تعارض بينهم وبين الخلافة، إذا انطلقنا من نظرية الماوردي، بأن ما سيطروا عليه كان من نوع (سلطنة الاستيلاء)، نموذج السلطنات التي ظهرت في ذلك الوقت. ولقد استثمر القائمون عليها إرث الخلافة الأيديولوجي، وحققوا ما عجزت عن القيام به. فارتفعت معهم راية الجهاد، وسقطت نظرية الماوردي في المهادنة، المستمدة من واقع الحال في الخلافة العباسية.

انها دعوة غير جذرية إذن، يطرحها الماوردي في كتابه «قوانين الوزارة وسياسة الملك»، ومحاولة لدعم أو ترميم النظام القائم، دون البحث في اسباب ضعفه وانتكاساته المتواصلة. وهي طريقة للمعالجة عقيمة، تعتمد مداواة الواقع بالواقع، وتغليب المحاسنة على العنف والمهادنة على الحرب، أو كما عبر عنه الماوردي بقول الشاعر:

فاخطُ مع الدهر أن خطا

واجر مع الدهر كما يجري[٢٤]

«قوانين الوزارة وسياسة الملك»، كتاب يطرح أزمة نظام ومشاكل عصر، من خلال رؤية شديدة المحافظة، هي ايديولوجية النظام نفسه الذي كان

(الماوردي) أحد منظريه المتحمسين له والمشاركين فيه. وحيث كان المؤلف مطلاً عن كثب على تفاصيل، ربما لم تتوفر لغيره. فجاء كتابه غنياً في مادته، فريداً في موضوعه. وقد قدمه الدكتور رضوان السيد في اطار دراسة تحليلية قيمة ورصانة معهودة في البحث التاريخي. فبدا محيطاً بعمق وشمول لكل مفاصل الادارة العباسية والمؤثرات الخاضعة لها في ذلك الوقت. ●

الهوامش

(١) أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب. من فقهاء القرن الخامس الهجري.
(٢) الاحكام السلطانية والولايات الدينية. ص ٣.
(٣) مذهب الماوردي.
(٤) راجع الكتاب صفحة ١١.
(٥) نفسه صفحة ١٢.
(٦) الاحكام السلطانية صفحة ١٤.
(٧) راجع الكتاب صفحة ١١.
(٨) نفسه صفحة ٢٤.
(٩) نفسه صفحة ٢٤.
(١٠) نفسه صفحة ٢٣.
(١١) نفسه صفحة ٨٧.
(١٢) نفسه صفحة ٨٨.
(٣١) نفسه صفحة ٢٨.
(١٤) نفسة صفحة ٢٩.
(١٥) نفسه صفحة ١٠٠.
(١٦) ابن تفري بردي: النجوم الزاهرة صفحة ٥ وصفحة ١٤١.
مختار العيادي: في التاريخ العباسي والفاطمي صفحة ٢٩٨.
(١٧) قوانين الوزارة صفحة ١٣٨.
(١٨) (١٩) نفسه صفحة ١٤٥ وما بعدها.
(٢٠) قوانين الوزارة صفحة ١٦١.
(٢١) نفسه صفحة ١٦٧.
(٢٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٠٥هـ.
(٢٣) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق صفحة ١٨٧.
(٢٤) قوانين الوزارة صفحة ١٣١.

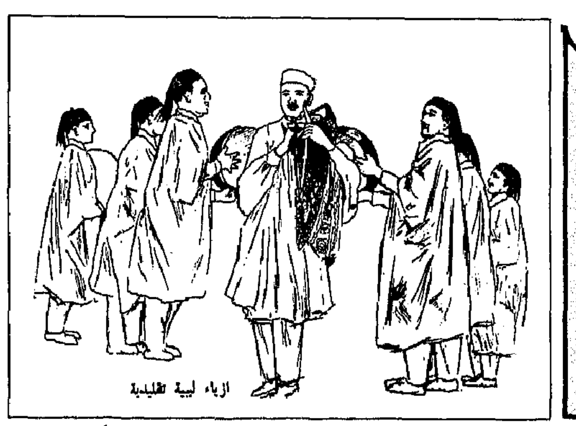


ينبغي أن تكون الرغبة في خدمة الخير العام قبل أي شيء آخر حاجة من حاجات القلب، وحالة من حالات السعادة الشخصية. فإذا كانت تصدر عن اعتبارات مبدئية أو سوى ذلك من اعتبارات، فانها تصبح شيئاً آخر.

انطوان تشيخوف

ملف الوطن العربي

ليبيا



أزياء ليبية تقليدية

إعداد قسم الدراسات والأبحاث

الشعب الذي أعطى الصحراء تاريخاً وحضارة

المسجد العتيق في غدامس

هل من ميزة خاصة لتاريخ ليبيا القديم والوسيط تجعلنا نتناوله في شكل يختلف عن تاريخ البلدان الأخرى؟.

يقول الدكتور عبد اللطيف محمود البرغوثي، استاذ التاريخ في كلية التربية في الجامعة الليبية: «إذا كانت كتابة التاريخ بشكل عام هي مشكلة فإن كتابة التاريخ الليبي بشكل خاص، مشكلة متفرعة متشابكة بقدر ما في ذلك التاريخ من تفرع وتشابك ناجمين عن اتساع ليبيا وطبيعتها وموقعها وطبيعة سكانها وعددهم» (تاريخ ليبيا الاسلامي ص/٥/).

لذلك فاننا نهدف في هذه الدراسة إلى ابراز أهم المفاصل التاريخية في تاريخ ليبيا منذ العصر الحجري وحتى العصر الحديث مشددين على العهد الاسلامي الذي طبع بطابعه الحضارة الجديدة للشعب الليبي.

* * *

الانسان الأول

استوطن انسان «النياندرتال»، وهو جنس بشري بدائي مشوه البنية لاهدف له سوى البحث عن الطعام، ليبيا منذ عصور موغلة في القدم واقام فيها حضارته التي سبقت حسب رأي ماكبرني جميع حضارات المنطقة بآلاف السنين وجعلت من شمال افريقيا مركزاً تنطلق منه الهجرات والحضارة إلى بقية انحاء القارة.

ويذكر أن المؤرخ الاغريقي هيرودوث الذي زار ليبيا حوالي العام ٤٥٠ق.م. هو الذي اطلق على كل شمال افريقيا غرب مصر اسم «لوبيا» مستنداً إلى الصفة التي كان الفراعنة يطلقونها على القبائل القاطنة غرب بلادهم وهي «ليبو» أو «ريبو». وعندما جاء العرب المسلمون إلى شمال افريقيا حافظوا على اسم «ليبيا» لذيوعها بين الناس.

من هنا فان محاولات بعض المؤرخين الغربيين اضفاء صفة «البربر» على مجمل سكان شمال افريقيا لا تمت إلى العلم بأية صلة، إذ ان لفظ «بربري» الذي اطلقه الاغريق عموماً على شعوب الشمال الافريقي من واحة سيوه غرب مصر شرقاً إلى ساحل المحيط الاطلسي غرباً وحتى وادي النيجر، كان يعني لديهم كل ما هو غير اغريقي. ثم تطور استخدام هذا اللفظ ليعني «اجانب» عموماً وذلك استناداً إلى كون قدامى الرومان اطلقوا لفظ «بربر» على الشعوب التي اعتقدوا انهم ادنى منهم مرتبة وحضارة، كما اطلقوا على جميع البلاد التي قاومت الحكم الروماني المركزي اسم «برباريكوم» (أي بلاد البربر) منها مثلاً مدينة «بربره» (في الصومال).

من كل ما تقدم نستنتج انه لم يعرف في تاريخ السلالات البشرية عموماً أن هناك جيلاً من الناس يسمى باسم «البربر» له حضارته المتميزة. ان معظم كتاب الانساب يحتفظون لقبائل البربر بانساب عربية صريحة مثل صنهاجة وكتامه ذات الاصول اليمنية.

ليبيا قبل الاسلام

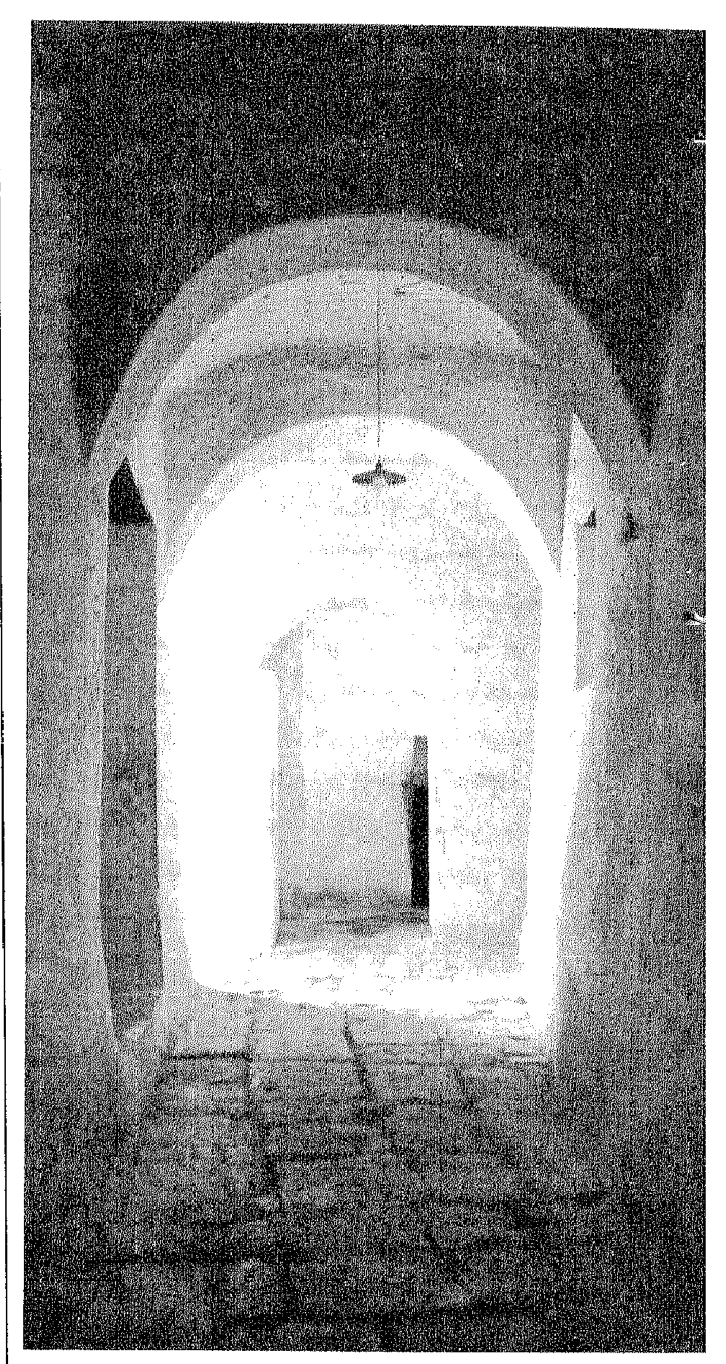
شهدت الأراضي الليبية تعاقب الغزوات والفتوحات ككل البلاد الواقعة على السواحل أو القريبة من مراكز التجارة العالمية يومها:

● في عهد الفراعنة نلاحظ ظاهرة جديدة بالدراسة وهي محاولات الحكم المركزي في مصر تحصين نفسه من تتالي الهجرات الوافدة إلى داخل الامبراطورية الفرعونية طلباً للماء والعشب.

وكانت أول الصدامات العسكرية في التاريخ القديم بين القبائل الوافدة من الجهة الغربية (ليبيا) والسلطة المركزية هي تلك التي امتدت حوالي ٤٠٠ سنة من عصر سيتي الأول (١٣١٨-١٢٩٨ق.م.). إلى عصر رمسيس الثالث (١١٩٨-١١٦٦ق.م).

أن النقوش العديدة التي تعود إلى عهد رمسيس الثالث تشير إلى محاولات الفرعون حل مشكلة توافد المهاجرين إلى أرض مصر الخصبة والمروية (وخصوصاً في الدلتا) إما بقوة السلاح أو بالتفاوض ولكن ضغط الحاجة الملحة بالنسبة إلى هذه القبائل للماء والعشب جعلها في نهاية الأمر تتغلب على الآلة العسكرية الفرعونية:

في أواخر عصر الاسرة الواحدة والعشرين الفرعونية استطاعت القبائل الليبية اختراق تحصينات الدولة الفرعونية واستوطنت الدلتا مما اضطر الفرعون إلى الرضوخ. وقد حاول الفرعون استرضاءها وكسب ودّها



رواق مرصوف داخل قصر اجدابيا

بأية وسيلة مفسحاً المجال أمام الفرعون الجديد «شيشنق» الليبي الاصل إلى تأسيس حكم الاسرة الـ ٢٢ الذي دام ٢١ عاماً (٩٥٠ق.م. - ٩٢٩ق.م). وهنا يتفق المؤرخون على اطلاق اسم «حكم الاسرة الليبية في الدلتا» على حكم الفرعون «شيشنق».

● اهتم الفينيقيون بليبيا لجهة استخدام سواحلها كمركز للتجارة والترانزيت أكثر من اهتمامهم باستعمارها واخضاعها لنفوذهم. وقد انطلقوا من قرطاجة (أو (قرت حداشت بمعنى «القرية الحديثة» في اللغة العربية القديمة) نحو السواحل الليبية فظهرت «صبراته» بمثابة محطة تجارية منذ القرن السادس ق.م. ثم «لبدة الكبرى» و «طرابلس» التي اطلقوا عليها اسم «فيعات».

أن تاريخ فينيقيا في شمال افريقيا جزء لا يتجزأ من تاريخ ليبيا إذ أن القبائل الليبية (ومنها قبائل المكاي التي تصدت بمساعدة فينيقيي قرطاجة لغزو الاسبارطيين بالقرب من لبدة في القرن الخامس ق.م.) قامت بالعبء الأكبر من القتال دفاعاً عن شمال افريقيا طوال فترة توسع وازدهار قرطاجة. وكانت هذه القبائل بالتعاون مع القرطاجنيين بقيادة هن بعل (هانيبعل) نجحت في اكتساح الامبراطورية الرومانية القديمة في حملة صاعقة وصعبة على ايطاليا انتهت بحصار روما نفسها لفترة من الوقت.

وحتى نهاية القرن السابع ق.م. كانت ليبيا ضمن وحدة جغرافية واحدة تمتد من مصر إلى المغرب وتعيش حضارة سامية الطابع تستمد جذورها من حضارات مصر والممالك الكنعانية في الشام والعراق وشبه الجزيرة العربية. ولكن بعد ظهور الاسكندر المقدوني على مسرح الاحداث الدولية حينها (حوالي العام ٣٣٤ق.م). أخذ العالم القديم يهتز من جذوره. فانهزم الساميون على جميع الجبهات في الشام وفارس والعراق ولكن الهزيمة الحاسمة التي اثرت على ليبيا أكثر من سواها هي سقوط مصر وانحسار حضارتها القديمة أمام زحف الاغريق. فتمّ تقسيم ليبيا إلى ثلاث مناطق:

١ - منطقة غربي القدس بطابعها الفينيقي (لبدة وصبراته وطرابلس).

٢ - منطقة شرقي القدس بطابعها الهليني (قورينة وطلميثة وتوكرة وبنغازي).

٣ - منطقة جنوبي القدس وهي تنتمي حضارياً إلى الكتلة الرئيسية من شعوب شمال افريقيا على امتداد الصحراء الكبرى من سيوه إلى اقصى موريتانيا.

وفي عصر ازدهار قرطاجة انجزت القبائل الليبية عملاً فريداً من نوعه هو فتح الصحراء الكبرى التي تبلغ مساحتها حوالي ٨ ملايين كيلو متر مربع وتعتبر أكبر مساحة صحراوية على سطح كوكبنا. والمثير في الأمر هنا هو أن الليبيين لم يكتفوا بعبور هذه الصحراء بل حولوا أجزاء واسعة منها للإقامة الدائمة فيها.

● طوال الفترة الممتدة من تاريخ سقوط قرطاجة بيد الرومان وتدميرها (١٤٦ق.م). وحتى بداية الفتح الاسلامي لشمال افريقيا (٢٠هـ/٦٤٠م). توالت الغزوات الأوروبية على ليبيا وذلك إما لاستعمارها مباشرة أو لاستخدامها كنقطة انطلاق لغزو مناطق أخرى على ساحل شمال افريقيا. وكان الاغريق يهتمون بالأراضي الليبية كثيراً لانها تبعد فقط ٢٥٠ ميلاً عن اراضيهم فكانت بالنسبة اليهم كشمال القارة الاميركية بالنسبة إلى الأوروبيين في القرون الوسطى. أما الرومان فانهم اخضعوا السواحل الليبية بقوة السلاح وذلك في اطار حلمهم الكبير يومها في استعادة كل البلاد المحيطة بالبحر الأبيض المتوسط الذي كانوا يعتبرونه بحرهم هم (MARE NOSTRUM).

وبعد ٤٧٠ سنة من بدء الاحتلال الروماني لليبيا (أي حوالي أواسط القرن الخامس الميلادي) غزت قوات «الوندال» الالمانية الاصل، السواحل الليبية واستطاعت اخضاع القبائل فيها لسيطرتها حتى العام ٥٣٤م. عندما نجح البيزنطيون في طردهم من البلاد بعد حرب دامية بين الطرفين الأوروبيين لم تشترك فيها القبائل الليبية. وما ان بدأ ميزان القوى يميل لمصلحة البيزنطيين حتى نظمت هذه القبائل مقاومة مسلحة امتدت حتى الأراضي الفينيقية نفسها (تونس) حيث انضم سكانها إلى جانب الليبيين في تصديهم للغزو البيزنطي. وفي العام ٥٤٧م. استطاع البيزنطيون اخماد الانتفاضة إلى حين.

ومن الجدير بالذكر هنا تسجيل ظاهرة تتكرر كلما خضعت الأراضي الليبية لغزو اجنبي في فترة ما قبل الفتح الاسلامي: وهذه الظاهرة هي تقطيع اوصال المدن الليبية ضمن اطار تجزئة كل الشمال الافريقي. وبالفعل قام الرومان، بعد تدميرهم قرطاجة، بتجزئة شمال افريقيا إلى ٤ اقسام:

١ – ولاية افريقية (منطقة قرطاجة – العاصمة).

٢ – مملكة نوميديا (عاصمتها قرطة أو قسنطينة اليوم).

٣ – مملكة المغرب الأقصى في غرب الجزائر (عاصمتها ايول).

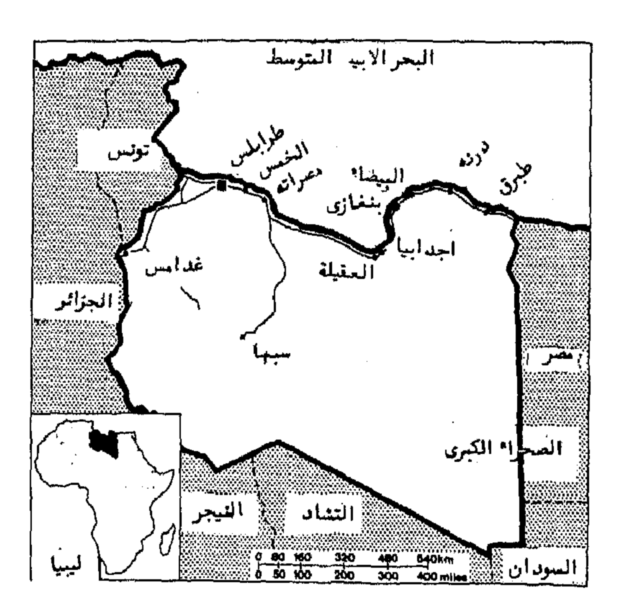
٤ – مملكة المغرب (عاصمتها طنجة).

وكانت مملكة نوميديا هي في الواقع أول دولة مستقلة منظمة في شمال افريقيا حكمتها أسر من اصل ليبي. ولكن هذه الاستقلالية للدولة الليبية الفتية لم تحميها من تدخل الرومان الذين كانوا يخشون من أن تصبح هذه المملكة قرطاجة أخرى. لذلك اعادوا تقسيم نوميديا إلى شرقية (واصبحت تحت سيطرتهم المباشرة وسميت «افريقيا الجديدة») وغربية (اندمجت مع المغرب)، كما فصلوا مدن لبدة وطرابلس وصبراتة عن المملكة–الام ووضعوها تحت الحراسة الرومانية المباشرة. كل هذه المحاولات التقسيمية لم تشل حركة مقاومة القبائل الليبية للسيطرة الرومانية بل على العكس جعلتهم يكسرون الحدود المصطنعة بين شعوب شمال افريقيا معلنين الثورة على الوجود الروماني في كل المنطقة. وكانت أبرز هذه الثورات «انتفاضة قورينة» (١١٥م). في منطقة برقة التي كانت حينها تابعة لمصر. وامتدت هذه الانتفاضة إلى ارجاء مصر وقبرص وبلاد ما بين النهرين وحتى انطاكية. دامت الانتفاضة أكثر من تسعة أشهر وكادت أن تزعزع اساس الوجود الروماني في المنطقة كلها، مما دفع الامبراطور تراجان إلى ارسال قائد جيشه ماركيوس توربو الذي ما لبث ان اقتحم قورينة وأباد كل من شارك وأيد الانتفاضة.

ولا بد من التنويه في هذا المجال الى أن السجلات الرومانية القديمة والمصادر التاريخية المستقاة منها لا تشير إلى هذه الثورة، التي انتهت إلى مذبحة بكل معنى الكلمة، الا باعتبارها عصيانا مدنياً عابراً لم يقم به سكان ليبيا بل «اليهود» أي حسب التعبير الروماني يومها «كل من لا يعبد الامبراطور» وهي نقطة يلتقي عندها الثائر غير اليهودي والثائر اليهودي. ولا عجب بالتالي أن تسمي المراجع الغربية ثورة قورينة بـ«ثورة اليهود».

الفتح الاسلامي العربي لليبيا

في العام ٢١هـ. (٦٤١م). تقدم عمرو بن العاص نحو برقة التي كانت تدعى في ذلك الوقت «بينتابوليس» (أي «المدن الخمسة»). ولكن لم يلق عمرو أية مقاومة جدية إلا على مشارف مدينة طلميثة (وكانت عاصمة الاقليم طوال عهد بيزنطية) التي كانت تقع على بعد ألف كيلو متر تقريباً من نقطة انطلاقه في الاسكندرية.



خريطة ليبيا : اشهر مدنها.

دارت معركة الاسلام الأولى على أرض ليبيا حول طلميثة ، ومع سكان طلميثة كتب المسلمون النسخة الأولى من وثيقة الصلح مع بقية المدن في شمال افريقيا. وكما جاء في موسوعة الصادق النيهوم (تاريخنا) : «... كانت هذه الوثيقة ، في ظروف العصر المظلم الذي عاشته شعوب المنطقة تحت نير الرومان. وثيقة تحرير، بالفعل ، نصاً وروحاً.. أن التعبير الأكثر وضوحاً عن فكرة التحرير تمثل في مبادرة عمرو بن العاص إلى نقل العاصمة فوراً من طلميثة إلى مدينة المرج التي كانت تعرف حينها باسم برقة... وكانت مدينة برقة ترتبط في اذهان الليبيين بفكرة الثورة والتحرير من جهة ، وتطابق حاجة الجيش الاسلامي إلى عاصمة تقع بعيداً عن البحر من جهة أخرى» (ص ٥٧-٦٠).

من العاصمة الجديدة في المرج خرج عمرو بن العاص في أوائل العام ٢٢هـ. (٦٤٢م). وتقدم غرباً حتى مدينة اجدابيا حيث انقسم الجيش الاسلامي إلى فصيلتين :

- الفصيلة الأولى بقيادة عقبة بن نافع اتجهت نحو الجنوب الغربي متوغلة في الصحراء لفتح المناطق الداخلية.

- الفصيلة الثانية تقدم بها عمرو بن العاص نفسه إلى طول الساحل ماراً بمدن سارت ولبدة وغيرها مخترقاً مسافة تزيد عن الف كيلو متر خلال شهرين فقط حتى وصل إلى اسوار طرابلس حيث استطاع في اواخر العام ٢٢هـ. انتزاعها من أيدي الروم وهدم قسماً من سورها كما سبق وفعل في بقية المدن المسورة.

بعد فتح طرابلس ارسل عمرو فرقة بقيادة عبد الله بن الزبير بن العوام إلى صبراتة فاستسلمت. وفي صبراتة تجمع الجيش الاسلامي الزاحف وسار بعد حين إلى مدينة شروس في جبل نفوسة ودخلها. وعند هذا الجبل توقفت الحملة الأولى على شمال افريقيا فعاد عمرو بن العاص إلى مصر تاركاً حامية عسكرية في برقة بقيادة عقبة بن نافع وأخرى في سارت بقيادة بسر بن أبي ارطأة.

بعد مقتل الخليفة عمر بن الخطاب (٢٣هـ) توقف الزحف الاسلامي عند أبواب افريقيا مؤقتاً. وهذا ما جعل البيزنطيين يستعيدون قواهم فاستردوا خلال سنة واحدة تقريباً معظم المدن الساحلية الممتدة على طول النمط الممتد من الاسكندرية إلى طرابلس. وفي العام ٢٦هـ. أمر الخليفة الجديد عثمان بن عفان بتسيير حملة على افريقيا لاسترداد طرابلس وبقية المدن التي استولت عليها جيوش الروم. وتولى قيادة تلك الحملة عبد الله بن سعد فتوجه من مصر إلى برقة حيث انضم اليه عقبة بن نافع. وحسب ما يتفق عليه المؤرخون فان طرابلس عادت مع سائر مدن اقليمها إلى ايدي المسلمين حوالي العام ٢٨هـ. بعد انهيار القوات البيزنطية في افريقيا وانسحابها إلى الغرب.

وفي بداية القرن الرابع للهجرة بلغ التمزق الاسلامي مداه عندما تحطمت قاعدة الخلافة الاسلامية تحت ضغط تعدد مراكز القيادة المركزية للدولة الاسلامية الكبرى. ومنذ ذلك الحين وحتى ظهور العثمانيين الاتراك بعد ٦ قرون تقريباً ، كان على المسلمين أن يعايشوا تجربة الانفصال التي أدت إلى الحروب الأهلية المتفرقة ، مما شد من عزيمة الصليبيين الذين كانوا يهيئون بعناية لغزوهم اللاحق للمنطقة انطلاقاً من قواعدهم القريبة في صقلية وجنوى واسبانيا.

ويذكر في هذا المجال انه بعد الفتح الاسلامي لم يبق في ليبيا على غير دين الاسلام الا مجموعات قليلة من الاقباط واليهود وبعض الوثنيين.

وبعدما تضعضعت سلطة الدولة الاسلامية المركزية. اشتدت سواعد القوى الأوروبية التي لم تتأخر في استعادة حركة غزوها لمنطقة شمال افريقيا ولكن هذه المرة كان الاتراك العثمانيون في وضع عسكري يسمح لهم بالتصدي للقوات الغربية الغازية. وبسقوط طرابلس في

أيدي العثمانيين العام ٩٥٨هـ. (١٥٧٧م). أصبحت ليبيا بأقاليمها الثلاثة (طرابلس وبرقة وفزان) جزءاً من الامبراطورية العثمانية. وظهر التذمر من الحكم التركي العثماني في صفوف الشعب الليبي خصوصاً منذ الأيام الأولى لسيطرتهم. فتتالت الانتفاضات الداخلية ضدهم حتى وصلت إلى قلب طرابلس نفسها، لما كان من أحمد القره مانلي ابن يوسف القره مانلي «الباش - اغا» الذي كان قائداً على جميع فرسان الساحل الافريقي، أن ثار ضد الاتراك الانكشاريين وأسس في العام ١١٣٢هـ. (١٧١١م). حكماً ليبياً وراثياً استمر أكثر من مائة عام (حتى العام ١٢٥١هـ/١٨٣٥م). وكان حكم القره مانلي المستقل في ليبيا شبيهاً إلى حد كبير باستقلال جبل لبنان النسبي عن سلطة الباب العالي في ذلك الحين.

ولكن في العام ١٨٣٥م. وجه السلطان العثماني محمود الثاني إلى طرابلس قوات تركية انكشارية ازاحت الاسرة القره مانلية عن الحكم المحلي واخضعت البلاد كلية للسلطة المركزية.

وفي بداية القرن العشرين عادت الحركات الاستعمارية الأوروبية ونشطت من جديد خصوصاً بعد تضعضع حكم الباب العالي:

فبدءاً من أواخر العام ١٩١١م. باشرت القوات الايطالية بالزحف التدريجي على الأراضي الليبية. فاحتلت أولاً مدينة طرابلس الغرب بعد مقاومة عنيفة. ولم تستطع انجاز سيطرتها الكاملة على البلاد إلا في العام ١٩٣٢ بعد سلسلة طويلة من العمليات الحربية القاسية والمذابح الرهيبة للمدنيين المسالمين.

منذ ذلك الوقت وحتى اعلان الاستقلال السياسي في ١٩٥١/١٢/٢٤، كانت ليبيا جزءاً من «لعبة الأمم» العالمية يتقرر مصيره خارج اراضيه وبمعزل عن طموحات شعبه وهذا ما جعل سواحل البلاد وصحراءها، في الفترة بين ١٩٤٠/٩/١٥ و١٩٤٣/١/٢٣، مسرحاً لمعارك عسكرية عنيفة بين قوات الحلفاء (بريطانيا بمساعدة بولونيا وفرنسا واليونان) وقوات المحور الالماني-الايطالي. وخلال هذه المعارك برزت اسماء قادة عسكريين غربيين أمثال رومل ومونتغومري.

ومنذ الفاتح من سبتمبر-أيلول ١٩٦٩ تشهد ليبيا طوراً جديداً من تاريخها الاسلامي العربي يتميز بروح القومية الوحدوية العربية المنطلقة من جذور ماضٍ مجيد لبناء مستقبل يجسد أفضل تجسيد طموح الشعب الليبي في الاستمرار في إعطاء الصحراء الكبرى تاريخاً وحضارة متجددتين.

معلومات جغرافية واحصائية

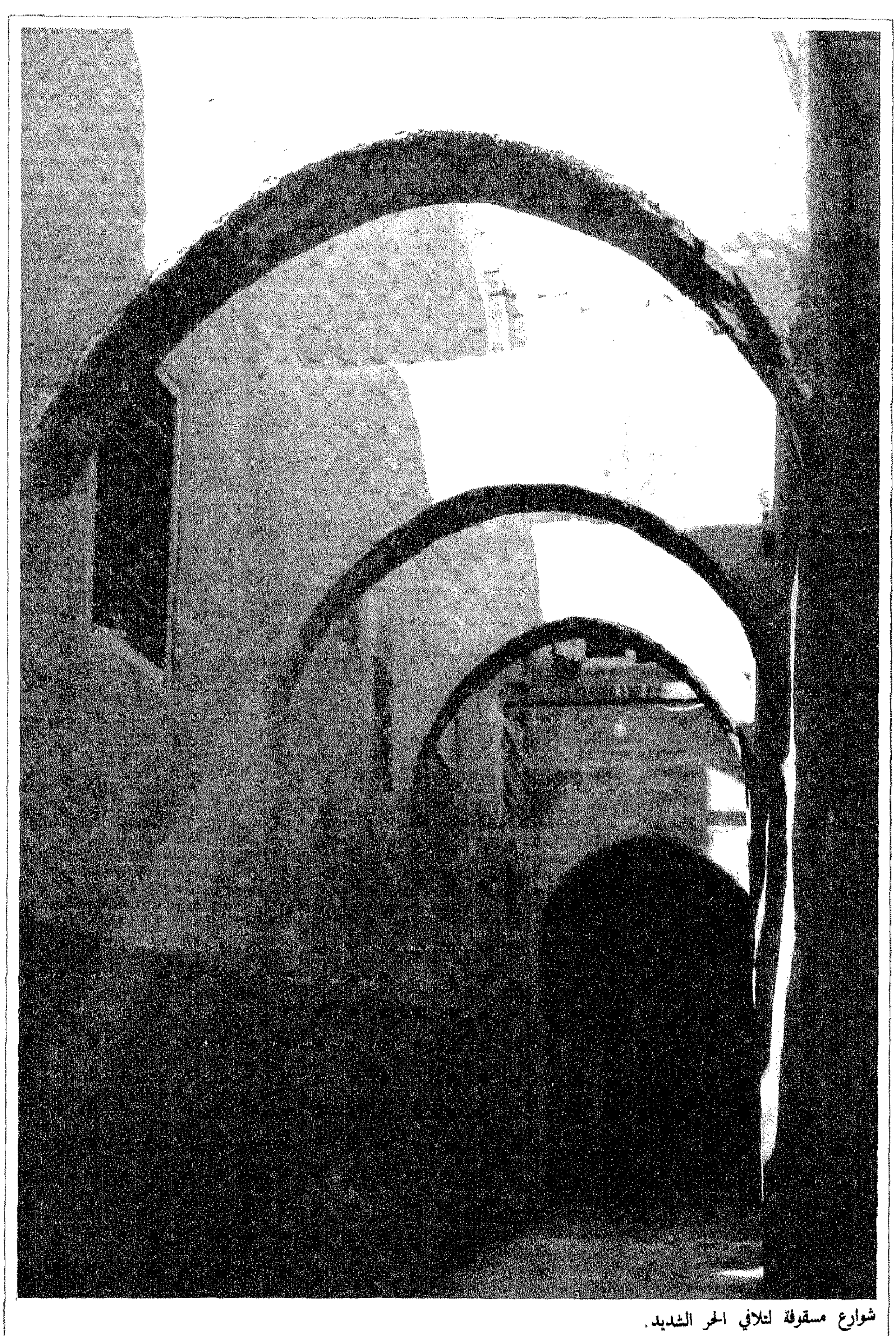
تمتاز حدود ليبيا البحرية والبرية باتساعها وطولها: فهي تحاذي البحر الأبيض المتوسط **بخط** ساحلي طوله ١٢٠٠ ميل وهذا الساحل مكشوف في معظمه قليل التنوع وخطر. ولها في الشرق خط مع مصر طوله ٨٠٠ ميل وفي الغرب خط مع تونس طوله ٢٥٠ ميلاً وفي الجنوب خط مع الجزائر طوله أكثر من ٦٠٠ ميل، اضافة إلى حدود مشتركة مع تشاد ونيجر والسودان.

تبلغ مجمل مساحة الاراضي الليبية ١،٧٦٠،٠٠٠ كلم مربع وأكثر هذه المساحة امتداد صحراوي هضبي للصحراء الافريقية الكبرى، ويستثنى من هذا الامتداد السواحل الضيقة المطلة على البحر الأبيض المتوسط. سكان ليبيا حوالي ٣ ملايين نسمة (احصاء ١٩٧٦) وسيرتفع عددهم في العام ٢٠٠٠ إلى حوالي ٥ ملايين نسمة.

أهم الآثار الاسلامية

ان العمران في مختلف عصور التاريخ الليبي تركز على طول الساحل. وكانت معظم مدن الساحل الاثرية لا تزال عامرة في أواخر العصر البيزنطي وظلت هكذا حتى بعد الفتح الاسلامي، وهي من الشرق إلى الغرب: طبرق، درنة، قورينة، سوسة، برقة، طلميثة، قوكرة، بنغازي، اجدابيا، سارت، مغمداش، لبدة، طرابلس وصبراتة.

سنركز في هذا المجال على أهم الآثار الاسلامية في ليبيا وذلك بعدما كتب د. ديمتري برامكي عن الآثار ما قبل الفتح الاسلامي أي من العصر الحجري إلى العصر الروماني (راجع مجلة «تاريخ العرب والعالم» العدد الثالث. كانون الثاني/يناير ١٩٧٩ ص ٢٣-٢٩).

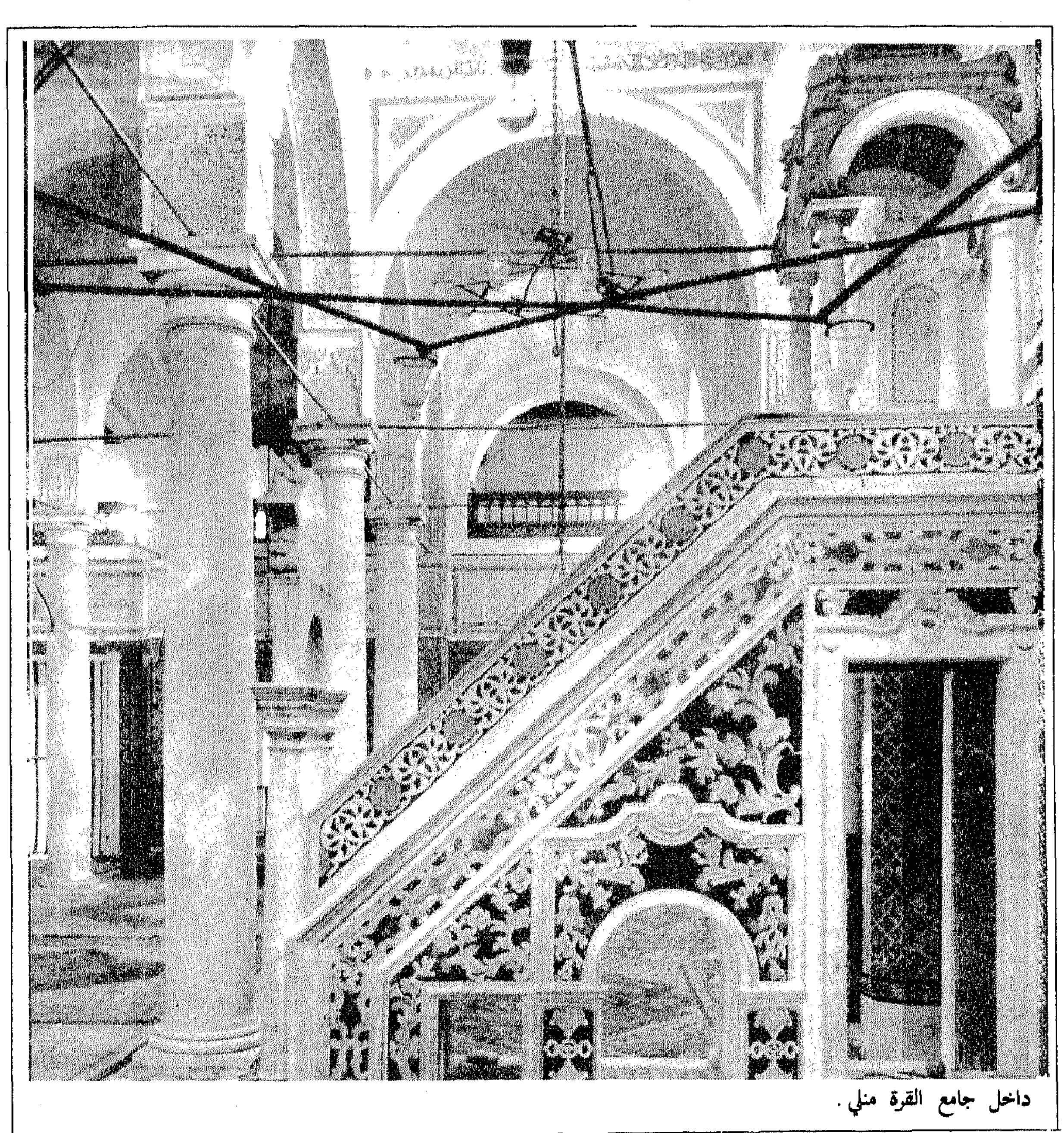


شوارع مسقوفة لتلافي الحر الشديد.

يعتبر المسجد من اقدم المعالم الاسلامية التي توطدت في ليبيا منذ سنوات الفتح الأولى، **فهو محور** الحياة الاجتماعية إذ كان في آن واحد مركز عبادة ومركز علم وثقافة واجتماع.

أن اقدم الجوامع في طرابلس هو «جامع الناقة» الذي نسبت الروايات بناءه إلى عمرو بن العاص. ولكن يذكر الصادق النيهوم في موسوعته التاريخية عن ليبيا (ص ٢٠٠) ان الذي بناه هو الخليفة الفاطمي المعز لدين الله. ويقال أن الخليفة هذا مر بطرابلس في طريقه إلى مصر العام ٣٦٢هـ. (٩٧٢م). فخرج اهلها لاستقبال موكبه بجفاوة رد عليها الخليفة بان اعطاهم جمل ناقة من الذهب. فاختار الأهالي ان ينفقوا المال في بناء الجامع ودعوه باسم جامع الناقة.

وأشهر خصائص هذا الجامع هو أن بعض عواميده أخذت من مبان رومانية قديمة، وهي ظاهرة تجلت أيضاً في مساجد أخرى نائية مثل مسجد غدامس الذي بني في هذه المدينة المسماة باسمه. ويذكر أن غدامس تقع عند ملتقى الحدود الليبية – التونسية – الجزائرية وتسمى أيضاً «المدينة ذات الطابقين» لأنها عبارة عن مبانٍ متصلة، طوابقها الأرضية للرجال والعلوية للنساء.



داخل جامع القرة منلي.

والمعروف أن مسجد غدامس هدمته قنابل الحلفاء العام ١٩٤٢ ثم أعيد بناؤه في وقت لاحق والغيت منه الغرف المخصصة للنساء.

ويقول بعض المؤرخين المعاصرين أن عمرو بن العاص بنى مسجداً في طرابلس أمام باب هوارة كما أسس مسجداً آخر في زنزور. وفي عهد الاغالبة (١٨٤-٢٩٦هـ/٨٠٠-٩٠٨م). شيد الكثير من المساجد والقلاع، خصوصاً على الشريط الساحلي.

قصر اجدابيا وجامعها

يقول علماء الآثار أن قصر اجدابي كان أحد القصور التي بناها الخليفة الفاطمي على طول الطريق بين المهدية وبين القاهرة خلال انتقاله إلى مصر في أواسط القرن الرابع الهجري. وكشفت الحفريات عن قصر محصن وعن قلعة بيزنطية تدل آثارها على وجود تعديلات أساسية أدخلها العرب المسلمون على تصميم المبنى. تشير القطع الفخارية الباقية منها إلى تاريخ مبكر ولكن شكل قواعد الابراج المستديرة الباقية تحمل ملامح الفن المعماري الأموي.

أما جامع اجدابيا فتاريخ تشييده يظهر على بقايا نقوش حفرت عليها العام ٣١٠هـ. و٣٢٠هـ. واسم بانيه الخليفة الفاطمي الثاني القائم أبو القاسم. ويمثل هذا الجامع، من الناحية الهندسية المعمارية، مرحلة من مراحل تطور الفن الفاطمي أي يمثل مرحلة وسطى بين أول مسجد فاطمي بني في المهدية العام ٣٠٠هـ - وهو مبني على مثال جامع اجدابيا - والجامع الأزهر المبني العام ٣٦٠هـ.

المدن - الحصون

وهناك ظاهرة جديرة بالانتباه في خصوص آثار ليبيا الاسلامية العربية وهي تعدد المدن التي تحولت، بعد الفتح الاسلامي إلى حصون حصينة كمدينة طلميثة (أو قديماً بطليموسة) ولبدة (لبش ماغنا) وصبراتة.

فمثلاً قبل أن تتحول صبراتة إلى مجرد حصن عسكري، كانت من أعظم المدن في الشمال الافريقي. وقد انشأها الفينيقيون حوالي العام ٩٠٠ أو ٨٠٠ق.م. وكانت أكبر من طرابلس الغرب (التي تبعد عنها بنحو ٦٧ كلم) وأعظم منها عمراناً ومدنية. ولكن بنتيجة الفتح الاسلامي تم نقل كل النشاط التجاري إلى طرابلس نفسها.

أما لبدة (التي تبعد ١٢٤ كلم عن طرابلس) فلم تكشف الحفريات الاثرية - التي ابتدأت في العام ١٩٢٠ - إلا جانباً من حضارتها القديمة. ويذكر علماء الآثار أن المدينة تعرضت إلى نقل الكثير من نفائسها الأثرية فأخذت فرنسا أكثر من ٦٠٠ قطعة من التماثيل لاستعمالها في تزيين قصر لويس الرابع عشر كما نقل جزء كبير من آثارها إلى انكلترا في عهد جورج الرابع. ●

المراجع الرئيسية

● موسوعة «تاريخنا من عصور ما قبل التاريخ حتى مطلع القرن الحالي» (ليبيا) ٥ أجزاء من اعداد الصادق النيهوم - دار التراث، آذار - مارس ١٩٧٧.

● محمد مصطفى بازامه: «الديبلوماسية الليبية في القرن الثامن عشر - عبد الرحمن آغا البديري ١٧٢٠ - ١٧٩٢م» - منشورات مكتبة قورينا - بنغازي - بلا تاريخ.

● د. عبد اللطيف محمود البرغوثي: «تاريخ ليبيا الاسلامي من الفتح الاسلامي وحتى بداية العصر العثماني» - منشورات الجامعة الليبية - دار صادر - بيروت ١٩٧٣.

● جون وايت: «ليبيا» (بالانكليزية). لندن ١٩٦٩.

● د. ديمتري برامكي: «الآثار الليبية من العصر الحجري إلى العصر الروماني» (مجلة «تاريخ العرب والعالم» العدد الثالث ص ٢٣).

● ارشيف «تاريخ العرب والعالم».

تاريخ الفنون الشعبية في فلسطين

اسماعيل شموط

● ذكر البحاثة فيليب حتي في مؤلفه «تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين»:

«ظل الناس حتى الفترة الأخيرة يجهلون حقيقة ما قدمه الكنعانيون للحضارة واللغة والفنون وفن العمارة والأدب والزراعة والصناعة».

«كانت طقوس الهيكل تستدعي العزف على الآلات الموسيقية. وكان الموسيقيون والمغنون الأول في الهيكل كنعانيين في أشخاصهم وتدريبهم. وعندما بدأ داوود بالموسيقى العبرانية المقدسة ورقاها سليمان. لم يكن هنالك من نموذج يمكن اتباعه سوى النموذج الكنعاني».

ولعل في هذه المقتطفات ما يكفي للدلالة على ان سكان فلسطين الأوائل. الكنعانيين. عرفوا الموسيقى والغناء. وبالتالي اخترعوا الآلات الموسيقية لذلك.

كما عرف العرب الموسيقى والغناء. وبلغوا بها مستوى راقياً ابان عصر النهضة العربية منذ حوالي ألف عام. ويذكر في هذا المجال الاصفهاني والفارابي اللذان كان لهما اهتمام واضح بالموسيقى والغناء. ومن

العازفين والمغنين في تلك الحقبة يذكر ابن جامع وابراهيم واسحق الموصلي وزرياب. واخترع العرب الآلات الموسيقية الوترية. الرباب. والعود الذي زاد عليه زرياب وتراً خامساً وقد كبر صندوقه وفتحت له فتحة – تدعى الشمسية. ووصل الأندلس ومن هناك دخل أوروبه.

تقول السيدة يسرى عرنيطة في كتابها «الفنون الشعبية في فلسطين»:

«وتمتع العود بمركز مرموق بين الآلات الموسيقية الأوروبية. وهو أول آلة كتب لها الموسيقيون الغربيون مقطوعات آلية منفردة بالمعنى الصحيح».

كذلك عرف العرب القانون. وهو من الآلات الموسيقية الوترية العربية القديمة التي ذكرتها قصص ألف ليلة وليلة. وهناك ما يشير إلى ان الفارابي قد حسن فيه. وذكره الفارابي في أحد مؤلفاته قائلاً: «كان العرب يستعملون آلات كثيرة الأوتار من التي ينفرد كل وتر فيها باصدار صوت من أصوات السلم الموسيقي».

وهناك علاقة حميمة بين الموسيقى والغناء وبين الرقص الشعبي في فلسطين. ان جميع الرقصات الشعبية الفلسطينية تكون دائماً بمصاحبة الموسيقى والغناء. لذلك. فالحديث عن الموسيقى والغناء يجرنا للحديث عن الرقص في الوقت ذاته.

ان غالبية الألحان الشعبية الفلسطينية بسيطة في تركيب جملها الموسيقية. وهي صفة تتسم بها معظم موسيقى الشعوب الفطرية. كما ان المقامات الأساسية التي تعتمد عليها هي مقام البياتي وهو الغالب. ومقام الراست والسيكاه والعجم والحجاز.

وكغيرها من موسيقى الشعوب فان الموسيقى والغناء الشعبي الفلسطيني يتميزان بحركة رتيبة متكررة. غير ان ذلك يزيد في تصعيد الحس الفني عند الموسيقي والمغني والراقص والمستمع في الوقت نفسه.[٩] والمغني المتمكن ينطلق أحياناً بالخروج عن اللحن المتبع بحرية ضمن حدود الحفاظ على الايقاع والعودة إلى المقام الأساسي الذي يرتكز عليه اللحن. وهو نوع من الزخرف يضيفه المغني إلى الأغنية.

ان الأغاني والأهازيج التي تغنى دون الرقص قليلة نسبياً في الاحتفالات الشعبية. فالرقص كما أسلفنا. يكون جزءاً من عملية واحدة هي الموسيقى والغناء والرقص، وهو الأكثر شيوعاً في تلك المناسبات.

هناك رقصات شعبية أساسية معروفة في فلسطين. هي الدبكة والسحجة والسامر والدحي.

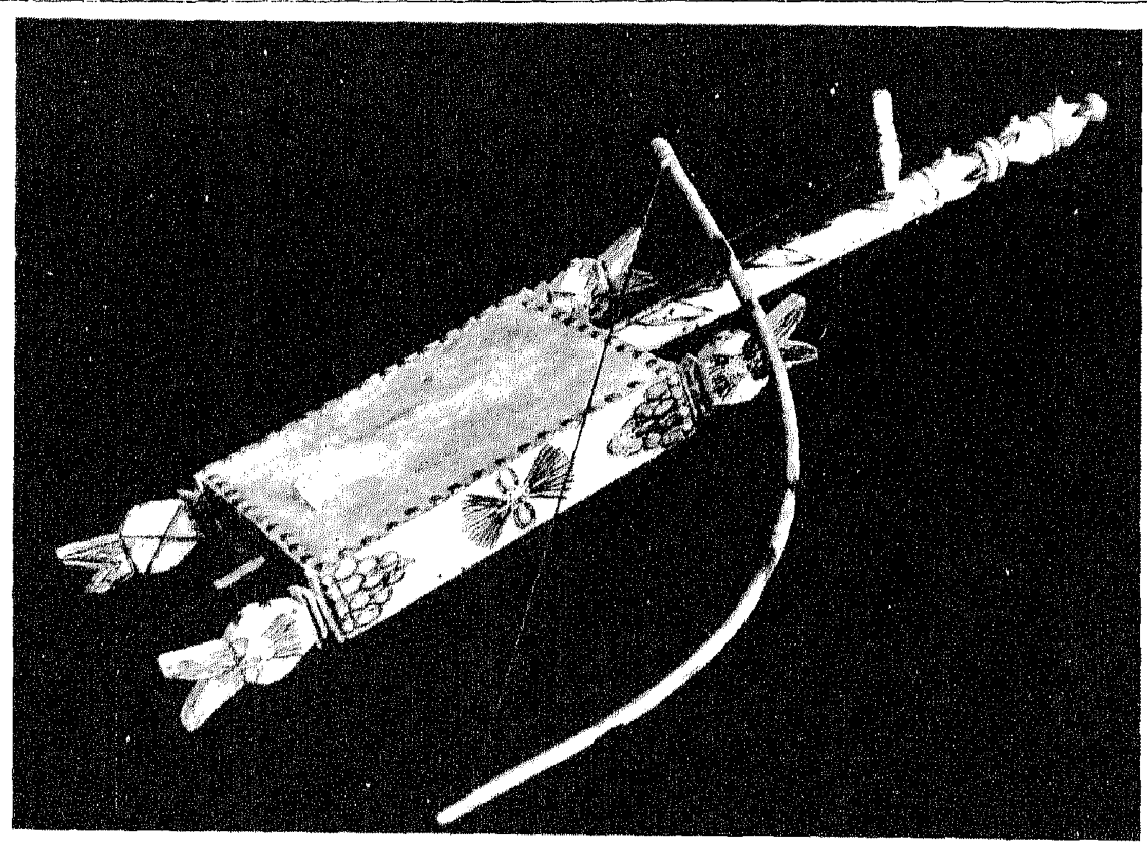
الرقصات الأربع

الدبكة: وهي رقصة الشباب تؤدى على أنغام المجوز أو الأرغول أو الشبابة. ويكون الشباب حلقة مفتوحة يديرهم «اللويح» الذي يلوح بمنديل في يده مشيراً بحركات من عينيه ويديه لادارة الرقصة. ويبدأ الرقص بالعزف المنفرد على واحدة من الآلات المذكورة. ويليه «القويل» وهو المغني في المجموعة بالغناء. في الوقت الذي تبدأ المجموعة بحركة بسيطة من الأرجل بشكل رتيب حسب الايقاع. ما تلبث أن يتصاعد عنفوانها مع اشارات اللويح. وعندئذ تنطلق المجموعة في حركات رشيقة تدور حول العازف محافظة على شكل الحلقة بينما ينفصل اللويح بين الفترة والأخرى عن المجموعة بحركة حرة ضمن الايقاع المتبع. ويستمر العازف طيلة الوقت بالعزف كما يستمر المغني أيضاً بالغناء. وفي أثناء الغناء تخف حدة حركات الراقصين. بينما تعود لعنفوانها بين كل فقرة وأخرى من الغناء. وكثيراً ما تلعب الكلمة المغناة بما تحمل من معنى دوراً كبيراً في اثارة الأحاسيس وتصعيد الحركة الراقصة وما يعكسه ذلك في المشاهدين من انجذاب وحماس.

وفي شمال فلسطين تشارك المرأة الرجل في رقص الدبكة. بينما في أماكن أخرى ترقص المرأة رقصات مماثلة في حلقات خاصة بالنساء.

السحجة: تختلف عن الدبكة في تشكيل مجموعة الراقصين. اذ يقف الرجال في صف واحد متشابكي الأيدي. يتمايلون بتناسق وانسجام جميلين مع خطوات مد وجزر. وتتميز اضافة إلى ذلك بأن الراقصين جميعاً يغنون وهم يرقصون معاً على أنغام الشبابة أو المجوز.

السامر: وهي رقصة تختلف إلى حد كبير عن سابقتيها. وهي أكثر شيوعاً في جنوب فلسطين. يقف صفان من الرجال متقابلين. يشتركون معاً في حركة ايقاعية معينة. ويغني أحد الصفين مقطعاً من الشعر



الربابة أم الأدوات الوترية.

بالعربية الأقرب إلى الفصحى، ثم يرد عليه الصف الثاني مقطعاً آخر من الشعر. وأغرب ما في هذه الرقصة ان أمرأة ملثمة بعباءة. تمسك بيدها سيفاً حاداً وبالأخرى أطراف العباءة عند الوجه حيث لا يظهر منها سوى عين واحدة. تقوم بحركات راقصة حرة أمام الصفين من الرجال إلى درجة تصل أحياناً إلى أن يمد الرجل يده على المرأة. وفي هذه الحالة من حق المرأة أن تضرب تلك اليد بالسيف أثناء عملية الرقص. ويحدث في كثير من الأحيان أن تصاب يد ذلك الرجل بالجروح.

وهذه الرقصة لا تتم إلا في الليل وخاصة في الليالي المقمرة. ولا تعرف من هي المرأة التي ترقص بين الرجال. كما ان ذلك يتم دون مشاركة أية آلات موسيقية. بل ان صوت المجموعة ومن حولهم يكون ذا جمال موسيقي له تأثير كبير في النفس.

الدحي: وهي شبيهة بالسامر إلى حد كبير. غير أن الأبيات المغناة تكون باللهجة العامية الخاصة بالمنطقة التي ينتمي إليها الجمع.

وتقام حفلات الرقص الشعبي هذه في الأفراح. خاصة مناسبات الزواج. وفي الأعياد الشعبية والرسمية والدينية.

ان أهم الآلات الموسيقية الشعبية في فلسطين هي:

الآلات الوترية: العود - القانون - الربابة - البزق.

آلات النفخ: الشبابة - الناي - المجوز - الأرغول - المزمار.

الآلات الايقاعية: الطبل - الدربكة أو الطبلة - الدف - المزهر - النقارتان - البازة - الفقاشات - الطاسات - المهباش.

الفنــــون الحـــرفيـــة

تتألف الفنون الحرفية الشعبية في فلسطين من: الغزل والنسيج. الأزياء الشعبية والتطريز. الزجاج. الصدف. الخشب. المعدن. الفخار والخزف.

الغزل والنسيج :

ان صناعة الغزل والنسيج في فلسطين صناعة متوارثة منذ آلاف السنين – فقد مارسها الكنعانيون واشتهروا بالثياب المصبوغة باللون الأرجواني الذي اكتشف في المريق (الموركس وهو نوع من الرخويات البحرية) عند مصب نهر النعامين في خليج عكا. كما ازدهرت هذه الصناعة اثر الفتح العربي الاسلامي وذكرها كثير من الرحالة العرب والأجانب.

وكانت صفد والناصرة ونابلس وبيت جالا والخليل والمجدل وغزة من أشهر مدن فلسطين في هذه الصناعة.

ولم يكن الأمر مقصوراً على النسيج فحسب. بل إن شعب فلسطين مارس العملية بدءاً من زراعة القطن. واستخراج حرير القز. وجمع الصوف والوبر وشعر الماعز. وغزله ونسجه وصبغه. واخترع لذلك الانوال الخشبية المختلفة الانواع. منها الارضي والعامودي المعقد والبسيط.

في اواخر القرن الماضي كان يوجد في مدينة الناصرة ٣٠٠ نول. وفي الثلاثينات من هذا القرن كان يوجد في بيت جالا ٣٠٠ نول وفي المجدل ٥٠٠ نول. ولقد بلغ عدد الانوال في المجدل عام ١٩٤٨. ٨٠٠ نول.

ومن الصوف ووبر الجمال وشعر الماعز صنع الرجل والمرأة في فلسطين البسط. وتشتهر كل من صفد ومجد الكروم ونابلس وابو دبس والخليل والسموع وغزة بهذه الصناعة.

وتستعمل البسط لأغراض عديدة. منها تصنع خيام الشعر. وفرش لأرض البيت. واكياس لحفظ الغلال والملابس. ومهود للأطفال وخرجة للدواب واكياس صغيرة يستعملها الفلاح للبذار. والراعي لحفظ حاجاته ومأكولاته.

وتشارك المرأة في معظم عمليات الغزل والنسيج. بل أن هناك أعمالاً تقوم بها المرأة وحدها. منها صناعة البسط على الأنوال الأرضية. أما العمل على الانوال المعقدة نسبياً. والتي يحتاج المرء فيها استعمال يديه وقدميه. فهي منوطة بالرجل.

الأزياء الشعبية والتطريز :

كان الزي الشعبي فيما مضى مظهراً يدل على الانتماء العشائري أو القبلي. ومع تطور الحياة. اتسعت دائرة الانتماء فصارت القرية او البلدة. ثم المنطقة. الى أن أصبحت تعم الوطن بأسره. ومن هنا برز تعبير الزي الوطني.

حتى أوائل هذا القرن كان من السهل جداً تحديد هوية الزي الشعبي للمرأة الفلسطينية ومعرفة القرية او على الاقل المنطقة التي تنتمي اليها المرأة من الزي الذي تلبسه. غير ان ذلك اضحى صعباً بعد العشرينات من هذا القرن. وذلك بسبب تطور وسائل النقل فانتقلت عبرها الخصائص المعنية لزي بلدة ما او منطقة ما الى مناطق اخرى. وسببت امتزاجاً في خصائص الزي الشعبي الفلسطيني بشكل عام.

لكن ذلك لم يقض نهائياً على الطابع المحلي لبعض الخصائص. بل أبقى على بعضها كما كانت. وزي بيت لحم خير مثال على ذلك. ومن مظاهر هذا التعبير الايجابية ان المرأة الفلسطينية وهي دائماً متطلعة فطرياً نحو الأفضل والاجمل. استوحت ونقلت من ازياء مناطق اخرى ما رأته جميلاً فأضافت الى ثوبها عناصر جديدة.

وللمرأة الفلسطينية ثلاثة انواع من الاثواب التي تعتبر الجزء الاساسي من الزي الشعبي :

ثوب العمل : وهو من القماش البسيط والرخيص الثمن. ويحتوي على بعض التطريز القليل. تلبسه المرأة اثناء عملها في الحقل او البيت.

ثوب المناسبات : وهو من القماش الغالي الثمن. وله ميزات وخصائص معينة تفرضها تقاليد الزي في البلدة. ويكون التطريز عليه اكثر كثافة ودقة وجمالا. ويلبس هذا الثوب في مناسبات الافراح والاعياد والاتراح.

ثوب الجلاية : وهو زي ذو خصائص معينة تختلف من مكان لآخر حسب التقاليد المتبعة ويعتبر أهم ثوب في جهاز العروس تلبسه متجلية يوم زفافها.

يتشكل هذا الزي وسط وجنوب فلسطين من :

- الثوب : وهو فضفاض بشكل عام. ذو اكمام (اردان – جمع ردن) مختلفة الشكل من مكان لآخر.

تجدها ضيقة في بعض المناطق ومتسعة في غيرها. وفي اماكن اخرى ذات شكل قريب من المثلث الذي يكبر او يصغر حسب تقاليد متبعة. وتنتشر الزخرفة المطرزة باليد وبالخيوط الحريرية على كل من الصدر والاكمام وجانبي الثوب (البنائق) والجزء السفلي من خلف الثوب (ذيال) وعلى الاكتاف (الردحة) التي كانت في معظم الأحيان تزين بقطعة من قماش المخمل او الساتان.

وتتميز الجلاية عن الثوب بالزخارف التي تكسو الجزء الأمامي من الثوب. ابتداء من الوسط حتى اسفله. والمكونة من قطع الحرير الهرمزي المثبتة بأشكال هندسية الى حدما. اضافة الى التطريز على الصدر والاكمام والجوانب والخلف.

* الشداد او الحزام: وهو من القماش الذي يختلف نوعاً ولوناً من مكان لآخر. منه الساتاني المخطط. ومنه الصوفي او القطني. ويربط على الخصر بطريقة تقليدية محددة لكل منطقة.

* الوقاة والصمادة: وهي قبعة للرأس ذات خصائص معينة. تختلف من مكان لآخر. وتكون من القماش القطني او الكتاني المطرزة. وتثبت عليها مجموعة من النقود الفضية التي غالباً ماتكون قديمة غير متداولة. واحياناً يكون بعضها اوكلها ذهبياً. غير ان لبيت لحم قبعة مختلفة وتدعى الشطوة. وهي اشبه بالطربوش. محلاة بالنقود الفضية او الذهبية. وحبيبات المرجان.

قماش محلي:

ان معظم انواع القماش الذي يستعمل للأزياء الشعبية الفلسطينية. كان يصنع في فلسطين. وقليل من انواع اخرى كان يستورد من دمشق او من الخارج.

هناك ثلاثة انواع من التطريز وهي:

١ – التطريز بالغرزة الفلاحية (الصليبية).
٢ – التطريز بغرزة الوشق والتحريري.
٣ – التطريز بغرزة اللف.

نموذج من فن التطريز الفلسطيني.



هذا بالاضافة الى ما يسمى بقطبة الحاشية او الحافة، اي التي بواسطتها تثبت اطراف الثوب والقطع الحريرية المضافة فوق الثوب بأشكال مختلفة.

إن الغرزة الفلاحية هي السائدة، والتي لا يخلو ثوب منها باستثناء ثوب بيت لحم. والتطريز بهذه الغرزة يتم بواسطة الابرة وخيط الحرير الملون بطريقة الغرزة المصلبة. وتأخذ الزخرفة في هذه الحالة اشكالاً هندسية.

أما التطريز بغرزة الرشق والتحريري، فهي تثبيت خيوط حريرية سميكة ومبرومة او خيوط مقصبة اي من الخيوط المطلية بالذهب او الفضة على القماش. وتتشكل من هذه الخيوط وحدات زخرفية تعتمد الخطوط المنحنية والدائرية المتواصلة المستمدة عناصرها الاساسية من حركة النبات والازهار.

والتطريز بغرزة اللف يتم بواسطة الخيوط الحريرية التي تملأ فراغات معينة بقطبة لفاتفية الحركة. وهذا النوع من التطريز يعتبر عنصراً مكملاً اكثر من كونه اساسياً في التطريز الفلسطيني، ولم تشكل هذه الغرزة كياناً مستقلاً كالغرزتين السابقتين.

ويغلب اللون الأحمر البني على غيره من الالوان في التطريز بالغرزة الفلاحية، ويطعم بألوان مختلفة منثورة بشكل عفوي خاضع لذوق الفتاة او المرأة، مشكلاً توازناً مريحاً وجميلاً. اما التطريز بغرزة الرشق والتحريري، فان اللون الاساسي يكون الذهبي او الفضي يشارك احدهما او كلاهما اللون الاحمر اضافة الى الالوان الاخرى والتي تكون مكملة. ويعتمد التطريز بغرزة اللف والالوان العديدة الصارخة في فراغات مهيأة بواسطة غرزة الرشق او التحريري، وغالباً ما يكون ذلك على جانبي الثوب والاكمام.

ان الوحدات الزخرفية الاساسية التي تستعمل في معظم انحاء فلسطين تستمد اشكالها واسماءها من علاقة الانسان الفلسطيني بالأرض والحياة والكون. ولهذه الوحدات اسماء شائعة، وبعضها يختلف اسمها من مكان لآخر.

هذه طائفة من اسماء الوحدات الاساسية:

السرو، السبلة، النخل العالي، عرق الورد، عرق التفاح، عرق البندورة، قوار الورد، الحية والعربيد، العصافير، الريش، عين البقر، قرص العسل، القلايد، خيام الباشا، المخدة، الفنانير، المشط، الساعة، عرق السيوف، الحجاب، طريق مصر، النجوم، الاقمار، المناجل.

ان التطريز في فلسطين فن تمارسه المرأة في أوقات فراغها، ملبية بذلك احاسيس فنية فطرية لديها، ومتبعة تقاليد شعبية نشأت عليها. والمرأة الفلسطينية تقوم بهذا العمل الفني الى جانب مشاركتها زوجها او اهلها في العمل سواء في الحقل او في مجالات عمل اخرى اضافة الى عملها في المنزل.

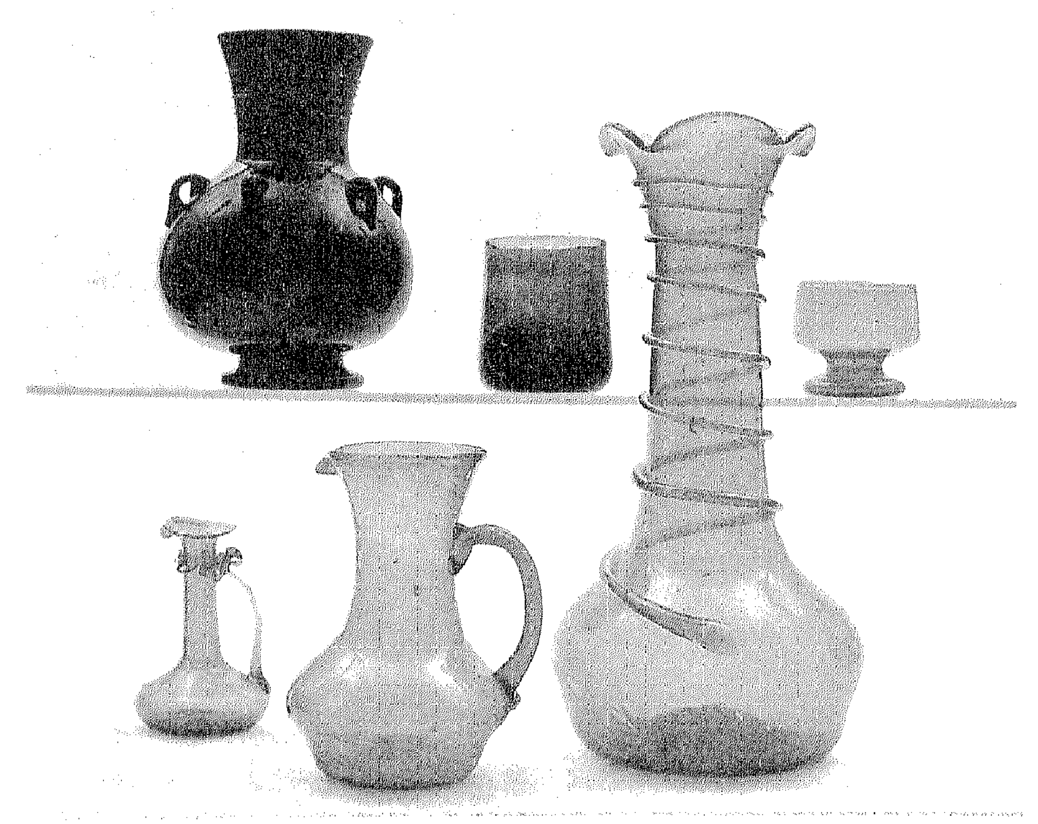
ومن المهام التي تقوم بها المرأة بشكل عفوي وتبعاً للتقاليد ايضاً هو تعليم الصغيرات هذا الفن. فعندما تصبح الطفلة في سن العاشرة تقريباً تكون قد اكتسبت معرفة مبادئ التطريز. وفي سن الرابعة عشرة تبدأ بالتحضير لثوب العرس. ومهارة الفتاة في التطريز تلعب دوراً في اختيارها عروساً، إذ يحكم على قدراتها العامة من خلال اتقانها فن التطريز. وفي هذه الحالة ينظر الى القطعة المطرزة من قبل الفتاة من الأمام والخلف لمعرفة مدى نظافتها وذوقها وترتيبها. وكان هذا التقليد عاملاً مشجعاً لتطور فن التطريز في فلسطين.

زجاج الخليل:

قرب مصب نهر النعامين في خليج عكا، وفي عهد الكنعانيين قبل نحو اربعة آلاف سنة اكتشف الكنعانيون صناعة الزجاج. فمن رمل ساحل خليج عكا النقي ومواد وجدت مصادفة قرب نار كانت موقدة لفترة طويلة، وجد البعض بعد ان همدت النار قطعاً بلورية تكونت بفعل تلك العناصر. ومع التجارب اللاحقة تم اكتشاف الزجاج، وصنع منه الكنعانيون بعض الاواني.

ومعمل زجاج الخليل التقليدي أحد أهم معالم التراث الفني الفلسطيني، فقد شاعت شهرته عالمياً. وهو معمل يعود تاريخه لمئات السنين. وتتولى ادارته والاشراف عليه والعمل فيه عائلة تملك سر المهنة التي يورثها الآباء الى الابناء.

ولا تزال الطريقة القديمة هي المتبعة في المعمل. وينتج هذا المعمل الزهريات والاباريق والكؤوس والقناديل والاطباق عن طريق النفخ والتشكيل باليد



أوانٍ زجاجية ملونة للزينة

بألوان وأحجام وأشكال متنوعة كثيرة. كما ينتج الخرز بأحجام تتراوح بين ٢ سم و ٤ سم طولاً وحوالي ٢ سم عرضاً ويصنع منه قلائد للنساء وقناديل خاصة.

ان الألوان الزرقاء هي الغالبة، خاصة الازرق التركواز والازرق النيلي (اولترامارين) ومنها ايضاً باللون العسلي والبنفسجي الفاتح والداكن. وكان يوجد اللون الاحمر العنابي الذي لم يعد المعمل ينتج منه منذ سنين لأسباب مجهولة.

أعمال الصدف:

بالاضافة الى شهرة بيت لحم بتطريزها الفريد من نوعه تشتهر في صناعة الصَدف. وهي المدينة الوحيدة في فلسطين، التي تصنع من الصدف تحفاً ذات اشكال وألوان ونقوش اصبحت معروفة بطابعها.

وكما هو حال معمل الزجاج التقليدي في الخليل. فان صناعة الصدف في بيت لحم تعود لمئات السنين. وقد بدأت في عمل المسابح بادئ الامر من أجل تزويد حجاج بيت لحم بها كتذكار من الاراضي المقدسة. ثم تطورت في أواخر القرن الماضي وفي القرن الحالي الى صناعة الحلى النسائية وغلافات للكتب الدينية والعلب ذات الأشكال المختلفة والاحجام المتعددة. اضافة الى نماذج مجسمة لمبانٍ شهيرة كمسجد الصخرة ولصور تمثل ميلاد المسيح وما شابه ذلك. ويستعان بخشب الزيتون في عمل العلب الصدفية المذكورة والصلبان. كما تستخدم الفضة في صنع بعض الحلى الصدفية.

وهذه الصناعة مقتصرة على عائلات بيت لحم. ومنذ اوائل هذا القرن لجأ التلحميون لتدريب جيرانهم في قرى بيت جالا وبيت ساحور للاستعانة بهم بعد ان ازداد الطلب على انتاجهم وعمت شهرة الاعمال الصدفية انحاء كثيرة في العالم.

ويستورد الصدف الخام من بومباي في الهند ومن جدة على البحر الاحمر.

وينقع الصدف الخام في الماء الممزوج ببعض المواد الكيمائية لازالة شوائبه وتليينه ويقطع فيما بعد

بأشكال مختلفة تستعمل حسب الحاجة. ثم تمر هذه القطع بسلسلة من العمليات يتولى كل من العمال الاهتمام بجزء واحد منها.

هناك لونان اساسيان للصدف، الابيض أو المموج المتعدد الالوان المائلة الى الاخضر. وكلاهما لمّاع.

خشب الزيتون :

تشتهر القدس بتصنيع خشب الزيتون. ولا يظن انها صناعة قديمة كصناعة الزجاج والصدف بل تعود الى حوالي مائة سنة على الاكثر. غير ان صناعة المسابح من خشب الزيتون ومن نوى الزيتون معروفة منذ القدم فقد ذكرها كثير من الرحّالة العرب والاجانب قبل مئات السنين.

ان تدفق الحجاج والسياح على فلسطين باعتبارها الاراضي المقدسة، خاصة الى القدس وبيت لحم، دفع الاهلين لتطوير هذه الصناعة في اشكال منحوتات انسانية وحيوانية وعلب وحلى لتكون في متناول الحجاج والسياح كتذكار من القدس.

ومن المعلوم ان خشب الزيتون يمتاز بجمال لونه الطبيعي وتموجات ألوانه. كما يمتاز ايضاً بصلابته وقدرته على البقاء طويلاً.

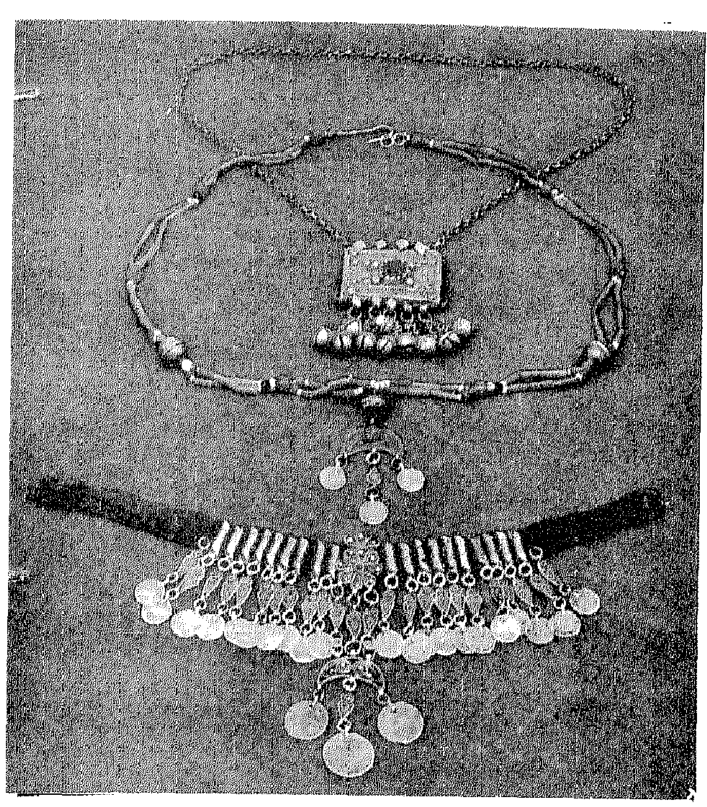
ولا يستخدم خشب الزيتون في تصنيعه إلاّ اذا كان كامل الجفاف. اذ يتعرض للتشقق فيما لو استخدم رطباً. ويستغرق جفافه وقتاً طويلاً يزيد على الشهور.

وهو لا يطلى بأي طلاء. بل يمسح بالليسترو (الكملاكة المحلولة بالسبيرتو) او بزيت الزيتون. وذلك للحفاظ على جمال ألوانه وتعريقته الطبيعية.

المعـــــادن

تنحصر الحرف المعدنية في فلسطين في :

١ – الحلى الفضية والذهبية.
٢ – الاواني النحاسية.
٣ – الادوات الحديدية.
٤ – الاسلحة التقليدية.



نماذج من العقود، للنقود القديمة فيها حصة كبيرة

الحلى الفضية والذهبية :

وصناعة الحلى قديمة قدم الزمان الذي عاش به الانسان على ارض فلسطين منذ آلاف السنين. فالمرأة الكنعانية عرفت الزينة وتحلّت بالقلائد والاساور وغيرها.

ان صناعة الحلى كانت منتشرة في كل المدن الفلسطينية. ذهبية كانت ام فضية. غير ان الفضية تتميز عن الذهبية بقيمتها الفنية. ان الحلى الذهبية في فلسطين لم تختلف كثيراً في شكلها العام عن باقي حلى المنطقة العربية. ان في الذهب قيمته المادية، اما الفضية فالقيمة الفنية ذات الشكل المميز هي القيمة.

واشتهرت القدس اكثر من غيرها من المدن الفلسطينية في هذه الصناعة، خاصة في الخمسين سنة الاخيرة.

وكما الازياء التي ينتسب كل زي منها لمنطقة او بلدة في فلسطين، كذلك الحلى الفضية. فالمرأة في نابلس تلبس في عنقها قلادة تختلف عن تلك التي تلبسها المرأة في بئر السبع او الخليل او القدس.

الأواني النحاسية :

ان أهم هذه الاواني هي اباريق القهوة التي تصنع منها انواع كثيرة ، ذات اشكال وأحجام مختلفة حسب وظيفة كل منها . كذلك اباريق الماء وتوابعها . والمنقل وتوابعه ايضاً . ويستعمل للتدفئة بواسطة الفحم الخشبي كما يستعمل لتحضير وغلي القهوة .

والصواني ، سواء أكانت للاستعمال ام للزينة ، فانها لا تخلو من القيمة الفنية خاصة تلك التي للزينة فتكون مكسوة بالزخارف .

ان هذه الصناعة كانت موجودة في عدد من المدن الفلسطينية كالقدس ويافا ونابلس والناصرة وعكا ، وهي حرفة عربية منتشرة في شتى انحاء الوطن العربي .

الفخّار :

تدل المكتشفات الاثرية على وجود آثار من الفخار التي يرجع تاريخها الى العصر الحجري الحديث . وهي أوانٍ مختلفة الاشكال ومتنوعة الوظائف ومزيّنة بالزخارف المستمدة من اشكال الحيوانات والنبات . ويدل ذلك على تقدم في هذه الصناعة منذ آلاف السنين .

ان صناعة الفخار وجدت بشكل مستمر عبر آلاف السنين في فلسطين . فمنها كان يصنع الانسان العادي معظم ادواته التي يستعملها في البيت ، والتي كان يحفظ فيها زيته وزيتونه وغلاله .

اما صناعة الفخار في وقتنا الحاضر في فلسطين ، فهي ما تزال صناعة بدائية تتبع الطرق البسيطة في صناعته ، سواء من حيث تحضير الطين اللازم ، او صنع الاواني او شيّها . فالدولاب الذي يدار بالقدم هو الشائع المستعمل .

وهنالك لونان من الفخار في فلسطين ، الأسود والبني الذي يكون تارة فاتح اللون لدرجة البيج الفاتح .

وتشتهر مدن الرملة والخليل وعكا وغزة بهذه الصناعة الشعبية ، وقد انحسرت بعد عام ١٩٤٨ في كل من غزة والخليل ونابلس . أما قرية الجيب وهي قرب القدس — فتشتهر بصناعة القدور .

ومن الفخار تصنع اواني الطعام والماء بأشكال مختلفة . لها طابع مميز يختلف الى حد ما بتشكيله عن مثيله في الاقطار العربية المجاورة . كما يصنع من الفخار ايضاً جسم بعض الآلات الايقاعية مثل الدربكة او الطبلة والنقارة والبازة .

وكثير من الاواني كان يزخرف بمادة ملونة خاصة من الاحمر والاسود وكانت بعض عناصرها من النبات ، وفي غالب الاحيان مجرد خطوط واشكال لا معنى لها .

كما ان بعض الاواني مثل القدور وأطباق الاكل والاوعية الكبيرة لحفظ الزيت كانت تلبس بقشرة زجاجية .

الخزف :

ان معظم زخارف وكتابات مسجدي الاقصى والصخرة في القدس مصنوعة من الخزف . ونظراً لحاجة هذين المسجدين للترميم بشكل دائم من أجل الحفاظ على ما يحتويانه ويحتويه غيرهما من الآثار الفنية النفيسة ، فقد أنشئ معمل للخزف في أوائل هذا القرن (١٩١٩) في مدينة القدس .

ويعمل هذا على عمل بديل للقطع التي تتعرض للتلف بتأثير من العوامل الطبيعية او الحروب .

وإضافة إلى ذلك ، وبما ان عملية الترميم ليست عملية مستمرة يومياً ، فقد بدأ المعمل ، منذ تأسيسه . بصنع أوانٍ وأشكال مختلفة الأحجام والوظائف كالزهريات والاباريق والاطباق والقناديل وما إلى ذلك . وأصبحت هذه الصناعة واحدة من الحرف الفنية الشعبية التي تلبي حاجة الحجاج والسائحين في الحصول على تذكار من القدس .

ويستعمل المعمل الطرق اليدوية في العمل . فالدولاب يُدار بالقدم ، والرسوم تتم باليد ، وطريقة الشي تطورت نوعاً ما باستعمالهم المازوت والغاز بدلاً من الحطب . أما نوعية الزخارف ، فهي في معظمها مستمَدّة من روح زخارف مسجدَي الصخرة والاقصى ، ومن زخارف ورسوم عربية اسلامية في فلسطين . مثل قصر هشام في أريحا ●

بطل الوحدة الإيطالية:

جيوسيبي غاريبالدي

إعداد: هدى سكاكيني البربير



غاريبالدي في صورة له سنة ١٨٤٥ في الاورغواي.

● يعتبر جيوسيبي غاريبالدي من أهم رجالات القرن التاسع عشر ، وكان من أنجح الجنرالات والادميرالات ومثالاً للبطل القومي ، إلى جانب كونه رجلاً أمياً عظيماً ، وفي أواخر أيام حياته أصبح واحداً من رواد الاشتراكية الايطالية .

وإذا ما ربطت أعماله بعضها ببعض ، يمكن اعتباره محرراً بالطبيعة ورجلاً أمضى حياته يقاتل من أجل المظلومين أينما وجدوا ـ بالرغم من سذاجة تحليله للقمع . ومهما كان ما فعله ، فانه كان يفعله باقتناع وحماسة لا حدود لها . وكان طبعه هذا يجعل شخصيته لافتة وجذابة .

لقد كانت حياة غاريبالدي العملية مليئة بالأحداث والتلون . وخلف شخصيته المعروفة كانت تختبئ شخصية إنسان يتمتع بالبساطة والطيبة والوداد . الأمر الذي جعل البعض مستعداً لاطاعته بلا نقاش إلى حد الموت من اجله بسرور . كان غاريبالدي في عصره اكثر الناس شهرة وشعبية في العالم ، وكان هناك اتصال مباشر بينه وبين عامة الشعب لأنه هو نفسه كان يجسد الانسان العادي . وكديمقراطي راديكالي وانساني ، آمن قبل كل شيء بالحرية والعدالة الاجتماعية . وفي الوقت نفسه كان فريداً في سلوكه إذ كان غير تقليدي . إن في الدين او في اللباس او في عاداته الشخصية او في أحداث حياته غير العادية .

ولد غاريبالدي في فرنسا النابوليونية وعاش ما بين عامي ١٨٠٧ و١٨٨٢ . ومثل كافور ظل طيلة حياته يتكلم الايطالية دون اتقان . وعمل في التجارة مثل والده وأصبح قبطاناً بحرياً . وتعرف على البحر الاسود وبحار الصين . كما خدم في سفن ايطاليا وفرنسا والولايات المتحدة والبيرو . وفي وقت من الاوقات عمل في خليج تونس . وكان قبطاناً لأول باخرة تعمل بمحرك مروحي تحت العلم الايطالي . وكما عمل مرتين في حياته معلماً في القسطنطينية ومونتفيديو . ومرة على الاقل سافر للتجارة ، وفي مرة اخرى عمل في مصنع للشمع في جزيرة ستاتن . وقد تزوج ثلاث مرات .

ولعدة سنوات بقي خاطباً لسيدة انكليزية ثرية موهوبة وعرض الزواج على امرأة اخرى دون نجاح . ومن خلال تجواله طالب بالجنسيتين الانكليزية والاميركية ، كما خدم كنائب منتخب في مجلس النواب الفرنسي . وعرض عليه لنكولن قيادة وحدة اميركية خلال الحرب الاهلية . وهذا ما يُظهر ان حياته كانت اكثر من حياة شخص عادي . ويمكن وصفها بالحياة المليئة بالحركة والأحداث .

الزعيم الفدائي

بدأ اسم غاريبالدي يتردد محلياً لاول مرة بعد دفاعه عن روما عام ١٨٤٩ . وقبل ذلك . وهذا ما يوضح الكثير حول طباعه وتأثيره . كان خلال النصف الاول من رجولته زعيماً فدائياً في مجاهل البرازيل والارجنتين . وعندما عاد من اميركا الجنوبية . أحضر معه اسلوباً جديداً وناجحاً من الحروب . فقلة من المقاتلين غير النظاميين كانت تستطيع . من خلال خرقها تقاليد الحروب المتبعة . ان تكتسب قيمة ازعاجية كبيرة في ايطاليا التي يحتلها الاجانب .

وكان تأثير اميركا الجنوبية ظاهراً في لباسه الذي احتفظ به حتى نهاية حياته والمتمثل في المعطف او «البونشو» والقميص الاحمر الذي جاء به من بوينوس ايريس . وباتباعه هذا الاسلوب في الحرب استطاع جيشه الايطالي العيش على ارض معادية وذلك باصطياد الحيوانات الضالة وشيّها في الهواء الطلق .

والديمقراطية الصعبة التي اتبعها «البامباس» علّمت غاريبالدي معاملة الجميع بالمساواة كما تعلّم الايطاليون من خلاله حرية جديدة في التصرف والتخلي عن عادات التملّق مثل تقبيل الايدي والتلفظ بكلمات تدل على الخضوع . وبالوسائل نفسها تعلمت ايطاليا نموذجاً خطراً من الديمقراطية لم يكن هناك مثيل له من قبل .

عندما غادر غاريبالدي الى اوروبا كان متعطشاً للقتال ولم يستطع مقاومة اي دعوة للقتال بخاصة حين كانت هنالك مسألة شرف او انقاذ اشخاص . وبسهولة اقنع نفسه بأنه كان يقاتل من اجل الانسانية والحرية عامة . ومنذ اوائل عهده كانت اعماله واحلام اليقظة لديه تظهر تعلقه بأن يصبح بطلاً ويجعل العالم مكاناً

متحرراً وأكثر ملاءمة للعيش.

وأهمية غاريبالدي في تاريخ ايطاليا تكمن اولاً في كونه جندياً. وثانياً في كونه اسطورة قومية. ففي الوقت الذي كانت فيه سمة رجال الدولة الصمت والعجز. كان هو الوحيد المؤمن بالنصر وكانت لديه الشجاعة للعمل. وهذا العمل رفع من شأن البلاد وكشف عن مظالمها كما رفع من معنويات المتشائمين والمتخاذلين من أفراد شعبه.

ففي عام ١٨٤٨، وبمساعدة عدد ضئيل من الرجال. تجرأ غاريبالدي على جبروت النمسا في حرب خاصة. وفي عام ١٨٤٩ أدى دفاعه عن جمهورية روما إلى جعل اوروبا الليبرالية تحبس انفاسها اعجاباً به. وسقط بتراجعه عن روما عدد من الشهداء كانوا غذاء لفكرة القومية وأعطوا ايطاليا مثالاً للأبطال. ومن بينهم الفتاة الهايتية «أنيتا». ولم يتغلب غاريبالدي أبداً على صدمة وفاتها التي كانت اكبر تضحية له في حبه لايطاليا.

وفي عام ١٨٦٠، وبمبادرة شخصية منه، توجه غاريبالدي على رأس جيش من حوالي ألف جندي إلى صقلية. وخلال بضعة اشهر استطاع ان يحرر تقريباً نصف ايطاليا ليسلمها لعدوه اللدود كاميللو كافور ويعود برضاه من صانع للملوك الى مجرد انسان يمارس حياة عادية.

واذا ما قورنت اعماله الاخرى بهذا الانجاز، يمكن القول ان مغامراته العسكرية لم تكن ذات شأن. صحيح انه خلال حروب النمسا عام ١٨٥٩ و ١٨٦٦ كان مسلحاً تسليحاً ضعيفاً من قبل الحكومة وبرهن مع ذلك على انه الجنرال الايطالي الوحيد الذي يتمتع بمهارات وطباع تستحوذ على اعجاب واحترام خصومه. ولكنه فشل في محاولات ثلاث في زحفه على روما. وكانت غيرة الجيش النظامي الى جانب الكره الشخصي والسياسي الذي كان يكنه له معظم رجالات الدولة الايطاليين، سبباً في جعله شخصاً معزولاً.

مغالطات كثيرة

ولم يخلف غاريبالدي وراءه وثائق موثوقاً بها يمكن للمؤرخين الاستعانة بها. فالنصوص المختلفة التي وضعها عن حياته كانت مليئة بالمغالطات ولم يكن لديه تلامذة او أتباع مقربون للوقوف على دقائق حياته.

الملك عمانويل.

لوحة تمثل غاريبالدي في وضع الفارس.

وجيوش الفدائيين التي بنى شهرته عليها انفرط عقدها ولم تخلف وراءها أي أثر. كما كانت حروبه مرتجلة الى حد يجعل إعادة ترتيب مسارها مسألة غير ممكنة.

وبالرغم من كل ما قيل وكُتب لا بد من القول ان غاريبالدي هو الذي اكتشف سر استقطاب المتطوعين غير المدربين الذين التفوا حوله بحماس منقطع النظير. والى جانب غوردون، كان غاريبالدي الزعيم الاكبر لغير النظاميين في الحروب القومية. وقد كسب الانسان العادي الى جانب قضايا كانت تبدو لفترة مضت صعبة المنال. وكان معظم مؤيديه من هذه الفئة من الناس الذين ألهب حماسهم وقوميتهم. مع العلم ان الاعجاب بشخص غاريبالدي قلما صحبته في معظم الاحيان رغبة في المشاركة في الصعاب التي كان يواجهها من أجل الأمة.

وبرغم ما يقال عن أنانية الايطاليين وعدم تمسكهم بالوطن فان غاريبالدي، بفضل شجاعته وأمانته واخلاصه. استطاع ان يوحّد ايطاليا.

شعبية غاريبالدي

لقد وضع سكان نابولي وصقلية في غاريبالدي ثقة عظيمة. وفي الشمال تقدمت النسوة بأطفالهن الى غاريبالدي كي يباركهم ويعمّدهم.

وحتى في خارج ايطاليا كان غاريبالدي موضوعاً للتملق المبالغ فيه. وعندما اصيب برصاصة عام ١٨٦٢ اجتمع حوالي ثلاثة وعشرين جرّاحاً من جميع انحاء العالم للاشراف على معالجته. كما وصلته رسائل سريعة تعبر عن الاعجاب والحب من زوجات عدد من اعضاء مجالس العموم واللوردات.

وقد احتفظت ابنة غاريبالدي المتدينة بأظافر والدها وعدد من آثاره، من اجل تثقيف اولئك الذين كانوا يأتون للحج في سفينة مكتظة بالركاب الى كابريرا.

وقد تعرض غاريبالدي خلال حياته لتمرّد الجيش ثلاث مرات بسبب محاربته لروما. وخلال احدى المرات جعلوه مقعداً للأبد. وقد ساعد ذلك على جعله اكثر بطولة في نظر مؤيديه وارتفعت الاصوات من كابريرا منتقدة سياسة الحكومة كما ادين البرلمان بوصفه مركزاً للفساد والرشوة.

وارتفع صوت غاريبالدي مطالباً الملك «أعطونا المعارك لا الحريات» وذلك لأنه رأى أن وراء «الحريات» تكمن حيلة واسعة من قبل البرلمان.

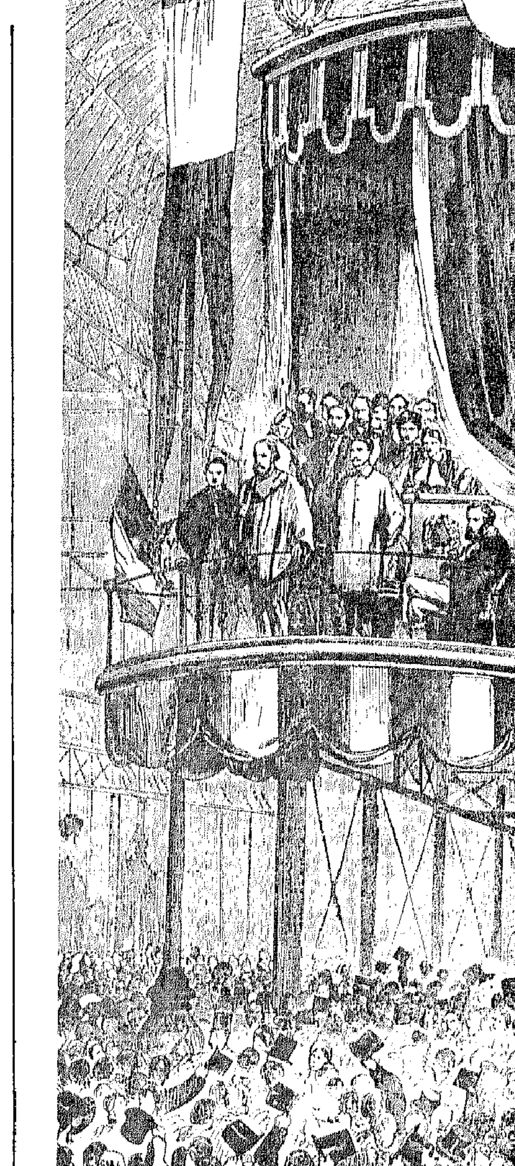
في هذا الوقت كان فيكتور عمانوئيل منخرطاً في أعمال سياسية خاصة من وراء ظهر معظم رؤساء الوزراء كما انه طالما كان يعينهم أو يقيلهم دون العودة الى البرلمان.

ومثال على ذلك، ان الملك اختلف مرات عدة مع كافور حول الاخلاق وسياسة البلاط في حين كان غاريبالدي من ناحية اخرى يتمتع بالصدق ولا يهتم بالأهداف الثانوية التي كان يتطلع اليها السياسيون.

وكان هدف غاريبالدي من السياسة دائماً الحرية. ولكن كان عليه فرضها بالقوة على الشعب. وعندما كان يحصل على السلطة كان يختار الديكتاتورية.

هواياته

قراءة الكتب كانت من بين هوايات غاريبالدي. وقد حوَت مكتبته الصغيرة على مؤلفات شكسبير. بايرون. بلوتارك. لافونتين. فولتير. وارثور يونغ وكتب انكليزية تتعلق بالملاحة والزراعة وفن الحرب. كما أنه كان يمارس الكتابة في بعض الأحيان من أجل الحصول على رزقه ومن اجل إثارة الجيل الجديد للقيام بأعمال عظيمة.

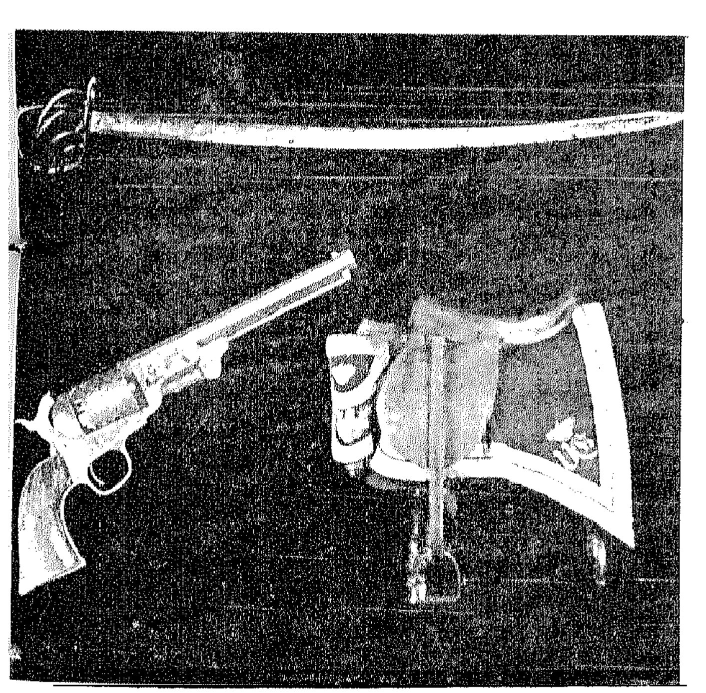


غاريبالدي يحيي الجماهير من على شرفة قصر كريستال - نيسان ١٨٦٤.

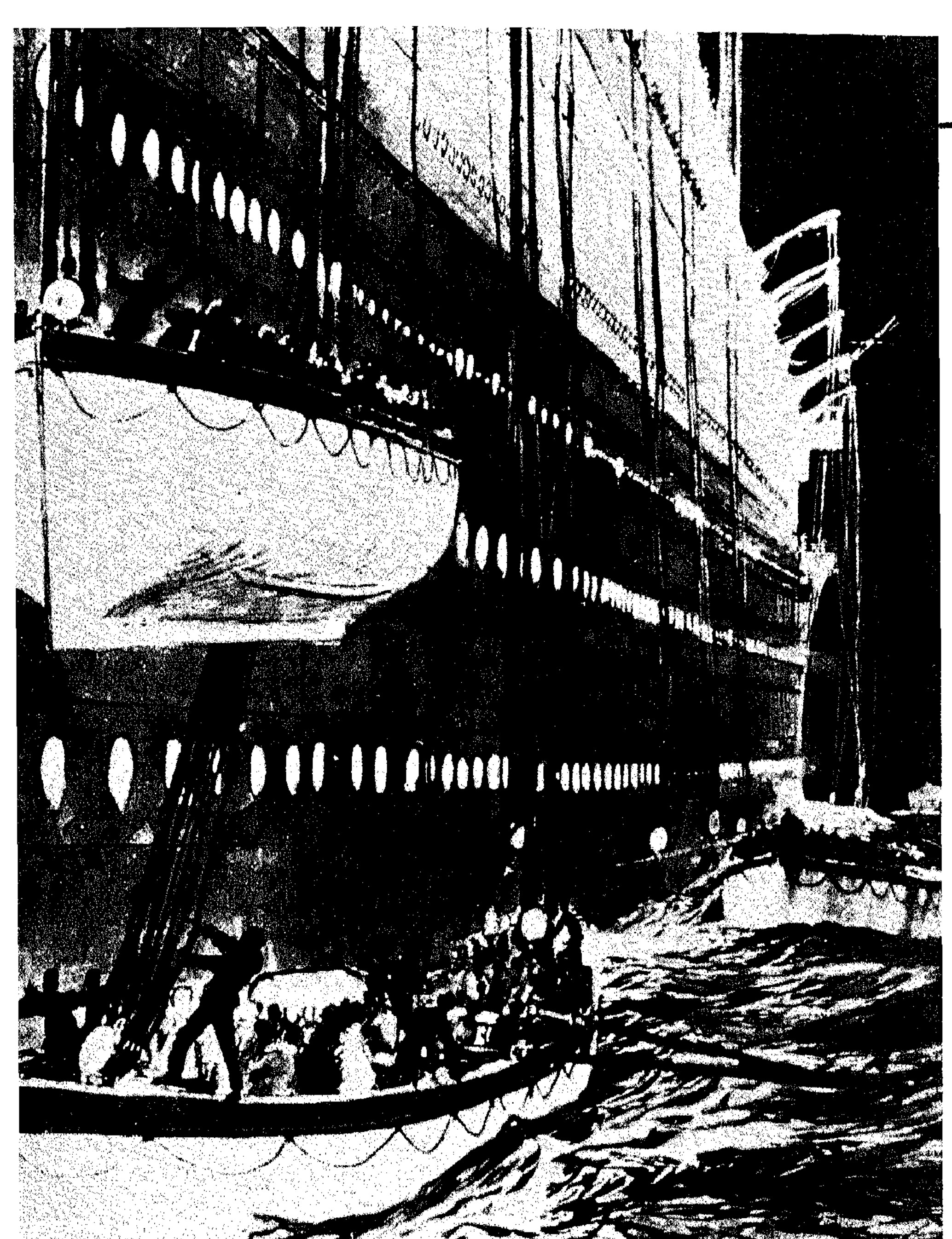
ومات غاريبالدي في كابريرا عام ١٨٨٢. وكانت أقواله الاخيرة بمثابة ميثاق سياسي. فقد ترك لأولاده وأصدقائه حبه للحرية والحق. وأدان الاكليروس الكاثوليكي أتباع مازيني واعتبرهم أعداء الوطن. وأوصى مواطنيه باختيار أصدق رجل في ايطاليا وجعله ديكتاتوراً مؤقتاً آملاً في انه عندما يصبح الايطاليون اكثر فهماً للحرية، وبلدهم أقل تعرضاً للتهديد من الخارج والداخل، يمكن للديكتاتورية ان تتخلى عن الحكم لتفسح المجال أمام الحكم الجمهوري العادي ●



كميل كافور.



أسلحة من أيام غاريبالدي.



أول وآخر رحلة لأكبر باخرة في التاريخ:

بقلم: هانسن بولدوين
ترجمة: "تاريخ العرب والعالم"

تيتانيك

● حكاية عبور البحار مليئة بالحوادث التي تؤكد شجاعة الملاحين. وتظهر ان الطبيعة كثيراً ما تتغلب على علم الانسان. وغرق السفينة «تيتانيك» هو من اكبر مغامرات التطور البحري المأساوية. ولقد اتاحت وثائق جديدة لمؤلف «سفن وأشباح» أن يستعيد تفاصيل هذه الكارثة.

* * *

أُعِدّت الباخرة «تيتانيك»، من الوايت ستار لاين. وهي اكبر سفينة عبرت البحار حتى الآن. في ساوثمتون يوم ١٠ نيسان (ابريل) ١٩١٢، لكي تقوم بأول رحلة لها الى نيويورك. وكانت قد خرجت لتوها في ورش هارلند وولف في بلفاست، حيث استغرق بناؤها ثلاث سنوات، فبدت رائعة ومهيبة بقفصها الحديدي الذي يزن ٤٠،٠٠٠ طن.

لم تكن الباخرة الأكثر اتساعاً فقط، بل كانت ايضاً الاكثر أماناً، إذ أن مهندسها كارلايل قد ضاعَف أساسها وقسم هيكلها إلى ١٦ مقصورة عازلة للمياه، مما جعل «التيتانيك» غير قابلة للغرق. لقد بُنِيَت كزورق انقاذ ضخم وانصب الاهتمام على جعلها فندقاً فخماً عائماً، يُدفع بثلاث مراوح، ويمكنه الوصول الى نيويورك بسرعة ٢٣ عقدة.

والواقع ان عملية التهيئة لم تمر بسلام. فبينما كانت السفينة تتقدم ببطء نحو الرصيف في ذلك اليوم من نيسان (ابريل)، أدى تحرك الحياة الذي أحدثته الى اقتلاع السفينة البخارية «نيويورك» الراسية عند الرصيف المقابل، اذ انتزعت الحبال التي طارت في الهواء محدثة ضجة قوية، ووقعت على الجمهور الذي كان يتابع العملية. وقد تم تفادي الاصطدام بين «نيويورك» و«التيتانيك» بصعوبة بالغة، مما جعل الملاحين المسنين يهزون رؤوسهم أمام نذير الشؤم هذا.

في المساء، توقفت الباخرة في شيربورغ، ثم اتجهت نحو كوين ستاون. وقد غادرت هذا المرفأ يوم الخميس ١١ نيسان (ابريل) عند الساعة ١٣ والدقيقة ٢٠، وعلى متنها ٢٢٠١ مسافر. شقق وكابينات الدرجة الاولى كانت تقل مشاهير كثراً، أما غرف الدرجة الثالثة فكانت تنقل ٧٠٦ مهاجرين الى «ارض الميعاد». وأما الحوض فكان يحوي حمولة متنوعة بقيمة ٤٢٠،٠٠٠ دولار.

تجاوزت «التيتانيك» فاستنت لايت في الليل. ثم أبحرت باتجاه نيويورك حيث كان من المنتظر ان تصل صباح الاربعاء التالي.

الابحار نحو النهاية :

فجر اليوم الثالث أي الأحد، بدا جميلاً وناصعاً. كانت الباخرة تتقدم بسهولة. وقد اقيمت الصلوات في صالون الدرجة الاولى. بينما كان المهاجرون في المؤخرة يلهون بعدة ألعاب.

في الساعة التاسعة، التقط عامل الراديو رسالة من الباخرة «كارونيا»: «الى قائد «التيتانيك»: «سجلت سفن متجهة نحو الغرب في ١٢ نيسان (ابريل) وجود جبال جليد جانحة على خط العرض ٤٢ شمالاً، بين خطّي الطول ٤٩ و ٥١ درجة. مع تحياتي. بار».

بعد الظهر، مال الطقس الى البرودة بالرغم من سطوع الشمس، ذلك ان السفينة، التي كانت مراوحها تقوم بـ٧٥ دورة في الدقيقة، كانت تقترب من ثلوج تيرنوف. وعندما حاولت الباخرة «كاليفورنيان» الاتصال «بالتيتانيك»، لم يكلف عامل الراديو الثاني هارولد برايد نفسه مشقة الرد وتسجيل الرسالة المتعلقة بثلاثة جبال جليد.

في الساعة ١٣ والدقيقة ٤٢، وصلت رسالة اخرى من السفينة «البالتيك» تبلغ ايضاً عن وجود جبال جليد على طريق الباخرة العملاقة، فسجّل برايد الاشارة وأرسلها الى ظهر السفينة حيث علقت لكي يتم إعلام الضباط، بعدما قرأها القبطان سميث، واسماي مدير شركته.

في صالة الطعام الكبيرة والمبنية على طراز القرن السابع عشر، كان العشاء مرحاً، اجتمع بعده عدة مسافرين من الدرجة الثانية في الصالون حيث كان الأب كارتر يقوم باحتفال ديني. كانت الساعة تقارب العاشرة والمضيفون قد حضروا القهوة والبسكويت عندما غنت المجموعة:

يا إلهنا اسمع دعوانا
من أجل الموجودين في خطر البحر

في هذا الوقت، حلّ القبطان الثاني موردوش

محل الملازم الأول لايتولر وهو بحّار متمرس. وكان هذا الاخير قد ناقش مع ضباط آخرين أمر جبال الجليد التي أعلنت عنها خمس برقيات على الاقل. وقد أُمرت أبراج المراقبة بأن توجه لها اهتماماً خاصاً. وكان من المتوقع ان تلتقي الباخرة بهذه الجبال الجليدية اعتباراً من الساعة ٢١ والدقيقة ٣٠. ومع ذلك فقد حافظت على سرعتها.

بعدما التحق الجميع بغرفهم وخيّم الهدوء على الباخرة. ذهب موردوش للتحقق من وجهة سيرها بواسطة البركار. بالقرب من مدير الدفة.

وفي برج المراقبة العالي. كان فريدريك فليت و لي يراقبان كذلك المياه. وراءهما وتحتهما كانت الباخرة ظلاً كبيراً ابيض تبرق فيه هنا وهناك بعض الانوار. وأمامها كان البحر بارداً أسود وصامتاً.

دقات الساعة معلنة الحادية عشرة والنصف. في مركز الراديو. حلّ فيليبس محل برايد. وعاد جهاز ارسال «الكاليفورنيان» الى البث.

– قل لي، يا عزيزي. يبدو أننا محاصَرون بالثلوج.

– اقفل. أجاب فيليبس، اني أتحدّث مع كاب ريس وأنت تشوّش عليّ.

الاصطدام الكارثة:

كانت الساعة ١١ والدقيقة ٤٠.

في هذه الاثناء بَرز فجأة. وكأنه يظهر من العدم. شكل أبيض كبير أمام «التيتانيك».

لم يصدّق فليت نظره بادئ الأمر. إلاّ أنه لم يلبث أن استسلم للحقيقة. فرن الجرس بعنف ثلاث مرات وطلب الأدوار العليا بالتليفون:

– جبل ثلج أمامنا!

فصرخ الكابتن:

– إلى اليسار. أقصاه!

فحوّل السائق دفته بسرعة. إلاّ أن الشيطان كان تقريباً قد التصق بهم.

قفز موردوش نحو التلغراف، ودقت الأجراس، أول إشارة خطر للمستخدمين. توقفت العقارب عند «ستوب». ثم عند «إلى الوراء. بأقصى سرعة». فلم يكن من الميكانيكيين إلاّ أن أداروا مقاودهم الكبيرة... حدثت هزة خفيفة، ثم صرير، ثم تمايل قليل نحو اليسار، وتناثر بعض الثلج على شاب كان واقفاً في صدر السفينة. وأخيراً توقفت «التيتانيك» تدريجيًّا

خرج الكومندان سميث مهرولاً من غرفته:

– بمَ اصطدمنا؟

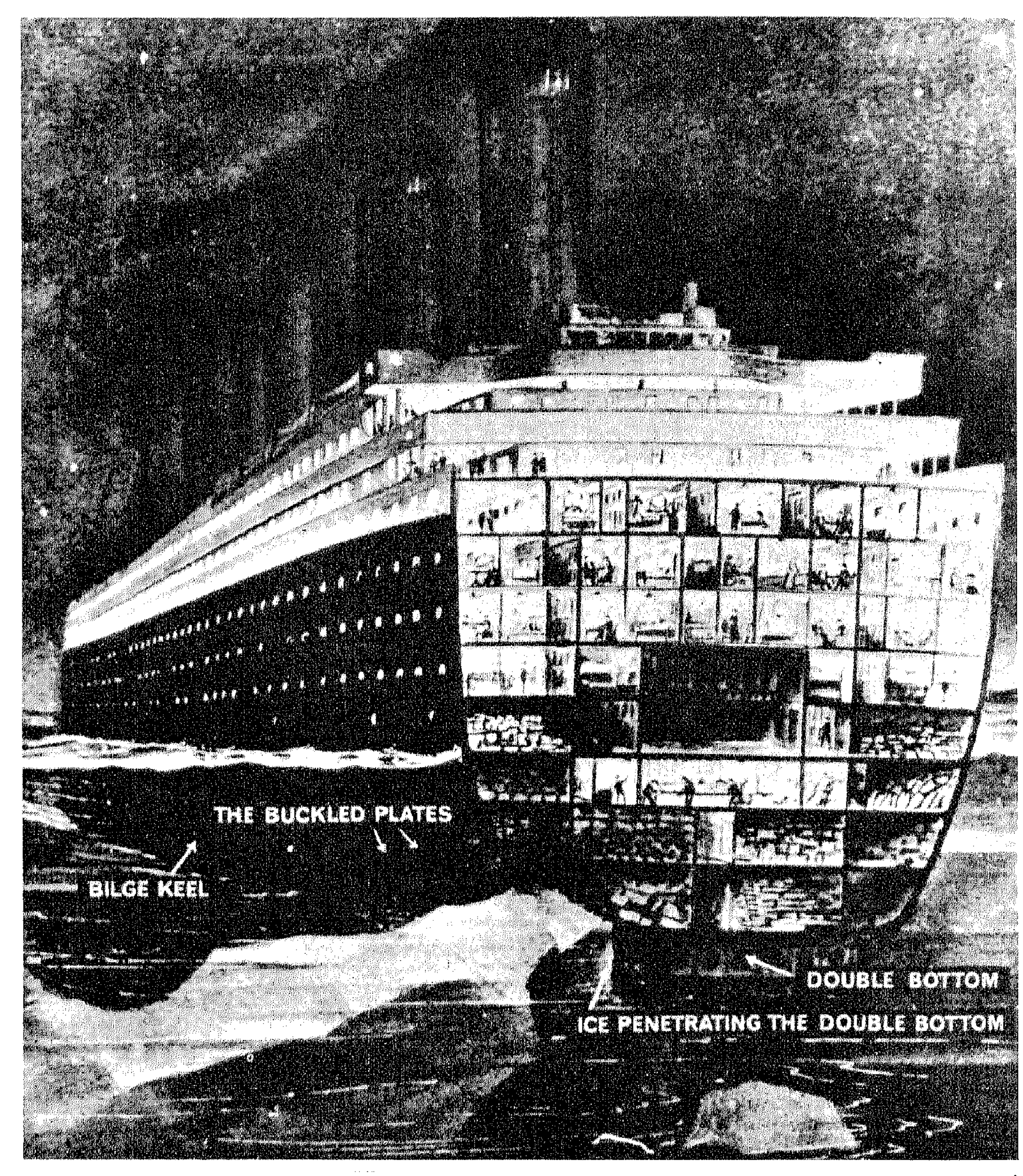
– بجبل جليدي، كومندان، أجاب موردوش. لقد أدرت المقبض كله الى اليسار، وقلبت الآلات، وكنت أنوي وضعه الى اليمين لكي أتفادى الجبل، إلاّ أنه كان قريباً جداً. لم يعد بالامكان القيام بأي شيء. لقد أمرت بإقفال الأبواب العازلة للمياه.

أُضيئت بعض الأنوار في كابينات الدرجتين الاولى والثانية، وأطلت رؤوس يغالبها النعاس. في قاعة التدخين، أحس لاعبو البوكر بالارتجاج الخفيف الذي أحدثه الاصطدام، ورأوا من خلال نوافذهم جبلاً جليدياً علوه عشرون متراً. إلاّ أن الليل كان هادئاً و«التيتانيك» غير قابلة للغرق، فلم يكلفوا أنفسهم عناء الخروج الى الجسر. لكن في الأسفل، في ممرات الميمنة الضيقة وفي حوض السفينة وفي مواضع المرجل الامامية، كان بعضهم قد فهم أن إصابة الباخرة مميتة.

في موضع المرجل رقم ٦، كان الماء يتدفق من فوهة كبيرة، فالهيكل بات مفتوحاً فعلياً للبحر، وفي خلال دقيقتين وصل علو الماء في هذا المكان الى مترين وخمسين سنتيمتراً.

عندما نظر الملازم بوكسهول الذي ارسل لتقدير الأضرار، الى المقصورة المخصصة للبريد، على ارتفاع سبعة امتار من القعر كانت أكياس الرسائل قد عامت، كذلك كان حال الغرف الست المقابلة لموضع المرجل رقم ٤. فخلال عشر ثوان، كان الجبل الجليدي قد فتح شقاً طوله تسعون متراً في غاطس الباخرة الكبيرة «تيتانيك».

بدأت الحياة تعود شيئاً فشيئاً الى الممرات والكابينات. رجال ونساء وأطفال أفاقوا وبدأوا بطرح الأسئلة، غير أن معظمهم كان ما يزال يجهل ان السفينة تغرق، فالصدمة كانت خفيفة لدرجة ان اكثرهم لم يستيقظ، ثم ان «التيتانيك» اكبر من ان تؤثر فيها ثلوج عائمة، والليل كان أهدأ وأجمل من أن



الباخرة من الداخل.

يحمل الموت في طياته.

ركض الكومندان سميث الى جهاز الارسال:

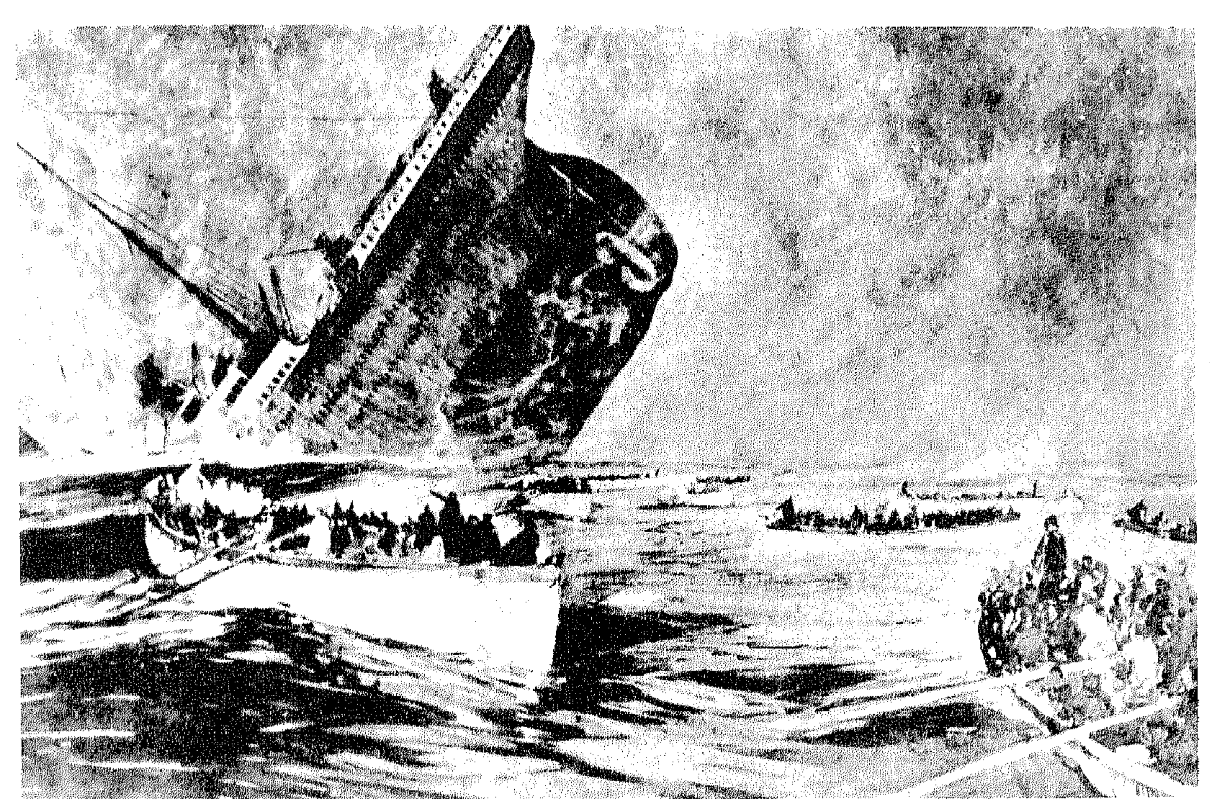
– اطلقوا نداء الاستغاثة!

فسمع النداء على بعد عدة أميال، ووصل الى بعض البواخر، كما وصل الى البر.

كان الماء يتصاعد بسرعة، فوصل الى مركز الوقادين الذين أسرعوا الى السلالم وهم نصف عراة.

وفي الثانية عشرة ليلاً احتل مركز الملاحين. وقد حاولت المضخات المقاومة دون جدوى، وجاء إطلاق زوارق الانقاذ متأخراً بعض الشيء بسبب تأخر الملاحين في الالتحاق بأعمالهم. وكان لا بدّ من توجيه الأوامر بصوت عال بسبب توقف صفارات الانذار وسيطرة صفير البخار على كل الاصوات الاخرى.

في الملجأ، كان بوكسهول يحدد بسرعة موقع



إنزال زوارق الانقاذ الى البحر. وكانت المسافة بينه وبين ظهر الباخرة ٢٣ متراً (رسم خيالي لماتانيا).

الباخرة بواسطة البركار والمنقلة.

– الساعة ١٢ ليلاً والدقيقة ٢٥ : عُين موقع الباخرة للسفن الموجودة في الجوار كالـ «كارباتيا» :

– إلحقوا بنا في الحال. لقد اصطدمنا بجبل جليدي.

– نحن نغرق ويستحيل علينا سماعكم بسبب البخار.

محاولات انقاذ الركاب :

– الساعة ١٢ ليلاً والدقيقة ٣٠ : أمر بوضع النساء والأطفال في زوارق الانقاذ، فأنهى المضيفون إيقاظ بقية المسافرين وساعدوهم على ربط الاحزمة. وبدأت السفن تغير وجهة سيرها نحو «التيتانيك» ما عدا «الكاليفورنيان» وكانت الاقرب إليها، لأنها لم تسمع النداء. فقد رفعت قبل لحظات السماعات للاخلاد الى النوم.

بدأت مقدمة السفينة بالغوص، ولم يكن أمام الميكانيكيين الذين كانوا يخوضون معركة خاسرة إلاّ التراجع أمام البحر.

– الساعة ١٢ ليلاً والدقيقة ٤٥ : أمر موردوش بإنزال القارب ٧ إلى الماء، وكانت نظراته توحي بالقلق وإن بدا هادئاً وبارداً. النساء قاومن، فمجرد فكرة التجذيف في بحر مليء بالكتل الجليدية كانت تخيفهن. ثم ان «التيتانيك» لا تغرق! أما الرجال فشجّعوهن، موضحين بأن هذا التدبير ما هو إلاّ احتياط :

سنلتقي بكن عند الافطار.

فجأة أطلق بوكسهول صاروخاً، فدوى انفجار تساقطت على أثره نجوم بيضاء أضاءت سطح الماء. عند ذلك بدأت الأوركسترا بعزف موسيقى راقصة، ووضعت الزوارق ٥ و٦ بحالة الاستعداد. وقد وصل عدد ركاب الاخير الى ٢٨، في حين يمكنه احتواء ٦٥ شخصاً. وعندما همّ الملازم الثاني بيتمن بركوب الزورق ٥، أمسك موردوش بيده وقال له :

إلى اللقاء وحظاً سعيداً.

– الساعة الواحدة ليلاً : الماء يتصاعد ويغمر صدر السفينة. زوارق الانقاذ تنزل تدريجيًا الى البحر، بينما موسيقى الاوركسترا ما تزال تصل عبر صرخات المسافرين.

الزورق ١ المخصص للأغنياء والذي يتسع لـ ٤٠ شخصاً ، غادر السفينة وعلى متنه ١٠ فقط.

في المؤخرة ، بدأ المهاجرون وقد تملّكهم الخوف ، يتنازعون على الركوب في القوارب ولم يتوقفوا إلاّ عندما دوت ثلاث طلقات نارية. وقد تمكن اربعة صينيين من الانسلال في زورق دون ان يراهم أحد.

– الساعة الواحدة والدقيقة ٢٠ : المياه تكتسح المرجل رقم ٤ ، وتصل إلى ركبة الوقادين الذين كانوا ما يزالون يعملون لضرورة تأمين البخار للدينامو والراديو ، فيلجأون إلى الهرب عبر الأبواب العازلة.

صواريخ اخرى تُطلَق نحو السماء. الآن ثقلت حمولة الزوارق لأن المسافرين أدركوا ان الباخرة تغرق فعلاً. النساء يتعانقن ويبكين.

– الساعة الواحدة والدقيقة ٣٠ : الملازم الاول لايتولر يشرف على زوارق الميسرة وموردوش على زوارق الميمنة. وقد أصرت امرأة على أخذ كلبها الدانمركي معها ، ولما جوبهت بالرفض ، عادت إلى الباخرة لكي تموت معه.

على وجه الرسام ميه اختفت الابتسامة التي لم تفارقه طوال الرحلة ، إلاّ أنه استمر بمساعدة النساء وبالتأشير لهن بالوداع. أما بنجامان غوغنهايم ، فكان ، بلباسه الكامل ، يبتسم :

لقد ارتدينا ملابسنا لكي نموت ميتة وقورة.

– الساعة الواحدة والدقيقة ٤٠ : القوارب ١٤ ، ١٣ ، ١٦ ، و ١٥ تغادر بدورها السفينة.

– «مقصورة الآلات غمرت بالمياه» ، أعلنت «التيتانيك».

– «نحن نتقدم بأسرع ما يمكننا» ، أجابت «البالتيك».

المايجور بوتس يساعد النساء على الصعود الى الزوارق. وعندما همت مدام ستروس بركوب أحدها ، تراجعت ولحقت بزوجها :

– نحن معاً منذ زمن طويل.. سأذهب حيث تذهب.

– الساعة الواحدة والدقيقة ٤٥ : صدر السفينة بات تحت الماء ومؤخرتها ارتفعت نحو النجوم. الاوركسترا ما تزال تعزف.

السيد والسيدة هاريس يقتربان سوية من الزورق ، فيعترض أحد الضباط :

– السيدات أولاً.

فينحني هاريس ثم يبتسم ويتراجع :

– صحيح ، السيدات أولاً.

أطلق بوكسهول آخر صاروخ لديه ثم اندفع لقيادة الزورق.

– الساعة الثانية ليلاً : «التيتانيك» تدخل مرحلة النزع الأخير وتنتصب اكثر فأكثر في الاتجاه العمودي. لكن الشرارات الزرقاء ما تزال تتراقص في مركز الارسال ، حيث يطلب فيليبس مجدداً النجدة.

تغادر الزوارق الباخرة الواحد تلو الآخر. الكاتب الفرنسي جاك فوتريل يحث زوجته على الرحيل :

إذهبي ، بحق السماء ! هذه آخر فرصة لك. اذهبي !

النزع الأخير:

---

١٦٠ شخصاً تمكنوا من إيجاد اماكن لهم في الزوارق... وبقي ١٥٠٠ مسافر على ظهر السفينة الآخذة بالغوص في أعماق البحر.

كان الملاحون والضباط ما يزالون يواصلون الجهود ، كل في مضماره ، حين أطلّ عليهم الكومندان بوجهه الشاحب :

لقد قمتم بواجبكم يا صغاري. لن تستطيعوا شيئاً بعد الآن. فليعمل كل لنفسه.

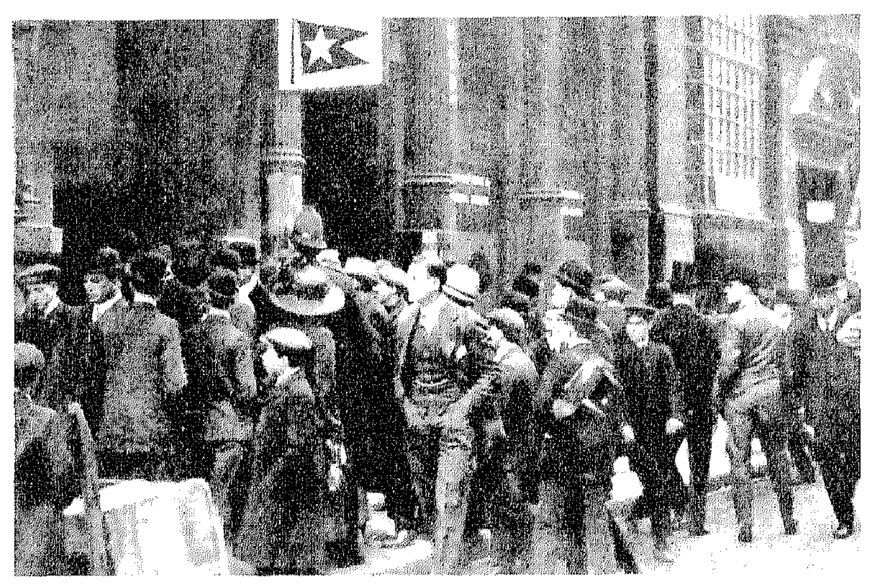
لحظة دخول برايد لمركز الارسال. وصل احد الوقادين بوجهه الاسود والرعب باد عليه. ومد يده ليأخذ صدرة الانقاذ الخاصة بفيليبس. فاستدار برايد وقضى عليه بضربة من مفتاح انكليزي.

– الساعة الثانية والدقيقة ١٠ : ما يزال هناك بخار ، وان كان الضغط ينخفض بسرعة. في قاعة الرياضة ينظر المدرب الى سيدين ركبا دراجتين وآخر يضرب كرة الملاكمة.

عمال البريد يصعدون السلالم وهم يجرون وراءهم الرسائل المبللة. الشرارات الزرقاء ما تزال تتراقص والاوركسترا ما تزال تعزف. لكن الموسيقى لم تعد راقصة :

الكارباتيا تقدم الاسعافات للذين ظلوا على قيد الحياة من ركاب التيتانيك.





امام مكاتب الوايت ستار. بعد غرق «التيتانيك».

اقرب إليك. يا إلهي
اقرب إليك...

يردد هذه العبارات مجموعة من الحاضرين. بينما يركع آخرون على الجسور المنحنية ويصلون. يحاول الكثيرون الوصول الى المؤخرة حيث المئات ممسكون بالمراوح الكبيرة الصامتة.

الراديو يواصل البث والموسيقى تقترب من نهايتها. فيطلب هارتلي، قائد الاوركسترا، من الموسيقيين الثمانية أن يعزفوا مقطوعة الخريف،كانت المياه قد غمرت أرجلهم.

بعض المسافرين بدأوا بالقفز الى البحر البارد. امرأة تصرخ:

انقذوني! انقذوني!

فيجيبها رجل:

الله وحده يمكنه إنقاذك الآن، يا سيدتي الفاضلة!

تبدأ الاوركسترا بمعزوفة الخريف:

إله الرحمة والشفقة
انظر الى آلامي...

تصل المياه الى الطبقة العليا حيث القبطان، فيرمي نفسه فيها ببطء...

– الساعة ٢ والدقيقة ١٧: تسمع «فيرجينيان» نداء متردداً يتوقف فجأة. الشرارات توقفت عن التراقص، والاضواء انطفأت.

– الساعة ٢ والدقيقة ١٨ : يتراكض الرجال على الجسور المظلمة ويقفزون في الليل . فتبتلعهم الأمواج . لايتولر لم يتخل عن السفينة ، بل هي التي تخلت عنه . وهذا كان حال المئات غيره ، لكن قليلاً منهم سيعيش ليخبر عما حصل .

المداخن ما تزال ظاهرة فوق سطح البحر ، كذلك الصاري . بعض الرجال يسبحون وآخرون يسقطون . الاوركسترا تعزف في الظلام :

ساندني في الحياة القوية
ساعدني على النظر نحو السماء
فضيلة ، عدالة إلهية
ســلام ...

مدخنة الصدر اقتلعت وسقطت في البحر ، فهرست عدة سابحين . في مواضع المرجل حيث توقف الدينامو نهائياً عن الدوران ، يحاول الوقادون الهرب من الماء بالتمسك بقطع معدنية حامية ، وقطع اخرى تنهار بعدما تقطعت روابطها .

الباخرة «تيتانيك» واقفة الآن بشكل مستقيم . انتظرت لحظة ثم شرعت في الغوص ، ببطء ، في بادئ الأمر . ثم بسرعة اكبر ، اكبر ، اكبر ، الى ان عاد القبر السائل فأغلق عليها .

– الساعة ٢ والدقيقة ٢٠ : اختفت اكبر باخرة في العالم . المياه الظلماء بدت كدوامة كبيرة بيضاء ، ومن اعماقها تصاعد انين طويل متواصل .

الناجون ...

ابتعدت القوارب عن هذه الدوامة خوفاً من أن تجرفها . ابتعدت كذلك عن صرخات البائسين رجالاً ونساء ، الذين كانوا يتصاعدون مع المياه الباردة . لم تكن الزوارق مجهزة جيداً ولا محملة بالتساوي . في بعضها كان يوجد عدد قليل من الملاحين ، مما اضطر الركاب وحتى النساء منهم للتجديف .

قسم قليل من الزوارق كان يحوي أعداداً كبيرة من الناس . الباقون قاموا بمحاولات شكلية لالتقاط الغرقى ، إذ كانوا يخشون الاخلال بتوازنهم إذا ما رجعوا بين المحتضرين . بعضهم ، وكأنهم أصيبوا بمس من الجنون ، أجبروا السابحين الذين حاولوا الاقتراب منهم على التراجع بضربهم بالمجذاف على رأسهم . والبعض الآخر حاول على العكس انتشالهم .

أحد الزوارق عامَ بعد غرق الباخرة ، فكان بمثابة خشبة خلاص لثلاثين او اربعين رجلاً . كان بينهم الكولونيل ارشيبالد كراسي الذي قفز من الباخرة في آخر لحظة . وتبير الذي رأى والده يموت . ولايتولر الذي جرف مرتين مع الباخرة الغارقة وأعيد مرتين الى سطح البحر بواسطة فقاقيع الهواء . وبرايد وفيليبس . ولم يلبث هذا الأخير ان فارق الحياة .

بعض زوارق الانقاذ كان مجهزاً بالضوء ، غير ان الوحيد الذي ارشد «الكارباتيا» : هو ضوء القارب ٢ . شوهد هذا الاخير عند الساعة ٢ والدقيقة ٤٠ . ووجد أول زورق الساعة ٤ والدقيقة ١٠ . حينما سكتت آخر صرخات المحتضرين .

عند ذلك فقط أدرك الكابتن روستن ان «التيتانيك» قد غرقت . فبحث بدقة عن بقية الزوارق وانتشل ركابها . كانت قد اتخذت كل الاستعدادات لاستقبالهم ، لكن القليل منهم احتاج لعناية طبية .

لم يفهم العالم مدى فداحة الكارثة إلاّ في وقت متأخر ، لأن الراديو لم يكن آنذاك ما هو عليه الآن . والأخبار الاولى المغالطة أيقظت الأمل في قلوب الناس فظنوا أنه قد تم إنقاذ ركاب السفينة . ولم تعرف الحقائق بكل بشاعتها إلاّ ليلة الخميس عندما دخلت «الكارباتيا» نورث ريفير . فأحاطت بها القاطرات لكي تجرها الى الرصيف حيث كان ينتظرها عدد من الأطباء والممرضين وسيارات الاسعاف .

لكن قبل ان تدنو من الشاطئ ، كانت «الكارباتيا» قد انزلت قوارب «التيتانيك» – ٣٠.٠٠٠ رجل كانوا يملأون الأرصفة والشوارع المجاورة ، وبينهم أهلو ٧١١ مسافراً ظلوا على قيد الحياة وأهالي المفقودين الذين كان الأمل ما يزال يراودهم .

عندما رست الباخرة ومدت الجسور للعبور ، رأى الناس أول من رأوا امرأة تكاد تهوي وهي تتقدم ، يسندها موظفو الجمرك . تأمل الجمهور هذا المشهد بصمت أولاً ، ثم ما لبث أن تصاعَد أنين طويل وأخذ يكبر ، مرافقاً الموكب الحزين .

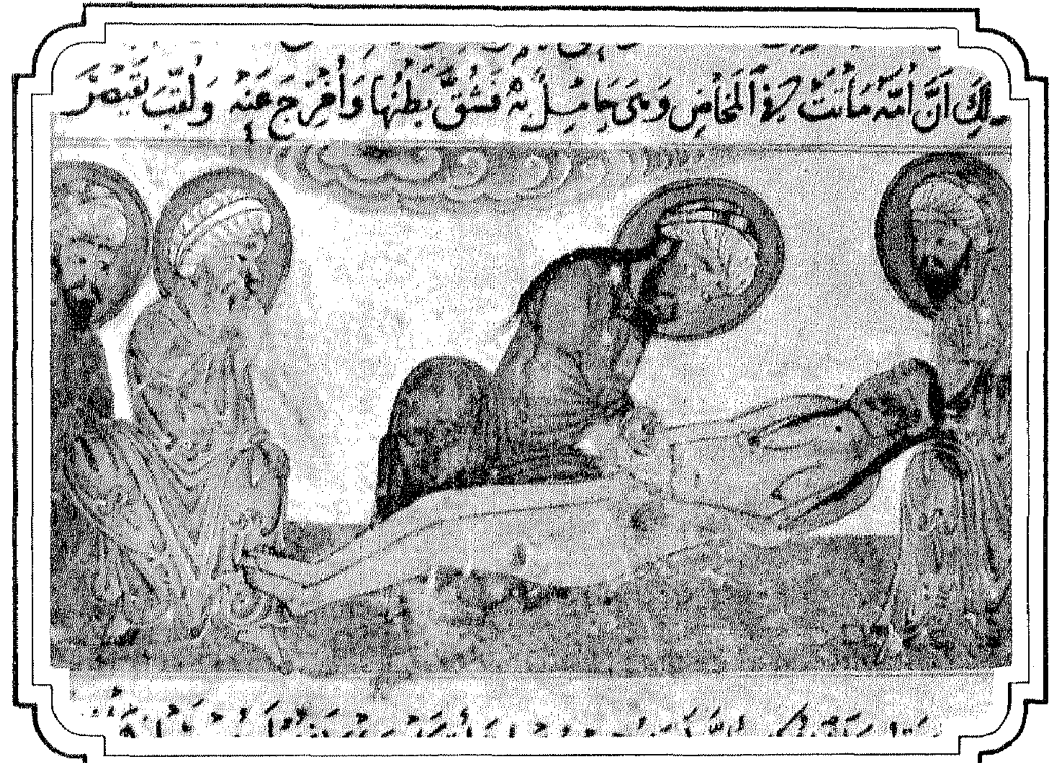
وهكذا انتهت أول رحلة لأكبر باخرة في العالم «التيتانيك» ●



مراجعة كتاب

تاريخ الطب العربي

للدكتور سامي حداد



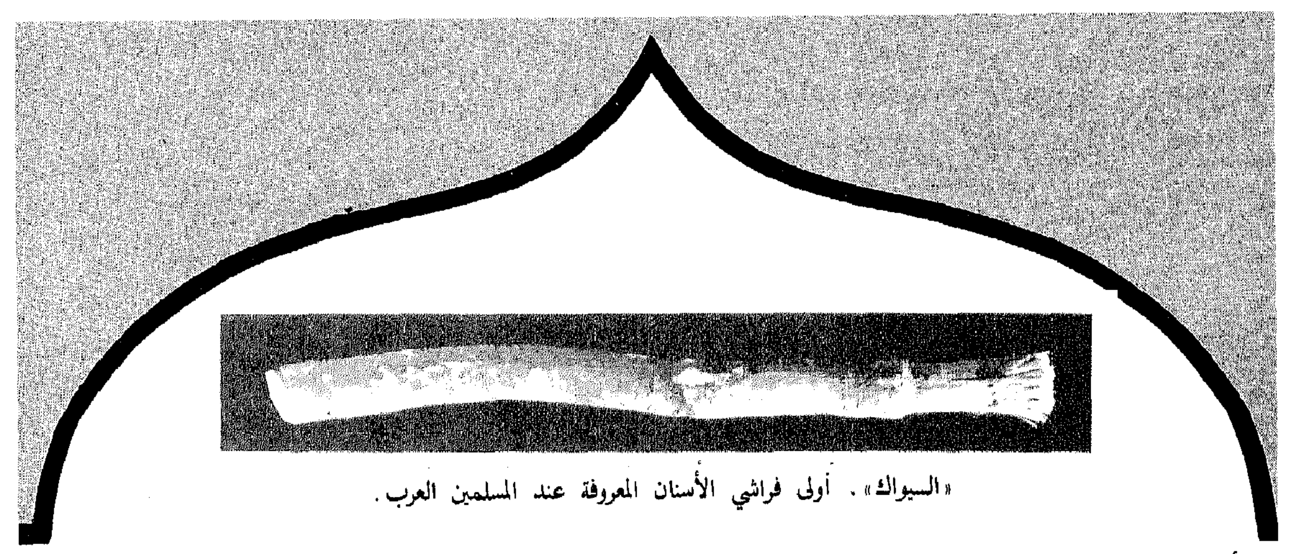
أو إماطة اللثام عن مفخرة الطب لدى العرب

إعداد : محمد أمين فرشوخ

● هذا هو الجزء الأول من الأعمال الكاملة للطبيب الفلسطيني سامي ابراهيم حداد، وهو عبارة عن مقالات كتبها في فترات متباعدة باللغتين الانكليزية والفرنسية أما بمفرده أو بمساعدة أطباء آخرين.

أما المقالات التي كتبها باللغة العربية حول تاريخ الطب العربي فستصدر في كتاب مستقل. وفي خصوص كتبه الأخرى حول جوانب عدة من الطب فانها ستصدر تباعاً.

طبع هذا الكتاب في بيروت العام ١٩٧٥ بفضل مساهمة «مؤسسة لويز مسابكي» في مستشفى



«السيواك». أولى فراشي الأسنان المعروفة عند المسلمين العرب.

«أوريانت». عدد صفحاته من الحجم الوسط ١٥٢، تتخللها ٢٥ صورة لوثائق ورسوم طبية عربية قديمة، منها ٧ صور بالألوان، إضافة إلى الفهارس بالشخصيات والمستشفيات والمؤسسات الجامعية والعلمية والأسماء الطبية والجغرافية وأسماء الكتب الطبية العربية القديمة الواردة في الكتاب.

* * *

ولد الطبيب سامي ابراهيم حداد في يافا (١٨٩٠) وتوفي في بيروت (١٩٥٧). كان طبيباً جرّاحاً في الجامعة الأميركية في بيروت وأسس مستشفى «أوريانت» العام ١٩٤٦.

اهتم د. حداد في شكل خاص بتاريخ الطب العربي وجمع مجموعة فريدة من المخطوطات العربية حول الموضوع. سافر إلى العديد من الدول العربية والأجنبية بحثاً عن آثار المستشفيات القديمة وغيرها من البراهين المتعلقة بتاريخ الطب العربي.

يشمل الكتاب ٣ أقسام رئيسية:

١ - في القسم الأول (ص ٢١ - ٥٧)، يتناول د. حداد موضوع الطب العربي عموماً ويتطرق إلى العديد من الأطباء العرب القدماء ومؤلفاتهم. في المقال الأول: «العرب وفن الطبابة» (١٩٣٧)، يفنّد الكاتب المزاعم التي تروج بأن الطب العربي القديم اقتصر على السحر والتنجيم الفلكي.

ويشير إلى ان أول من تطرق إلى علم الطبابة عند المسلمين الأوائل هو الحارث بن خلده، عم النبي، الذي قطع الصحاري حتى بلاد فارس ليدخل إلى مدرسة ومستشفى (Gundishapur). ويوضح د. حداد هنا إلى أن النبي محمد نفسه «كان يهتم كثيراً بالطب وهو أعظم معلم لعلم الصحة» لجهة تشديده على ضرورة الوضوء خمس مرات يومياً قبل الصلاة.

أما في خصوص ترجمة النصوص الطبية الاغريقية إلى العربية فيذكر المؤلف أن الحاكم الأموي خالد بن يزيد هو أول من بادر إلى تشجيع هذه الترجمة لأكبر عدد من المصنفات الاغريقية التي استطاع الحصول عليها.

وفي العهد العباسي تابع الخلفاء اهتمامهم بهذا العمل إلى حد انه يقال ان المأمون كان يدفع ثمن تآليف الطبيب حنين بن اسحاق ثقلها ذهباً.

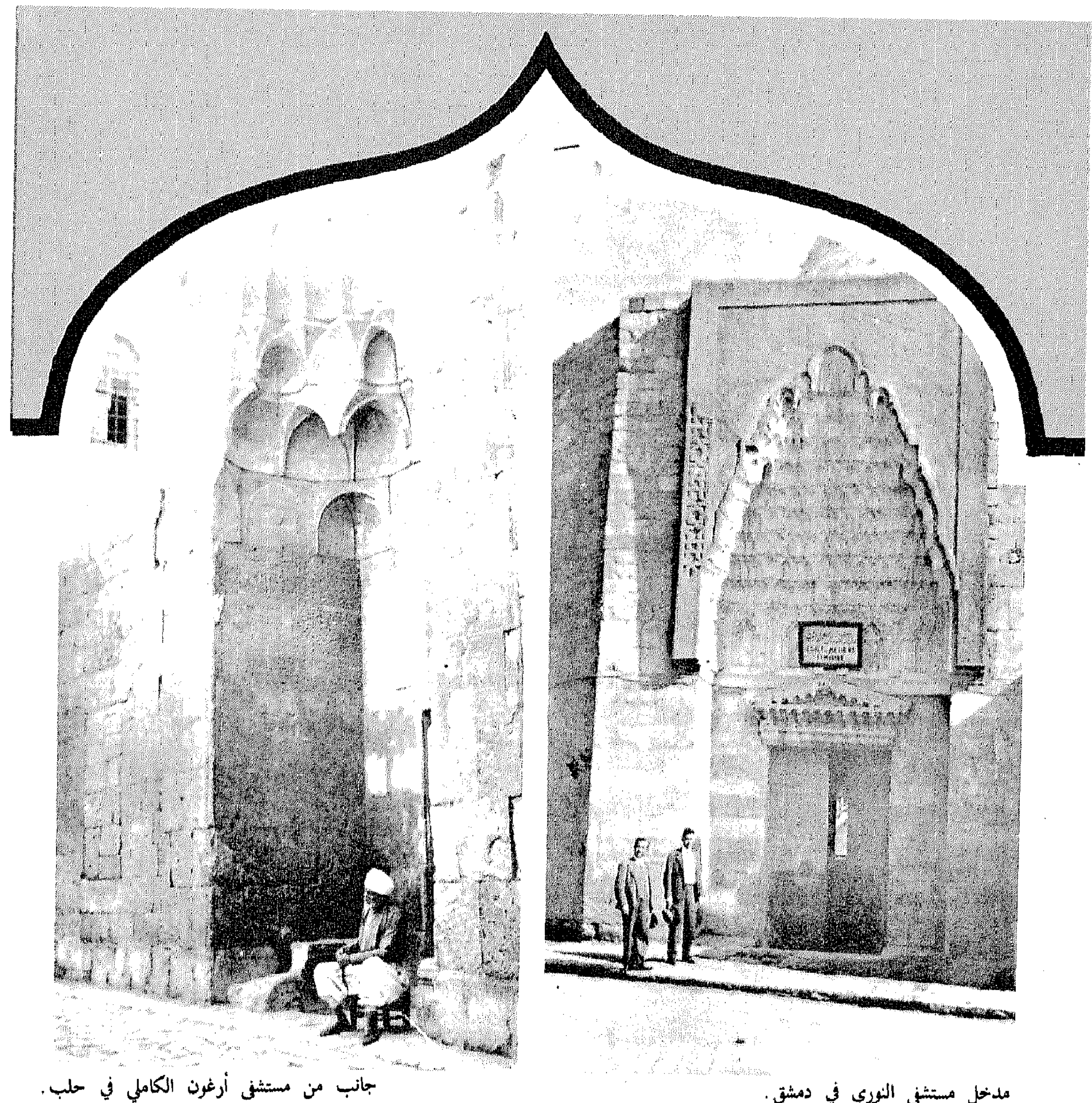
ومن المثير للاعجاب أن الغرب لم يتعرّف على علم الطبابة الاغريقية إلا من خلال الترجمات العربية لها. هذه الترجمات التي فقدت معظمها ولم يبق إلا القليل منها وهو غير محقق حتى اليوم.

ويكشف د. حداد ان العالم العربي «علي بن عباس» هو الذي كتب أول مقالة في علم التشريح، وهذه المقالة ذات الأهمية التاريخية الكبرى ترجمت إلى اللاتينية وعممت في أوروبا بواسطة كونستانتينوس أمزيقانوس ولكن من غير أي ذكر لأصلها العربي.

وفي المقالين الثاني: «المساهمات العربية في الطب» (١٩٤١) والثالث: «مساهمات العرب في الطب» (١٩٥٥)، يذكر المؤلف أسماء العديد من العلماء الأجانب الذين أقرّوا بفضل المساهمات العربية في اغناء الطب ثم يعرض في ايجاز لمنجزات أبرز الأطباء العرب.

ومن هؤلاء المستشرقين نذكر:

- أدوار بيردوو في كتابه «أصل وتطور فن الطبابة».



مدخل مستشفى النوري في دمشق.

جانب من مستشفى أرغون الكاملي في حلب.

– ادوارد براون في محاضراته في جامعة كامبريدج عن الطبابة العربية.

– فيلدينغ غاريسون في كتابه المعروف «تاريخ الطب».

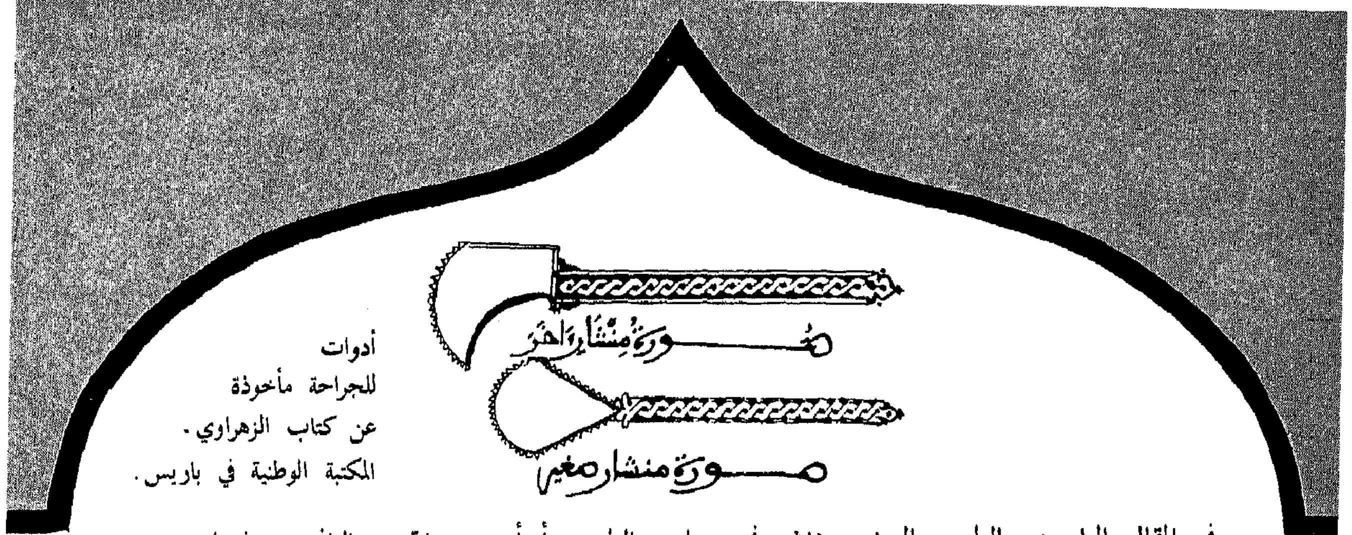
– شارلز غرين كومستون، وهو محاضر في جامعة جنيف، في كتابه عن «تاريخ الطب».

– دونالد كامبل في مقالته عن الطبابة العربية (نشرت العام ١٩٢٦).

– شارلز سينغر في كتابه «التاريخ المختصر للطب».

ولكن نلاحظ هنا قوله ان عهد الترجمة للمخطوطات الاغريقية الطبية بدأ في أيام هارون الرشيد (ص ٣٧) بينما كان ذكر في مقاله الأول (ص ٢٤) ان ذلك بدأ منذ عهد الحاكم الأموي خالد بن يزيد، وكما أكده في مقاله الثالث (ص ٥٠)

وهو في المقالين المذكورين يورد أهم الأطباء العرب والمسلمين القدماء مع نبذة عن مصنفاتهم. ويركز خصوصاً على كتاب علي بن عباس «كامل الصناعات» وكتاب ابن جزلا «تقويم الابدان».



أدوات للجراحة مأخوذة عن كتاب الزهراوي. المكتبة الوطنية في باريس.

وفي المقال الرابع: «الطبيب العربي» (نشر في ١٩٦١) يتحدّث د. حداد عن أوضاع ومؤهلات الطبيب العربي القديم من النواحي العلمية والثقافية والمهنية.

وهذا المقال لم يتسن للدكتور حداد انجازه كاملاً ولكن على رغم ذلك كان من أكثر المواضيع طرافة وفرادة خصوصاً في ما يتعلق بمخصصات الطبيب العربي ومعنوياته وأخلاقه...

٢ - القسم الثاني (ص ٦٧ - ٨٦) مخصص للمستشفيات العربية: أماكنها، نوعها، ماليتها، ادارتها وموظفيها. طرق المعالجة فيها.

ففي المقال الأول: «دراسة عن المستشفيات العربية بالنسبة إلى التوحيد القياسي الراهن» (١٩٣٦) وفي المقال الثاني: «أول المستشفيات العربية» (١٩٣٩). يورد د. حداد تفاصيل جديدة عن موقع هذه المستشفيات وتخصصها وماليتها وادارتها وكيفية قبول المرضى فيها وأوضاع الموظفين المادي والمهني والتأهيل والطبابة فيها. كما يتطرق إلى دور الخلفاء في تشجيع بناء المستشفيات وتعميم الطبابة فيها على الجميع، فقراء وأغنياء، نساء ورجالاً.

٣ - في القسم الثالث (ص ٨٧ - ١٣٩) يعرض مسألة اكتشاف ابن نفيس للدورة الدموية العليا (Pulmonary Circulation) في القرن الثاني عشر الميلادي. أي ٣٠٠ سنة قبل الطبيب الانكليزي ويليام هارفي (١٥٧٨ - ١٦٥٧). كما يتناول طب الأسنان عند العرب إضافة إلى بعض المعالجات الطبية العربية الأخرى. ثم يورد لائحة بأهم الوثائق والرسوم الطبية العربية التي كان يحتفظ بها ضمن مجموعته الفريدة.

ففي المقالين الأول: «فصل منسي من تاريخ الدورة الدموية» (١٩٣٦) الذي كتبه بالتعاون مع الطبيب أ. أ. خير الله. والثاني: «فصل منسي من الدورة الدموية العليا» (١٩٣٧) الذي كتبه بالتعاون مع الطبيب انجيلوس كوسوغلو. يبرهن المؤلفون. استناداً إلى كتابات ابن نفيس خصوصاً. على اكتشاف هذا العالم العربي للدورة الدموية وأسرارها المجهولة يومها.

وهم هنا يستنتجون ٩ ملاحظات عن اكتشاف ابن نفيس المدهش في الزمن المبكر هذا:

١ - نصح ابن نفيس بدراسة علم التشريح المقارن لتسهيل فهم علم التشريح البشري.

٢ - في مجالات عدة يلمح إلى انه قام بعملية تشريح على رغم نفيه ذلك في المقدمة. إذ هو يذكر التشريح للتأكيد على استنتاجاته. والمعروف ان التشريح كان شبه محرّم عند الأطباء المسلمين.

٣ - لم يكن ابن نفيس تلميذاً يقبل كل ما يقال له. فكانت له قناعاته الخاصة. وهو لا يطرح استنتاجه إلا بعد المراقبة الدقيقة للحال المرضية، حتى ولو كان يعارض الرأي السائد.

٤ - صنّف الانسان كحيوان يستنشق الهواء.

٥ - استخدم المنطق عندما لم يكتفِ بالمعلومات التي استخلصها وبعد عملته المراقبة

٦ - ذكر ان الدم تتم تنقيته في الرئة وأعطى تحديداً دقيقاً (Alveoli).

٧ - أكد ان القلب يتغذى من شريانه الخاص (الشريان التاجي).

٨ - يعطي وصفاً واضحاً ومحدداً للدورة الدموية العليا ويكرر هذا الوصف أكثر من خمس مرات في النص.



صورة من الرسوم العربية لجسم الانسان مشرّحاً.

٩ – هناك ثلاث مخطوطات لابن النفيس توضح في شكل لا لبس فيه ان هذا الطبيب العربي أعطى وصفاً علمياً للدورة الدموية العليا منذ القرن الثالث عشر ميلادي.

وفي المقال الثالث: «لقّاطات الأسنان الطبية عند العرب» (١٩٣٧) الذي كتبه بالتعاون مع الطبيب الياس س. خليفة، يكشف المؤلفان عن الاهتمام الكبير الذي أولاه العرب والمسلمون لمعالجة أمراض الأسنان ويفندان المزاعم التي كانت تروج بأنهم لم يكونوا إلا مجرد ناقلين عن الأطباء الذين سبقوهم.

وهو يفصّل الحديث عن الطبري والرازي والمجوسي وابن سينا وخصوصاً أبو القاسم الزهراوي.

وفي المقال الرابع: «قصة العملية القيصرية في الكتابات الشرقية» (١٩٤٨)، يميط د. حداد اللثام عن مخطوطة للبيروني (رقمها ١٦١ وموجودة في أدنبرة - بريطانيا) يتحدث فيها الطبيب العربي في وضوح عن العملية القيصرية. فينطلق د. حداد من هذا النص ليدعو العلماء والباحثين العرب المعاصرين إلى البحث عن المزيد من الوثائق والمخطوطات العربية القديمة غير المعروفة حتى اليوم والمتناثرة هنا وهناك وهنالك.

وفي المقال الخامس: «مراجعة تاريخية في معالجة كسور الرضفة (Patella) بواسطة جراحة الـ Patellectomy (١٩٥٠) الذي كتبه بالتعاون مع فريد س. حداد يبرز المؤلفان – استناداً إلى مخطوطات موجودة في متحف دمشق – دور الجراح والطبيب العربي أبو القاسم الزهراوي في أسلوب معالجة كسور الرضفة، وهي العظم المتحرك في راس الركبة. كما يفندان زعم البعض ان الزهراوي نقل أسلوب المعالجة هذا عن الجراح الروماني القديم بولوس أجينيتا، فيستنتجان ان الجراحين العرب اكتشفوا هذه الطريقة لمعالجة كسور الرضفة قبل ٩٠٠ سنة من بدء تطبيق الجراحين الغربيين لها.

وفي المقال السادس والأخير يورد د. حداد لائحة بـ ٢٨ مخطوطة طبية عربية قديمة موجودة في مكتبة مستشفى «أوريانت». من بينها أقدم مخطوطة طبية عربية عرفت حتى اليوم وهو كتاب أحمد بن محمد ابن محمد المكنّى بابن أبي الأشعث: «الغائي والمغتني» (موجودة في المتحف البريطاني أيضاً) ●



ايمان نويهض

تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٤

١ تشرين الثاني (نوفمبر):

● فارس الخوري يعرض حكومته السورية الجديدة على المجلس النيابي لنيل الثقة ويعلن في بيانه الوزاري عن أمله في الوصول إلى وحدة اقتصادية مع لبنان.

● الأمير عبد الاله، ولي العهد العراقي، يصل بيروت بزيارة خاصة.

٢ تشرين الثاني (نوفمبر):

● راديو القاهرة يطالب بانشاء قيادة موحدة للوطنيين في كل المغرب العربي.

● حالة توتر في برقة بليبيا تعود بالغالب إلى منازعات شخصية وسياسية.

٣ تشرين الثاني (نوفمبر):

● أكثر من ألف متظاهر يهتفون ضد حكومة فارس الخوري أمام دار البرلمان السوري.

٤ تشرين الثاني (نوفمبر):

● الأمير عبد الاله، ولي العهد العراقي، يعود إلى بغداد بعد زيارة لبيروت.

● اضراب عمال النسيج في حلب احتجاجاً على عدم تنفيذ قانون العمل.

٨ تشرين الثاني (نوفمبر):

● في بيانه الوزاري توفيق أبو الهدى رئيس الوزراء الأردني يعلن عزم الأردن على تغيير بنود المعاهدة البريطانية – الأردنية.

● وزير الدفاع الليبي يصل القاهرة.

٩ تشرين الثاني (نوفمبر):

● القاهرة تذيع خبر «مؤامرة انقلابية» فاشلة في سوريا.

١٠ تشرين الثاني (نوفمبر):

● الحكومة الليبية تطلب من فرنسا سحب جيوشها من منطقة فزان.

● المجلس النيابي السوري يرسل رسالةاحتجاج إلى الجمعية العمومية الفرنسية لاضطهادهم الوطنيين في الجزائر.

١١ تشرين الثاني (نوفمبر):

● مجلس الأمن يؤجل دراسة قضية الباخرة الاسرائيلية «بات غاليم» المحتجزة لدى مصر.

١٢ تشرين الثاني (نوفمبر):

● عقد مؤتمر عربي في نيويورك لبحث تحركات اسرائيل في القدس.

● الملك سعود، ملك العربية السعودية، يستقبل ايفيلين شاكبورغ الوكيل المساعد لشؤون الشرق الأوسط في وزارة الخارجية البريطانية في جولة له على البلاد العربية.

● الحكومة العراقية تعلن عدم ممانعتها لنقل خط أنابيب كركوك – حيفا إلى صيدا.

● دعوة رسمية للرئيس اللبناني كميل شمعون لزيارة ايطاليا.

● اسماعيل الأزهري يزور أوروبا الغربية.

١٣ تشرين الثاني (نوفمبر):

● الحكومة الأردنية تقرر ترشيح الأستاذ عزمي النشاشيبي أميناً عاماً مساعداً للجامعة العربية.

● اقتراح من المجلس البلدي في القدس باعتبارها عاصمة للملكة الأردنية.

١٤ تشرين الثاني (نوفمبر):

● اعادة العلاقات الدبلوماسية بين العربية ـ السعودية والمانيا الغربية.

١٥ تشرين الثاني (نوفمبر):

● اسماعيل الأزهري، رئيس الوزراء السوداني، يعلن أسفه لإقالة محمد نجيب.


اسماعيل الأزهري

● افتتاح الدورة البرلمانية الثانية للبرلمان السوداني.

● إلغاء امتياز شركة البترول الأردنية للتنقيب عن النفط المنبثقة عن شركة نفط العراق.

١٦ تشرين الثاني (نوفمبر):

● بدء محاكمة يوسف طلعت مسؤول الجهاز السري لجماعة الاخوان في مصر بعد اعتقاله البارحة.

١٧ تشرين الثاني (نوفمبر):

● بدء محاكمة الرئيس السوري السابق أديب الشيشكلي غيابياً بتهمة التآمر على قتل رقيب في الجيش السوري.

● تشكيل هيئة نيابة عن الملك العراقي فيصل خلال زيارته للأردن ولبنان.

١٨ تشرين الثاني (نوفمبر):

● حسن الهضيبي، المرشد العام للاخوان، يتمصل من أعمال العنف التي قام بها الجهاز السري، واعتقال سيد قطب عضو مكتب الأرشاد في الجماعة.

١٩ تشرين الثاني (نوفمبر):

● مصرع ٢٣ مجاهداً تونسياً وجندي وضابط فرنسيين في معركة جنوب شرق تونس.

● رئيس أركان حرب القوات البريطانية الفيلد مارشال سيرجون هاردنغ يصل إلى عمان.

● اشتباكات في الدار البيضاء خلال تظاهرات التأييد لمحمد بن يوسف السلطان المخلوع.


جمال عبد الناصر

● الرئيس الوزراء اللبناني السابق صائب سلام يصل القاهرة ويجتمع بعبد الناصر وصلاح سالم.

٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر):

● لجنة الميزانية التابعة للأمم المتحدة تقر ترجمة الوثائق الرسمية إلى اللغة العربية.

● وصول ايفلين شاكبورغ إلى عمان بعد زيارة بغداد ودمشق.

٢٣ تشرين الثاني (نوفمبر):

● الطائرات الفرنسية تغير على الثوار في الجزائر.

٢٤ تشرين الثاني (نوفمبر):

● القيادة الجوية البريطانية في السويس تنتقل إلى قبرص.

٢٥ تشرين الثاني (نوفمبر):

● اعتقال سليمان النابلسي، سفير الأردن السابق في لندن، بتهمة اثارة المظاهرات خلال المعركة الانتخابية الأخيرة.

● والي اسطمبول ورئيس بلديتها فخر الدين كريم فوكاي يصل إلى بغداد.

● محاكمة محي الدين السنوسي تبدأ في ليبيا.

٢٨ تشرين الثاني (نوفمبر):

● أنباء عن خطة أردنية لاعتبار القدس عاصمة للمملكة الأردنية الهاشمية.

قيل منذ ٢٥ سنة

«ان قضية العلاقات بين اسرائيل والعرب هي أهم مشكلة في الشرق الأوسط وقضية كهذه لا تحل بمجرد ضربة قلم على ورقته.».

اللورد انطوني ناتنغ
(مجلس العموم)

«حان الوقت لنقول للمسيحيين والمسلمين بكل جرأة واخلاص بأن لبنان ليس لكم وحدكم، دينكم في معابدكم أما الوطن فهو للجميع. لقد حان الوقت لنقضي على الطائفية فلا تبقى مراكز معينة في أيدي فئة من الناس لأن عددها أكثر من غيرها.».

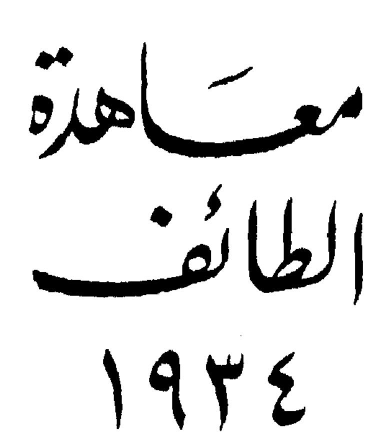
كمال جنبلاط
(المجلس النيابي)

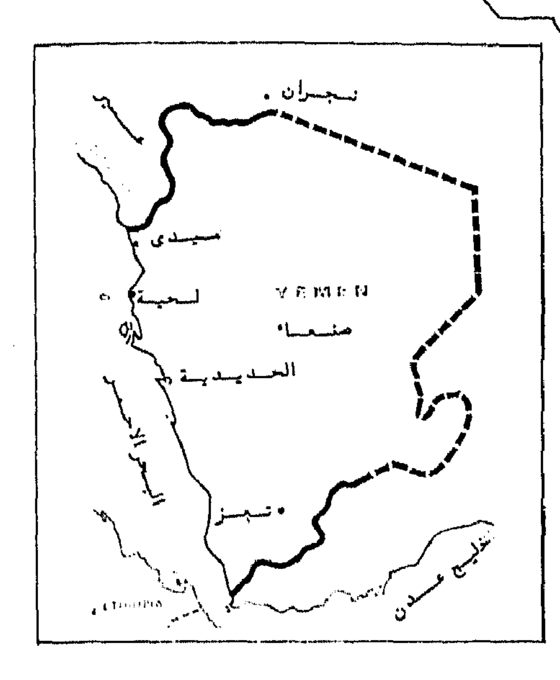
«لا يمكن أن نقبل الدخول في أحلاف غربية أو اقامة دفاع بأي صورة من الصور مع الغرب لأنه سيمضي وقت قد يطول حتى تبنى الثقة بين العرب والغرب..».

صلاح سالم
(حديث اذاعي)

«اعتقد انه إذا سمح للاجئين العرب بالعودة إلى أوطانهم والحياة في نوع من الكانتونات فانهم سيستطيعون العيش مع اليهود في فلسطين في سلام ووئام».

(د. فاضل الجمالي
(رئيس الوفد العراقي
في الأمم المتحدة).





سعيد كريدية

● وصف أهالي الحجاز البلاد التي تقع جنوبهم وشمالهم وصفاً مناخياً. فعندما كانت الطيور تتجه شمالاً كانت أمطار الشتاء نادرة، وإذا اتجهت جنوباً كانت الامطار وفيرة، والأمطار مقدسة لبلاد صحراوية قاحلة مثل شبه الجزيرة العربية، لذلك كانوا يتشاءمون من اتجاه الطيور شمالاً فسميت البلاد شمال الحجاز بالشام أي الشؤم وتطورت وأصبحت الشام. أما طيور الجنوب فكانت تبشر بالامطار لذلك سموا المنطقة جنوب الجزيرة العربية باليمن أي السعادة وأصبحت تعرف فيما بعد باليمن.

كانت اليمن تختلف عن باقي أقسام الجزيرة العربية أرضاً ومناخاً ونباتاً حتى قيل عنها أنها البلد السعيد. فقد قال عنها محمد رفعت وزير المعارف المصري السابق في كتابه التوجه السياسي للفكرة العربية الحديثة: «وصف الجغرافيون القدماء بلاد اليمن بأنها أرض العرب السعيدة، وذلك مما تميزت به عن سائر أقسام شبه الجزيرة سواء منها الصخرية أو الصحراوية من خصب ونماء، وجو معتدل صيفاً وشتاء وخاصة في الأجزاء المرتفعة منها والتي يصل ارتفاعها إلى أكثر من عشرة آلاف قدم ومن أمطار موسمية تهطل في فصل الخريف فينمو العشب والكلأ وترعى الأبل والماشية وتورق شجيرات البن على سفوح المرتفعات وتينع أشجار الفاكهة فيصيب الأهلون من كل ذلك ثمراً ورزقاً كبيراً. ومع ما أسبغته الطبيعة على اليمن من نعم وخيرات – وقد يكون لهذا السبب نفسه – قد ظل بمعزل عن سائر الأمم والشعوب فيما عدا ما كانت تمارسه موانئه الساحلية من تجارة ومعاملات خارج اليمن حتى كان في عزلته عن العالم شبيهاً بعزلة بلاد التبت في قلب آسيا في الماضي».

ظلت هذه البلاد السعيدة مرتمية بأحضان عزلتها محتفظة بكيانها وسلامتها لقرون عدة. إلى أن شقت قناة السويس وأصبح للبحر الأحمر قيمة في عالم المواصلات وعز في دنيا الملاحة. وبحكم موقع اليمن على هذا الشريان المائي الحيوي، كانت هذه البلاد معه في السراء والضراء. وقد شهد مطلع القرن العشرين تطورات هامة في مجرى حياة اليمن جعلها تخوض حروباً ضروسة مع جيرانها وخاصة مع اخوانها في اللغة والدين. وكم هي مريرة تلك الحروب بين

الأخوة إذ قال عنها الشاعر:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة
على القلب من وقع الحسام المهند

وذوو القربى هم السعوديون. وتفسير ذلك أنه وقع خلاف بين اليمن والسعودية بعد أن ضمت الأخيرة أرض الأدارسة في العسير اليها. وكان الأمام يحيى إمام اليمن يعتبر نفسه أولى بضمها. ولما قامت ثورة العسير عام ١٩٣٢ ضد السعوديين كان رجال اليمن أول من أشعل نارها. فلما تصدى السعوديون للثورة فرّ زعماؤها إلى اليمن لائذين بإمامها على أثر ذلك توترت العلاقات وأخذ الجانبان يستعدان للحرب. كان جوهر الخلاف منحصراً في امتلاك واحة نجران شمالي اليمن وفي احتلال الجزء الجنوبي من أراضي العسير.

كان الامام يحيى قد أرسل قوة لتحتل واحة نجران عام ١٩٣٢ لكنها طردت من قبل السعوديين وضموها نهائياً اليهم. أما القسم الجنوبي من العسير فأراد ابن سعود ملك السعودية أن يحل مشكلته بلغة الحوار بدل لغة السلاح. لكن تصلب رأي إمام اليمن حال دون نجاح أي مفاوضات وجدير بالذكر أن خلافاً مذهبياً كان قائماً بين الطرفين فحين كان السعوديون وهابيين كان أكثر من ٥٥٪ من اليمنيين يدينون بالمذهب اليزيدي الشيعي.

وأخيراً قامت الحرب في نيسان ١٩٣٤ ولم تمض ثلاثة أسابيع حتى كان الجيش السعودي قد احتل مدينة لحية وميناء الحديدية وبات يهدد صنعاء العاصمة. أما بريطانيا وفرنسا وايطاليا، الدول العظمى آنذاك فقد أوقفت كل منها قطعاً من أساطيلها أمام ميناء الحديدية تراقب ما قد يحصل بين المتحاربين. إزاء هذه التطورات تحركت وفود عربية إلى السعودية لحل نزاع الأخوة. وقد أثمرت الجهود التي بذلت إلى عقد معاهدة الطائف عام ١٩٣٤ أطلق عليها معاهدة صداقة اسلامية وأخوة عربية. أهم نصوص هذه المعاهدة:

١ - تنتهي حالة الحرب القائمة بين المملكة العربية السعودية والمملكة اليمانية بمجرد التوقيع على هذه المعاهدة.

٢ - يعترف كل من الفريقين الساميين المتعاقدين للآخر باستقلال كل من المملكتين استقلالاً تاماً ومطلقاً وبملكيته عليها.

٣ - خط الحدود الذي يفصل بين بلاد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين موضح بالتفصيل الكافي فيما يلي ويعتبر هذا الخط حداً فاصلاً قطعياً بين البلاد التي تخضع لكل منهما:

يبدأ خط الحدود [أنظر الخريطة] بين المملكتين اعتباراً من النقطة الفاصلة بين ميدي والموسم على ساحل البحر الأحمر إلى جبال تهامة في الجهة الشرقية ثم يرجع شمالاً إلى أن ينتهي إلى الحدود الغربية الشمالية. ثم ينحرف إلى جهة الشرق. ثم ينحرف إلى أن يبلغ مضيق مروان وعقبه ثم ينحرف إلى جهة الشرق.

٤ - يتعهد كل فريق بسحب جنده فوراً عن البلاد التي أصبحت بموجب هذه المعاهدة تابعة للفريق الآخر.

٥ - يتعهد كل فريق تعهداً متقابلاً بأن يمتنعا عن الرجوع للقوة لحل المشكلات بينهما.

وهكذا نرى أن صراع الأخوة لا يدوم مهما أحتد وإشتد إذ أن الروابط التي تربط الطرفين أقوى بكثير من الخلافات المادية التي تحاول تفريقهم. ●

المراجع

المختار. صلاح الدين: تاريخ المملكة العربية السعودية.

الواسعي. عبد الواحد: تاريخ اليمن.

الثور، عبد الله: هذه اليمن: الأرض والانسان والتاريخ.

رفعت. محمد: التوجه السياسي للفكرة العربية الحديثة

تاريخ الشطرنج

محمد مراد سكّر



التعديلات في الشطرنج عبر تاريخه

يعتبر القرن الخامس عشر، عهد النهضة والتجديد، وكان لاختراع الطباعة في ذلك القرن، الفضل الأول في تركيز الشطرنج ووضع القواعد له. إذ حددت في هذا القرن طريقة انتقال الفيل والوزير كما أوجد التبييت، ولم يكن يعرف قبل ذلك، كما سمح للبيدق الذي يصل إلى الخانة الثامنة ان يتحول إلى أية قطعة يريدها اللاعب (ولم يكن يسمح له بالماضي إلا أن يتحول إلى وزير). وقد تم تعديل طريقة تنقل الفيل والوزير في أواخر القرن الخامس عشر، وأصبحت كما هي معروفة اليوم، ويظن فان ديرلاند ان هذا التعديل تم في فرنسا. لأن الشطرنج كان منتشراً في ذلك الوقت في فرنسا أكثر من أي بلد آخر، بينما فان درلاسا يعتقد ان هذا التعديل يرجع إلى سنة ١٤٧٥م. ويعود الفضل إلى اسبانيا. وقد انتشر التعديل الجديد بسرعة حتى نسي الكثيرون الشكل القديم. وكان الفيل في الماضي يقفز من مكانه شأن الحصان

وبالتدريج ألغي ذلك وأصبح ينتقل عمودياً كما هو معروف اليوم. وكذلك الوزير (الفرز فيما مضى) وهذا التعديل جعل اللاعبين يتركون القاعدة العربية القديمة التي كانت تعتبر ألبات كاملات. ثم جرى التعديل النهائي عند وضع التبييت، وكان ذلك ثالثة الأثافي في التجديد، وبعد ذلك لم يطرأ على قوانين اللعبة أي تجديد سوى السماح للبيدق الذي يصل إلى الخانة الثامنة من أن يصبح أية قطعة يريدها اللاعب كما أسلفنا. وكان الرخ عند العرب أقوى القطع اطلاقاً فأصبح الوزير بعد هذه التعديلات أهم القطع كما نعرف اليوم.

بعد هذه التعديلات الجذرية، برز في الشطرنج جماله المعروف اليوم، وأخذ اللاعبون يرون فيه تسلية كبيرة، فبدأوا بكتابة الأدوار وحفظها.

ولعل أقدم مخطوطة ذكرت القواعد الجديدة هي مخطوطة فلورنسا، وهي مخطوطة ايطالية من القرن الخامس عشر. وفيها عدة مسائل شطرنجية، وأتى بعدها في سنة ١٤٩٧ م كتاب ايطالي، وهو أول كتاب طبع عن الشطرنج، ألفه لوسينا وهو ابن موظف كبير في أراغون سافر كثيراً إلى ايطاليا وفرنسا، والكتاب هذا يشرح القواعد الجديدة بالاضافة إلى ١٥٠ صورة لرقعة الشطرنج في أوضاع مختلفة وأحد عشر استهلالا لجولات لعبت. وظهر بعد هذا الكتاب مخطوطة كوتنغ وهي أيضاً على ما يظهر للوسينا نفسه وفيها ثلاثون مسألة واثنا عشر استهلالاً جديداً لجولات لعبت. وكان التبييت كما ظهر في هذه المخطوطة يجرى على نقلتين، ينقل الرخ قرب الشاه ثم يقفز الشاه في نقلة أخرى خلف الرخ، أما التبييت الطويل فيجري في ثلاث نقلات. هذه المخطوطة نفيسة جداً لأنها تحوي لأول مرة جولات كاملة لعبت في ذلك الوقت.

لم تتوقف النهضة بانتهاء القرن الخامس عشر بل تابعت تقدمها وكان أهم حدث في القرن السادس عشر كتاب داميانو الذي ظهر سنة ١٥١٢ م، وقد طبع هذا الكتاب في روما وأعيد طبعه مراراً فيما بعد كما ترجم في فرنسا وانكلترا خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر في المانيا. ويقسم الكتاب إلى عشرة فصول ويتبع الترقيم الوصفي المعروف حالياً، وقد اعتبر كأحسن كتاب عن الشطرنج ظهر في ذلك العصر. وداميانو كان صيدلياً من مواليد البرتغال. كما أقدم الشاعر اللاتيني مارك انطوان الذي دعي فيما بعد جيروم فيدا على نظم قصيدته المشهورة عن الشطرنج وهي مؤلفة من ٦٥٨ بيتاً وفيها وصف كامل شعري للعبة. نشرت قصيدته هذه لأول مرة سنة ١٥٢٥ والقصيدة على شكل قصة تقول: عند اعلان زواج المحيط مع الأرض، علم جوبيتير الشطرنج إلى الأولمبيين، ثم دعى أبولو ومركور للعب جولة، ثم يبدأ بشرح تفاصيل الجولة لصالح مركور الذي أخذ على عاتقه تعليم الرجال.

بعد نصف قرن من كتاب داميانو ظهر أول كتاب يتبع القواعد الجديدة ويهتم بالجولات الكاملة ألفه روي لوبيز الذي يعتبر بحق مؤسس القواعد التطبيقية والفنية في الشطرنج. نشر كتابه سنة ١٥٦١ في الكالا قرب مدريد ثم ترجمه إلى الايطالية بولبريو مع زيادة بعض الجولات ولكن الترجمة لم تطبع. كما ظهر كتاب آخر اسباني لفرنسيس فيسان سنة ١٤٩٥ في فالانسيا ولم يبق منه أية نسخة. ولوبيز هو واضع الجولة الأسبانية التي تدعى باسمه والتي يلعبها الكثيرون من الأساتذة اليوم. وقد لا تخلو مباراة دولية اليوم من عدة جولات اسبانية.

كان اللعب عند العرب صورة واضحة عن الحروب. تملأ المرء اعجاباً بفن العرب في هذه اللعبة. ولكن ترك العرب لها وانتقالها إلى أشخاص كانوا يحاولون ابتذاذ الأموال بها جعلها لا تحمل طابع الفن بقدر ما تحمل طابع الحيلة والخداع. ولكن كتاب لوبيز السابق الذكر أرجع لها الطابع القديم. فاستعاد الشطرنج في القرنين السادس والسابع عشر روحه النبيلة القديمة وعاد يمثل الحرب كما كان في السابق. وكان ذلك سبباً في انتشار الشطرنج في اسبانيا وايطاليا. كما كثر حماة هذه اللعبة بين الملوك والأثرياء أمثال الملك فيليب الثاني. دون فابريزيو. الملك سباستيان ملك البرتغال. دوق أوسينا. دوق أوربينو. البارون دي بيسكاري والبارون دي سيكيليانا وغيرهم. وهكذا أصبح الشطرنج التسلية المحببة للنبلاء الذين كانوا يحمون هؤلاء الأبطال ويهيئون لهم المباريات في قصورهم مما ساعد على انتشار الشطرنج والتعمق في قواعده فبرز في هذا العصر كثيرون جداً. منهم ليوناردو. بوا. سانتا ماريا. أفالوس. اسكوفارا مورو. سالفيو. كاريرا وكثيرون غيرهم بالاضافة طبعاً إلى لوبيز الذي كان يتمتع بعطف وحماية الملك فيليب الثاني.

القصة التالية التي نرويها عن أبطال ذلك العصر. تعطينا فكرة واضحة عن الشطرنج واهتمام الناس به في ذلك الزمان.

ليونارد شاب من مواليد كورتي، كان يدرس الحقوق في روما (١٥٧٢ – ١٥٨٥) أولع في الشطرنج وأخذ يتفوق على اللاعبين الرومان بسرعة عجيبة. وصادف أثناء دراسته ان حضر إلى روما في مهمة دينية من قبل الملك فيليب الثاني اللاعب الشهير لوبيز. وكان من الطبيعي أن يقابل لاعبي الشطرنج هناك. وأن يتغلب عليهم واحداً بعد الآخر بمن فيهم ليوناردو. ولكن الأخير وهو اللاعب الطموح، لم يعجبه ذلك. فانسحب إلى نابولي حيث بقي سنتين يدرس الشطرنج ويهيء نفسه لأخذ الثأر من لوبيز. في تلك الأثناء وصل إلى نابولي اللاعب المشهور باولو بوي المعروف بالسراقسي من مواليد ١٥٢٨ من عائلة نبيلة وغنية. عرف بذكائه الحاد وبنجاحه كرجل أدب. ولكنه كان ذا موهبة عظيمة في الشطرنج إذ كان يستطيع أن يلاعب ثلاثة لاعبين بالتتابع في وقت واحد وهو مغمض العينين بينما يتابع مناقشة مع المتفرجين في أي موضوع آخر. وتبارز الاثنان في سلسلة من المقابلات انتهت كلها بدون نتيجة. وفي صباح يوم كان عليه أن يتابع اللعب مع باولو بوا، قرر ليوناردو أن يسافر إلى اسبانيا لمقابلة لوبيز تحقيقاً لحلمه. وهكذا ترك نابولي دون سابق انذار تاركاً بوا يتابع جولاته بنجاح ضد أحسن اللاعبين.

وفي برشلونة، التقى ليونارد بأحسن اللاعبين المعروفين في ذلك الوقت، توماس كابيتو، وجيوفياني رودريكز. فاتفق الثلاثة أن يربحوا المال بطريقة غير شريفة ضد لاعب رابع يدعى موسياسو وذلك بأن يخفي ليوناردو قوته الحقيقية حتى يجر موسياسو ليلعب بمبالغ باهظة.

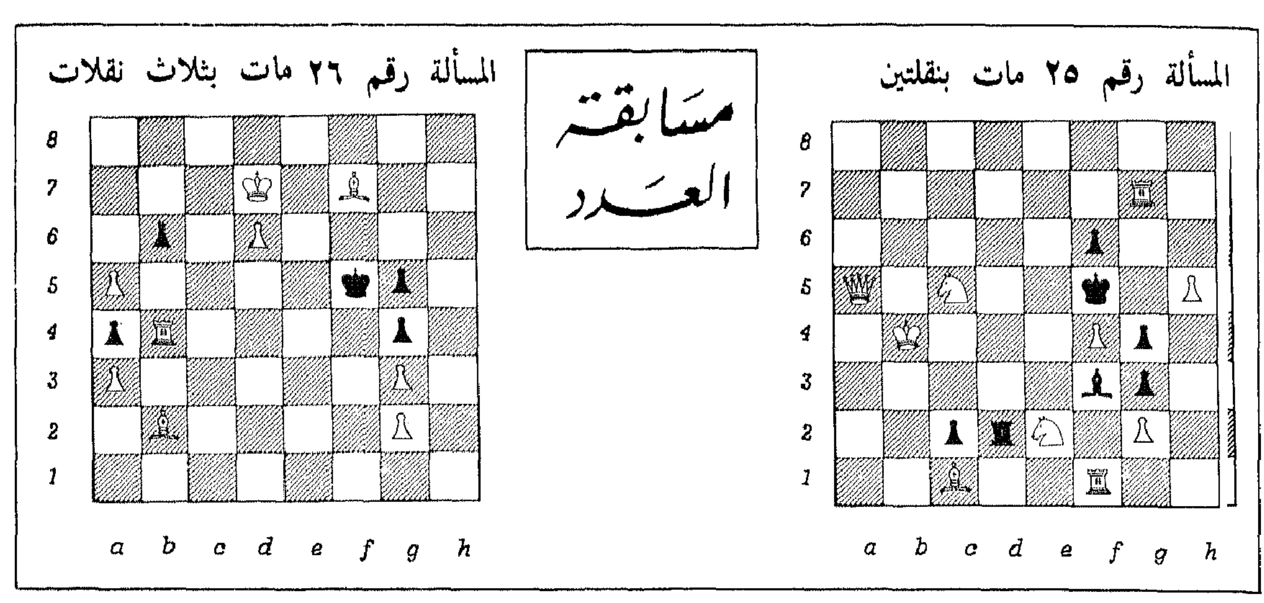
ووصل اللاعبون الثلاثة إلى مدريد حيث يقطن لوبيز، الذي كان يتمتع كما اسلفنا بحب الملك فيليب الثاني. ولم يعرف لوبيز ليوناردو فتحرش به، فقبل الأخير شرط أن يدفع المغلوب ٥٠ سيكودي أي ما يقابل ٢٥٠ فرنكاً كل جولة، وتعادل الاثنان في الجولة الأولى. ولكن ليوناردو ربح الثانية مما أدهش جميع الحاضرين الذين لم يكونوا يعرفون ليوناردو على حقيقته. فعلم بالأمر الفونسو شيرون الخصم الدائم للوبيز، وهو يماثله قوة. فحضر على الفور من غرناطة. وبدأ الثلاثة باللعب. ولكن تفوق ليوناردو كان ظاهراً في كل مرة.

وعلم باولو بالأمر. وبالحظوة التي ينالها اللاعبون الثلاثة في مدريد من قبل الملك والنبلاء فتوجه على الفور إلى مدريد. ولكن القراصنة أوقفوه على الطريق وحجزوه في الجزائر مدة من الزمن. وما ان استعاد حريته حتى تابع سفره إلى مدريد في وقت كان ليوناردو يلعب مع شيرون. وبدون أن يلقي أية كلمة جلس بين المتفرجين. فلما انتهت الجولة رآه ليوناردو وتعرف إليه وقدمه للحاضرين معلناً عن رغبة مواطنه بمقارنة قوته في الشطرنج معه. فتقرر أن يلتقي الاثنان في اليوم التالي. ولكن ليوناردو اضطر ان يترك مدريد في المساء بعد أن تلقى نبأ وفاة زوجته. فلعب بوا مع شيرون ولوبيز وتغلب عليهما. ولما رجع ليوناردو بعد عدة أشهر إلى مدريد تقرر أن يلتقي البطلان.

بقي البطلان في اليومين الأولين متعادلين بدون أن تعرف النتيجة ولكن ليوناردو خرج ظافراً في اليوم الثالث تاركاً خصمه في حالة يائسة جعلته يغادر مدريد. ترى هل نستطيع ان نعتبر هذه السلسلة من المباريات أول دورة عالمية للشطرنج. قد يكون ذلك. وعلى كل حال فقد صنفت هذه المباريات اللاعبين في ذلك العصر ووضعت ليوناردو في الطليعة كأحسن لاعب في العالم.

بعد أيام من سفر بوا، غادر ليوناردو بدوره مدريد عائداً إلى نابولي حيث التقى كثيراً ببوا ثم رجع إلى بلدته كورتي حيث توفي مسموماً في قصر الأمير بيزينيونو وكان يبلغ الخامسة والأربعين. وتابع باولو بوا تنقلاته، ولعب كثيراً مع سيباستيان ملك البرتغال الذي كان يحب الشطرنج، ثم زار هنغاريا ونازل الاتراك الذين كانوا يلعبون بسهولة وهم على ظهر حصان ودون أن يروا الرقعة. ثم انقطعت أخباره مدة عشرين سنة حتى رجع إلى صقلية، وكان هناك يكثر من الانتقال من مدينة إلى أخرى وقضى أيامه الأخيرة في قصر الدوق أوربينو الذي كان يقدم له راتباً دائماً. توفي باولو سنة ١٥٩٨ وكان يبلغ من العمر سبعين عاماً، واختلف الرواة في موته، فمنهم من قال انه مات مسموماً من قبل خادمه وآخرون قالوا انه توفي على أثر نوبة قلبية.

●



حل المسائل المنشورة في العدد السابق :

المسألة رقم ٢٣ : المفتاح : I: DXf7

المسألة رقم ٢٤ : المفتاح : I - Dç2

يهدد الأبيض بنقل الوزير إلى ç3

الامكانية الأولى : الأسود ينقل الرخ إلى (e6) فيجيب الأبيض بنقل الحصان إلى (e5).
الامكانية الثانية : الأسود ينقل الرخ إلى (f7) فيجيب الأبيض بنقل الحصان إلى (d2) النقلة الثالثة الرابحة واضحة جداً.

رسائل القراء

● السيد مجيد حبيب أبي راشد.

أشكر لك ولرفاقك عواطفكم النبيلة، اننا نحاول في هذه المجلة سد نقص ما يُكتب باللغة العربية عن الشطرنج وتاريخه، منذ أن توقف العرب عن كتابة الشطرنج - وقد كثر التعليق على الجولات الحديثة في الأيام الأخيرة أما الذين يحاولون نبش التاريخ القديم فلا يزالون، لذا أرجو أن أكون قد استطعت بهذه المقالات سد قسم من هذا الفراغ.

أما الاجابة على المسائل، فتجده وأصدقاءك في مكان آخر وشكراً لكم

إلغاء الجوائز:

لتعذّر وصول البريد في الوقت المحدد لكل مسابقة رأينا أن نكتفي بنشر المسائل وحجب الجوائز، وذلك مؤقتاً واستعداداً لبرنامج مسابقات أفضل وأغنى.

تاريخ الطوابع

ميشال اسطفان

تونس

● دولة في افريقيا الشمالية على شاطئ المتوسط، مساحتها ١٢٥١٣٠ كلم مربع، وعدد سكانها نحو ٤٧٠٠٠٠٠، عاصمتها تونس. أهم مدنها صفاقص وسوسه والقيروان وسبيطلة وقابس وطبرقة وبنزرت والحمامات والمهدية ومنزل بورقيبة.

خلال الالف سنة الأخيرة قبل المسيح كانت شواطئ تونس مسرحاً لشتى الشعوب القادمة بحراً. وخصوصاً الفينيقيين الذين أسَّسوا فيها مدينة قرطاجة سنة ٨١٤ ق.م. فبسطت نفوذها على ما جاورها من المناطق والمستعمرات الفينيقية وغيرها في تونس وفي مضيق صقلية وجوارها، إلى أن سقطت سنة ١٤٦ ق.م. بيد الرومان. ورغم ان سكان البلاد الاصليين دافعوا الرومان عن الاستقرار والتوغل داخل البلاد حتى سنة ١٠٥ ق.م. استطاع هؤلاء أخيراً فرض سلطتهم، فصارت تونس اهراءً لروما تمدُّها بالحنطة والزيت والخمر. وانتشرت فيها المسيحية وازدهرت إلى أن غزاها الفندال القادمون من الغرب سنة ٤٣٩ إلى ٥٣٣م. ثم البيزنطيون سنة ٥٣٣ إلى ٦٤٧م. الا أن كلا الفريقين لم تستقر أوضاعه فيها بسبب الثورات المتتابعة التي كان يقوم بها التونسيون ضد الغرباء.

وفتح المسلمون تونس بقيادة عبد الله بن أبي سرح سنة ٦٤٧ وحكمها عقبة بن نافع سنة ٦٧٠ الذي قاد حملة توسعية في افريقيا ثم اقام في القيروان.

لا الرومانية ولا النصرانية اللتان سادتا في البلاد فترةً من الزمن استطاعتا أن تدخلا إلى الاعماق، ولا أن تتوغلا في ارياف البلاد ومختلف مناطقها، لذلك لم تلبث أن عفتهما الايام مع تقلب الاحكام. أما الفتح الجديد باسم الخليفة الاموي الذي حمل معه العروبة والاسلام فقد ادخلها المدن وادخلها الارياف وتوغل بها في داخل افريقيا، فاستعربت وأسلمت قبائل البربر كما استعرب وأسلم سكان المدن.

كان الحكم باسم الخليفة الأموي في دمشق، ثم باسم الخليفة العباسي في بغداد، ثم باسم الخليفة الفاطمي في مصر. وصارت القيروان ليست عاصمة تونس فحسب، بل عاصمة شمالي افريقيا العربية المسلمة.

إلاّ أنه توقف الدعاء للخليفة الفاطمي في نحو سنة ١٠٤٨ ليقوم محله حكم محلي. عقبه ثورة الهلاليين التي خربت القيروان، ثم ثورات أخرى جانبية، فتمزقت البلاد إلى دويلات متناحرة. وهذا أطمع بها الصقليين فاحتل روجر الثاني مدينة جربا سنة ١١٣٤ ومدينة المهدية سنة ١١٤٨ الخ.. فانبرى لوقف هذا الاجتياح سلطان الموحدين في المغرب، مولاي عبد المؤمن وطرد النورمان في سنتي ١١٥٩/١١٦٠، وجعل مركز الحكم في مدينة تونس. وصارت تونس تعني افريقيا.

اقام سلطان الموحدين نائباً له في تونس، هو أبو محمد مؤسس السلالة الحفصية التي وطدت في تونس اركان مملكة مستقلة استمرت من سنة ١٢٢٨ إلى ١٥٧٤ دون أن تخرج عن علاقتها بالموحدين التي كانت تقتصر على دفع نوع من الضريبة السنوية إلى أن زال حكم الموحدين سنة ١٢٦٩.

وكان لهذه المملكة جيش قوي احتلَّ الجزائر سنة ١٢٣٥ وتلمسان ١٢٤٢، وأمن للدولة أقصى مدى من التوسع. الاّ أن ثورات القبائل وخصوصاً قبيلة بني سليم اضعفت السلطة، ثم ابهظتها النزاعات الداخلية على الخلافة، فاطمعت بها المرينيين من المغرب، فاحتلوها سنة ١٣٤٧ واعادوا اليها وحدتها وازدهارها.

وفي القرن السادس عشر، احتل تونس خير الدين بربروس (١٥٣٤) للسيطرة على مضيق

صقلية، فاستنجد الحفصيون بشارل كانت. فاحتل العاصمة سنة ١٥٣٥. فسبب هذا تدخل القراصنة الاتراك من جهة وباشا الجزائر من جهة أخرى. فاحُتلّ بعض منها. ثم لم تلبث أن اصبحت البلاد التونسية من املاك السلطنة العثمانية سنة ١٥٧٤ يحكمها مندوب عنها يستقل في احكامه. فتأسست السلالة المرادية سنة ١٦١٢ ثم سلالة حسين بن علي سنة ١٧٠٥.

كان الازدهار التجاري ثم الزراعي المجال الأول الذي اتاح للاجانب أن يدخلوا البلاد. ثم أن يتدخلوا في الشؤون المالية ثم السياسية. ثم مختلف المرافق. وكانت الدول التي تزدحم مصالحها هناك هي انجلترا وفرنسا. وايطاليا. فأبعدت انجلترا باعطائها حرية التصرف بقبرص بموجب مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨، أما الايطاليون فلم يستطيعوا الوقوف أمام الفرنسيين المتمركزين في الجزائر الذين استطاعوا أن يحصلوا على دعوة من محمد الصدوق (١٨٥٩–١٨٨٢) لعدد من الخبراء لتنظيم وتحديث مختلف مرافق البلاد. ثم تذرعت ببعض المزاعم فقررت غزو تونس سنة ١٨٨١. مما حمل محمد الصدوق على تسلم السلطة الخارجية إلى مقيم فرنسي يكون مسؤولاً عن الديبلوماسية التونسية وعن الجيش (معاهدة باردو في ٢ نيسان/ابريل سنة ١٨٨١). وقامت ثورة في البلاد على أثر ذلك قضى عليها الفرنسيون بالقوة وفرضوا على الباي الجديد علي بن حسين (١٨٨٢–١٩٠٢) ان يوقع معهم اتفاقية ١٨٨٣ التي تعترف بالانتداب على البلاد. وهذا معناه ان السلطة أصبحت في الظاهر محلية وفي الحقيقة يديرها الفرنسيون. الاّ أن الايطاليين المقيمين استطاعوا بواسطة اتفاقية ١٨٩٦ ان يحتفظوا بالجنسية الايطالية. ولم تُلغَ امتيازاتهم الاّ خلال الحرب العظمى الثانية.

لم يستتب الأمر طوال الوقت للفرنسيين لان ثورات الشعب ضدهم كانت متتابعة. صحيح أن الفوز كان يحالفهم لكن الخسائر كانت كبيرة والنتائج غير حاسمة. من ذلك حركات سنة ١٩٠٧ و ١٩١١ و ١٩٢٠ و ١٩٣٣ التي تولاّها الحبيب بورقيبة. ثم الأحداث الدامية التي ادت إلى اعتقال صلاح بن يوسف وتعليق الدستور سنة ١٩٣٨.

ووقعت الحرب العظمى الثانية فأتسع المجال أمام الزعماء التونسيين للعمل. أخصُّ ذلك قيام الحبيب بورقيبة، تسانده جامعة الدول العربية بانشاء مكتب المغرب في القاهرة سنة ١٩٤٧. وقيام حزب الاتحاد العام للعمال التونسيين سنة ١٩٤٨. والحصول على بعض التنازلات من المقيم الفرنسي. فألف الباي حكومة دخلها صلاح بن يوسف (١٩٥٠) وصارت تجتمع بدون حضور المقيم الفرنسي وحصلت بعض التعديلات الجزئية في الدستور. الاّ أن قرار فرنسا المتشدّد في تحديد علاقاتها بتونس سنة ١٩٥١. أوجب اعلان الدستور الجديد بوجه الفرنسيين. فالقوا القبض على بورقيبة ورفقائه (١٩٥٢). لكن الفرنسيين اضطروا في النهاية إلى توقيع اتفاقية ١٩٥٥ مع طاهر ابن عماد التي تعترف للتونسيين بنوع من الاستقلال الذاتي وتستبقي للفرنسيين شيئاً من السلطة. الاّ أن الزعماء التونسيين لم يقبلوا بهذه الاتفاقية. وكانت الأوضاع العامة من جهة. واعطاء المغرب استقلالها من جهة أخرى. ووحدة الشعب التونسي بعزم وتصميم. أسباباً توجب على فرنسا الاعتراف باستقلال تونس. فكان ذلك في ٢٠ آذار/مارس سنة ١٩٥٦.

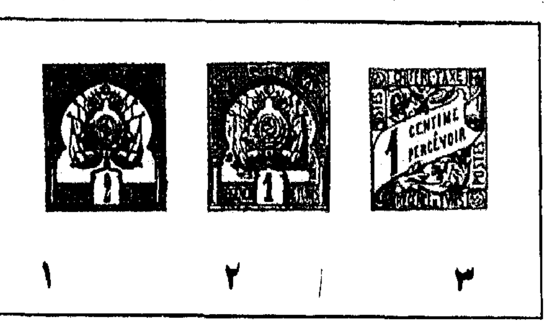
تسلّم السلطة الحبيب بورقيبة، فوطد الأمور الداخلية. وقضى على مختلف المتناقضات. وأوجد في الحكم الكثير من روح التجدد والانفتاح والتطور.

تاريخ الطوابع

بدأ استعمال الطوابع في تونس في عهد الحماية أو الانتداب الفرنسي. وكانت المكاتب البريدية الفرنسية قد افتتحت مكاتب بريد في مدينة تونس وفم الواد (LA GOULETTE) قبل سنة ١٨٨٨. وكانت تستعمل الطوابع الفرنسية. ولكن بخاتم خاص يحمل رقم (5107) لتونس ورقم (5121) لفم الواد. وكان هناك مكاتب بريد ايطالية ايضا في تونس وفمّ الواد وسوسه. تستعمل الطوابع الايطالية بارقام (235) و (3336) و (3364) بالتسلسل.

وفي أول تموز/يوليو سنة ١٨٨٨. باشرت المكاتب الفرنسية باصدار أول مجموعة مؤلفة من ثمانية طوابع من سنتيم واحد إلى ٥ فرنك. (صورة ١). قيمتها اليوم نحو ١٩٠ جنيهاً استرلينياً. ثم صدرت مجموعة من ١٣ طابعاً بتاريخ أول تشرين الأول/اكتوبر ١٨٨٨ أيضاً. (صورة ٢). قيمتها اليوم نحو ١٢٠ جنيهاً استرلينياً. ثم مجموعة ثالثة من ستة

طوابع من النموذج الثاني. ولكن بالوان مختلفة عن سابقتها. صدرت في كانون الثاني/يناير ١٨٩٩. قيمتها اليوم نحو ٥٥ جنيهاً استرلينياً. وفي أول نيسان/ابريل ١٩٠١. صدرت مجموعة للاجور المستحقة من عشرة



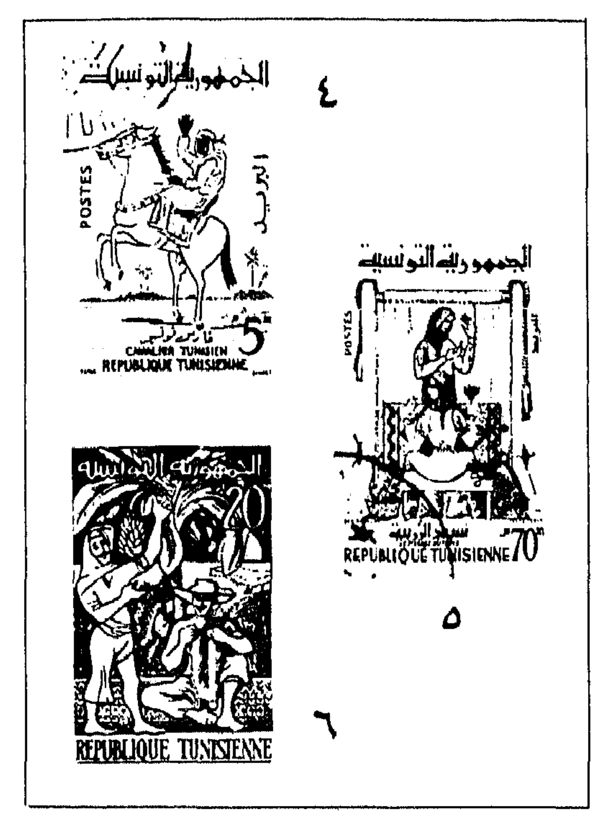
طوابع. (صورة ٣). قيمتها اليوم نحو ١٥ جنيهاً استرلينياً فقط. والجدير بالذكر أن جميع هذه الطوابع ولغاية سنة ١٩٠١. تعرف مخرمة بحرف (T) وهو أول حرف من كلمة (TAXE) وكانت تستعمل للاجور المستحقة.

ثم توالت الاصدارات المصورة العادية والجوية والطرود والتذكارية والاجور المستحقة. تحمل الصور المختلفة لمرافق البلاد من اثرية وزراعية ودينية وللمناسبات الوطنية والفرنسية. أسوة بباقي اصدارات المستعمرات. لغاية تموز/يوليو ١٩٥٥. وكان عددها ٨٨ مجموعة. جمعت ٤٩١ طابعاً.

وفي عهد الاستقلال الذاتي المحدود ما بين ١٥ تشرين الأول/اكتوبر ١٩٥٥ و١٧ آذار/مارس ١٩٥٦. صدرت مجموعة عادية وجوية ومجموعتان تذكاريتان لمناسبة المعرض العالمي الثالث في تونس. مؤلفة من ستة طوابع. وطابع واحد لمناسبة يوم الطابع. من فئة ١٢ + ٣ فرنك.

وفي ٨ نيسان/ابريل ١٩٥٦. صدرت مجموعة من ستة طوابع لمناسبة تأسيس الحكومة المستقلة. تلتها أربع مجموعات تذكارية. ليوم العمل. والانتاج التونسي. والذكرى الأولى للاستقلال. والمؤتمر الدولي الخامس لاتحاد النقابات التجارية الحرة. ومجموعة واحدة من ثمانية طوابع للاجور المستحقة.

وبعد أن اعلنت الجمهورية بتاريخ ٢٥ تموز/يوليو ١٩٥٧. صدرت ابتداء من ٨ آب/اغسطس مجموعات عدة عادية وتذكارية وبطاقات. وقد بلغ عددها ٤٣٦ طابعاً و٣١ بطاقة. تشكل ١٧٠ مجموعة. آخرها صدرت في ٢٧ حزيران/يونيو ١٩٧٧. ولا يسعنا أن نتغاضى عن ذكر المجموعة الأكثر عدداً. وهي عادية صدرت سنة ١٩٥٩/٦١. وعدد طوابعها ٢٨ طابعاً. (صورة بعض النماذج ٤.٥.٦).

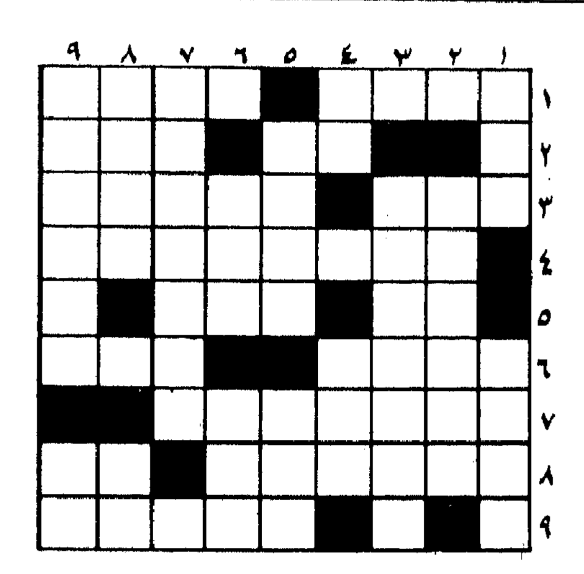


وقد طبعت جميع الاصدارات في مطابع عالمية من الدرجة الأولى. فاعطت مظهراً جذاباً وفخماً. أسوة باصدارات باقي البلاد المتحضرة في العالم. ●

إلغاء الجوائز:

لتعذّر وصول البريد في الوقت المحدد لكل مسابقة رأينا أن نكتفي بنشر المسائل وحجب الجوائز، وذلك مؤقتاً واستعداداً لبرنامج مسابقات أفضل وأغنى.

مسابقة العدد



افقياً :

١ – الإسم الأول لرئيس تونسي. مدينة في تونس (معكوسة).
٢ – أله الشمس في مصر. بُغية.
٣ – ذهب غير مصوغ (معكوسة). مدينة في تونس (معكوسة).
٤ – بلدة في تونس (معكوسة).
٥ – اسم لاغلظ أوتار العود ولأغلظ انغامه. أبيض براق.
٦ – مادة صمغية تداوى بها الجراح. حلقة توضع في الأنف أو في الأذن أو في الزند للزينة، وتوضع في أنف الحيوان لاذلاله.
٧ – مدينة في تونس.
٨ – منغمات (معكوسة). غرير لا خبرة له (معكوسة).
٩ – مدينة في تونس.

عمودياً :

١ – حصن. قاطع.
٢ – سجين سياسي منذ ١٢ سنة افرج عنه مؤخراً.
٣ – الجلد يحفظ الساق ويعرف بالقماطات (معكوسة).
٤ – حنطة. تجلب الهم (معكوسة).
٥ – ديك. طائر يعرف بأبي كثير (معكوسة).
٦ – اسم القشرة الخارجية اليابسة من البيضة ويقابلها الغرقي وهي القشرة الداخلية اللينة. ثغري (معكوسة).
٧ – الاسم الثاني لرئيس تونسي.
٨ – اضرب على الطبل. جلد الغزال يكتب عليه.
٩ – مدينة بناها الفينيقيون. امتلأ وضاق.

حل مسابقة العدد ١١

افقياً :

١ – خمار (معكوسة) سباخ.
٢ – صائف، (معكوسة) – ل –
٣ – مسقط وعمان.
٤ – – رس – الطيرة (معكوسة).
٥ – – ب – رر – م –
٦ – ادهن (معكوسة) صحار –.
٧ – طبريا – بح (معكوسة)
٨ – يمن – اقلل.
٩ – زج – اكمه (معكوسة).

عمودياً :

١ – مرباط.
٢ – افسس – دبي –.
٣ – مأق – هرمز –.
٤ – خاطة – جنين – (معكوسة).
٥ – صور – أ –
٦ – خ صريع (معكوسة) آه –
٧ – أ – مطرح – قم –.
٨ – بلال – كلبا (معكوسة).
٩ – س – الحرمان (معكوسة).

سيرة الأمير التنوخي في ذكراه المئوية الخامسة

شوقي نسيب الحلبي

● السيد الأمير جمال الدين عبد الله التنوخي، في ذكراه المئوية الخامسة، علم من أعلام الدين والتقوى، ومنارة من الفضيلة والأخلاق، بل ولي من أولياء لبنان، هو الرجل المفود في بني معروف بعد الأنبياء.

ومزار الأمير عبد الله التنوخي في عبيه محجة المؤمنين، بل «كعبة» بني معروف يحجونه، ومن بركاته يلتمسون وينشدون.

ولد الأمير جمال الدين عبد الله التنوخي في عبيه – قضاء عاليه – في جبل لبنان، في اليوم الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ٨٢٠ هجرية، الموافق الثامن من نوار سنة ١٤١٧ ميلادية.

ابن الأمير علم الدين سليمان، ابن الأمير بدر الدين محمد، ابن الأمير صلاح الدين يوسف، ابن الأمير سعد الدين خضر أمير الغرب التنوخي. والدته السيدة ريمة بنت الأمير شهاب الدين أحمد، ابن الأمير زين الدين صالح، ابن الأمير ناصر الدين الحسين، ابن الأمير سعد الدين خضر أمير الغرب التنوخي.

توفي في بلدته عبيه في السابع عشر من جمادي الآخرة سنة ٨٨٤ هجرية، الموافق الرابع من أيلول سنة ١٤٧٩ ميلادية.

نشأ الأمير السيد يتيماً إذ مات أبوه وهو طفل فربي في حضن أمه السيدة ريمة التنوخية على الصلاح. وكانت تظهر على وجهه مخايل التقوى والنجابة. فطاف بالقرى في طلب العلم والمعرفة وزار العلماء ليستزيد من التقوى والدين. فتورع وهو يافع فسبق الأقران ومال عن الدنيا وبهرجها وملاهيها، ورغب في عبادة الله، فاستظهر القرآن غيباً طرداً وعكساً. ودرس اللغة في كتاب «الصحاح» للجوهري «والقاموس» للفيروز آبادي وكتب النحو والمنطق والفلسفة والفقه. وقرأ «رسائل اخوان الصفاء» وغيرها من الكتب المفيدة، كما قرأ سير الأنبياء ومطولات التاريخ ودواوين الشعراء. وعنى بمؤلفات الحديث والفقه حتى بلغ في العلوم أعلى الدرجات فارتفعت منزلته في الدين وطارت شهرته في الآفاق. فكان يحلل الحلال ويحرم الحرام. فاقبل عليه طلاب العلم والدين من جميع الجهات فكان يفيد كل من قصده فلا يتكبر على صغير ولا على كبير، متواضعاً تواضع العلماء حتى غص مجلسه بالوافدين من طلاب العلم والمتقاضين، فيحكم بالعدل والقسطاس بين الناس ويمتثل لأحكامه العادلة كل من المتنازعين.

اقترن الأمير عبد الله التنوخي بالسيدة عائشة ابنة الأمير سيف الدين أبي بكر ابن الأمير شهاب الدين أحمد من آل تنوخ. وكانت السيدة عائشة تقية فاضلة تعنى بحفظ القرآن. تقدم إلى خطبتها العديد من أصحاب الوجاهة الأمراء فكانت تعرض عنهم كلهم. فلما تقدم الأمير السيد، على قلة ثروته وماله، أجابت طلبه لأنها كانت تؤثر الدين على الدنيا وهو خير وأبقى.

رزق الأمير من السيدة عائشة التنوخية أربعة بنين. ثلاثة منهم ماتوا صغاراً هم «عبد الخالق وفاطمة ومحمد». أما الرابع فسماه سيف الدين عبد الخالق باسم بكره الذي مات صغيراً، فعاش نحوا من احدى وعشرين سنة، وقتل يوم عرسه برمحة فرس. فحزن عليه والده حزناً شديداً، ولكنه أسلم أمره لله وتصبر صبر المؤمن بالله. فهو الذي أعطى وهو الذي أخذ. وكان والده يعلق عليه الآمال لما كان يتحلى به من فضائل برغم صغر سنه، إذ كان يتصف بصحة العقل والورع والحلم والتهذيب والعفة والذكاء. وعندما توافد

الناس إلى عبيه يعزون الأمير السيد بفقد نجله الحبيب ويواسونه وكلهم مفجوع، كان الأمير المصاب هو الذي يواسيهم بقوله: «سبحان الله، والحمد لله، لا حول ولا قوة إلا بالله. له البقاء الدائم، وهو العليم الحكيم. له الأمر النافذ، وهو الواهب الآخذ. نحمده على ما أولى، ونشكره على ما أبلى. لقد أعطى ومنع، وتكرم وأشبع. منه الامتنان وعليه التكلان وإليه الايمان. هو العظيم الجليل، وأنا العبد الذليل، الواقف بباب الرحمة، أطلب من كرمه النعمة».

ومن كلامه أيضاً في تعزية الناس وتبصيرهم في ارادة الله قوله: «لا فوت من الموت، نحن وأنتم في قبضة المالك، وهو المنجي برحمته من المهالك، فعليكم بقبول أوامره طاعة وصبراً. وطوبى لمن قبل أوامر الله بالطاعة، وركب جواد القناعة، وقيد نفسه بقيد الوراعة، وجعل من حق الموت أمانة الرضى بتسليم الوداعة. أيجوز أن يعترض العبد على ربه في ما أبدع، أو يغضب من قبضه ما أودع، أو يعصي قوله في ما أنبأ به وهو يسمع، أو يظن ان حكم الله وقدره لهما مرد أو مدفع.

أيها الناظرون إلي، أتظنون ان صبري على فقد ولدي الصالح جهالة، أو ترك اعتراضي على القضاء فيه ضلالة، أم اني نسيت منه علمه وحزمه وحلمه وأفضاله، ورفقه وصدقه وصبره واحتماله؟ كلا، ولكن الطاعة مطية من اتقى، والتسليم منارة من ارتقى».

رحل الأمير السيد إلى دمشق رحلتين ومعه ولده الأمير سيف الدين عبد الخالق وأقاما في الحي المعروف (بالشاغور الجواني) نحو اثني عشرة سنة وكان يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر، فكان له محبون ومستفيدون، كما كان له حاسدون. وجرت له مناظرات مع شيخ من مشايخ الميدان في دمشق هو الشيخ أحمد بن أبي قرن ومعه غيره وتحاملوا عليه، ولكن الأمير السيد كشف أمر ذلك الحسد وعززه بالحجج القاطعة والبينات الدامغة، وناضل معه رهط من العلماء. فأظهره الله على حساده وعلت منزلته ومدحه أهل المراتب بالمدائح الحسان.

ثم عاد إلى مسقط رأسه – عبيه – يعظ الناس ويعلم التلاميذ ويقضي بين الناس بالعدل. وأمر ببناء المساجد وبحفظ الكتاب المكرم. وأقام في كل قرية المعلمين يعلمون الأحداث – ونهى عن المسكرات والمحرمات حتى غدا مثالاً يقتدى وأصبح له في كل قرية تلاميذ ومريدون.

ان للأمير السيد لدى الطائفة الدرزية المنزلة السامية لايدانيه فيها أحد، بلغها بزهده وورعه وتقواه وعلمه الغزير.

ألف كتباً جليلة الفائدة عظيمة النفع وهي:

١ – كتاب في السيرة النبوية اسمه: «سياسة الأخيار في شرح كمالات النبي المختار»:

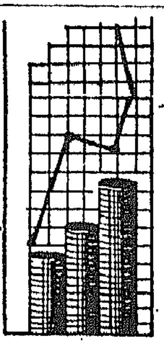
٢ – معجم فريد للغة العربية سماه: «اللغة العرباء».

٣ – «شروحات الأمير السيد» تبلغ أربعة عشر كتاباً مخطوطاً – وهي متفرقة في البيوت. وهي شرح عقيدة التوحيد. وشرح الأمير هذا على بعض رسائل في الدين يفيض بغزارة مادته وتعظيم عمله وتبحره.

وكان باراً بأبناء بلدته محسناً كريماً. لا يميز في عطائه بين أبناء دينه وأبناء سائر الأديان فأوصى ببعض أملاكه وعقاراته وبشيء من غلال أرزاقه لبعض الفقراء. وخص بيت سركيس المجاورين له في السكن في عبيه (بمقعده) أي دار الاستقبال له، فحولوه بعدئذ إلى كنيسة باسم «مار سركيس وباخوس». فضلاً عن مائة حق زيت ومائة شنبل قمح يتناولونها من أملاكه الخاصة كل سنة بحسب ما هو متواتر ومعروف.

وجاء في تقسيم أوقاته انه قسم نهاره ثلاثة أقسام، احدها للقراءة، والثاني للكتابة، والثالث لمصالح الناس. وكذلك قسم الليل ثلاثة أقسام أولها للسهر في تعليم التلاميذ، والثاني للنوم والراحة، والثالث للدعاء والاستغفار.

وصفه معاصروه بانه: «كان كامل الخلقة، قوي الحركة، معتدل السمرة، في عينيه بعض غور. ضامر الصلب والوركين والعرقوبين، في بنية متينة وقامة عدل، حسن الصورة والخصرة، يديم الجلوس لاما يديه ورجليه، شديد الانتباه، وقور المجلس، ثابت الموقف، إذا لبس أسبل، وإذا مشى نصب قامته وغض طرفه وأوسع خطوه. حسن الصوت، عذب النطق، فصيح اللسان، قليل الكلام في غير الحكمة. لا يرى بهجة إلا بربه، ولا يبذل مسعى إلا لقربه. إذا ذكر اسمه ارتجفت أعضاؤه، وإذا ناجاه فاضت من قلبه أضواؤه». ●



رأس المال

● يقصد برأس المال مجموعة الآلات والأدوات والمعدات / والسلع التي صنعها الانسان وتساعده في الانتاج. غير أن التعريف يثير صعاباً معينة، فالهبات الطبيعية مثلاً لا قيمة لها دون أن تمتد يد الانسان إليها لتكييفها بحيث يتسنى له استخدامها في عملية الانتاج «الأرض الزراعية. المعادن الخ».

ويقسم الاقتصاديون رأس المال إلى:

١ — ثابت ويشمل الآلات والأدوات. والمباني التي تسهم في العملية الانتاجية مرة بعد أخرى.

٢ — متداول: وهو الذي لا يستخدم في الانتاج سوى مرة واحدة ومن ذلك المواد الأولية.

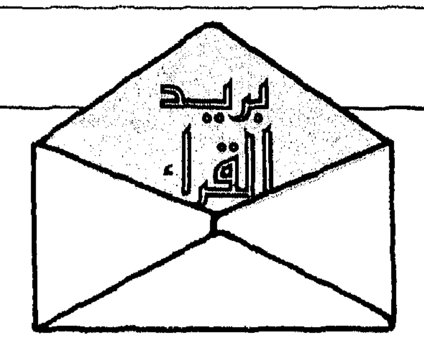
كذلك ينقسم رأس المال إلى عيني وهو السلع المادية والتي تدخل في عملية الانتاج ونقدي ويقصد به مجموع الأموال التي تستخدم في تمويل الانتاج. وهناك أيضاً رأس المال الاجتماعي ورأس المال الخاص.

ورأس المال لا ينشأ بمجرد ظهور تداول السلع والنقود. وانما ينشأ حين يجد ما لك وسائل الانتاج ووسائل العيش في السوق عاملاً حراً يعرض ما يملك من قوة العمل للبيع، وهذا الشرط التاريخي الوحيد يتضمن مرحلة برمتها من التاريخ الكلي. وبهذا فان ظهور رأس المال لأول مرة يشير ببدء عصر جديد في عملية الانتاج الاجتماعية.

ولا ريب أن رأس المال عامل هام في تحقيق التقدم والرفاهية الاقتصادية، ومن هنا أيضاً الصلة الوثيقة بين التكوين الرأسمالي ومستوى الاستهلاك السائد، ويتطلب الأول الحد من الاستهلاك الجاري وفضلاً عن هذا إذا كان متوسط دخول الأفراد ضئيلاً، تضاءلت أيضاً نسبة ما يمكنهم ادخاره.

ويلاحظ أن البلاد المتخلفة تعاني من انخفاض مستوى دخول الأفراد. وهذا الانخفاض مظهر من مظاهر انخفاض انتاجية العمل فيها أو نتيجة ظروف تاريخية مرت بها ولم يكن لها عليها من سلطان. ومن هنا فمن أجل رفع الانتاجية لا بد من تحقيق زيادة في كمية رؤوس الأموال. ويتضمن هذا بوجه خاص زيادة رأس المال الاجتماعي.

غير أن تحقيق هذه الزيادة في كمية رؤوس الأموال يتطلب تخصيص نسبة عالية من الدخل القومي لأغراض الاستثمار، وهذه النسبة قد تصل إلى ٢٠ في المائة من هذا الدخل بل وقد تتجاوز هذا الرقم كما شهدناه في مشروعات التنمية التي نفذت في عدد من بلاد أوروبا الشرقية بعد الحرب العالمية الثانية.



● ادي يبرودي – الذلقا – بيروت.

قدم بعض الاقتراحات لتطوير المجلة وطلب «بأن تتحقق هذه الاقتراحات لانها تساعد على تطوير المجلة التي طالما افتقد العالم اليها ولأنها تجعلها تضاهي المجلات العالمية التي تعني بالتاريخ القديم والمعاصر».

نشكر للأخ ادي يبرودي عاطفته الطيبة ونعده بتحقيق اقتراحاته الايجابية.

● نبيه بدور – السويدا – سوريا.

■ نشكر لك مشاعرك الطيبة مع تحيات اسرة التحرير ونعدك بتحقيق طلبك في اقرب فرصة ممكنة.

● ابراهيم محمد ابو شقرا – كلية الآداب – قسم التاريخ الجامعة اللبنانية.

الف شكر على كل جهد مبذول لامتاعنا واجبارنا على تثقيف انفسنا.

■ نشكرك على شعورك النبيل تجاه المجلة راجين ان نوفق لخدمة امتنا العربية.

● شـهـاب مسهنـا – ذوق مكايل – جونيه.

بدأت بمتابعة مجلتكم العزيزة من أول عدد. واعجبت جداً بما تحتويه من دراسات تاريخية قيمة عن تاريخ العرب والعالم. من اعماق قلبي اشجعكم على المثابرة على هذا الخط المستقيم متمنياً من الله أن يوفقكم.

■ اسرة التحرير تتقدم من الأخ شهاب مهنا باصدق شكرها وتعاهده على مواصلة المسيرة الصعبة.

● صلاح زين الـــدين – بعقلين – لبنان.

يعلن عن استعداده لمراسلة من يريد من هواة الطوابع.

● عبد الله محمد حاج عبدو – حلب – سوريا.

■ الموضوع الذي ارسلته محاولة طيبة وقسم التحرير بصدد تقييمه لنشره في أقرب فرصة. شكراً على مساهمتك ونرحب بك صديقاً للمجلة.

● اسامه رضا.

■ وصلتنا رسالة من الأخ اسامه رضا – صور. لبنان الجنوبي. ينوه فيها بدور المجلة الرائد ويذكّر بقضايا مهمة تدور في فلك مشكلة الجنوب اللبناني: صورة واضحة لواقعه. شخصيات منه. مسببات أزمته.. وذلك بنفس البطل المتألم. واللبناني الجريح. طالباً الاهتمام بها في موضوعات المجلة.

■ أخ اسامة..

نشكركم على رسالتكم أولاً. ونؤكد لكم ان الجنوب قضيتنا جميعاً. واننا نهتم بذلك من وجهة عملنا: أحداث محلية وعالمية لها اتصال بما يحصل في لبنان عامة وفي جنوبه خاصة. دون التطرق لذلك مباشرة. فالعناية بالحدث الآني ليس من اهتمامنا المباشر. لكن هذا لا يمنع أن نفصل هذه المشكلة الخطيرة في مواضيع آتية. باذن الله.

برج العقرب

٢٤ تشرين الأول

اكتوبر/٢٢/ تشرين الثاني - نوفمبر

● يعرف هذا البرج في أوساط علماء التنجيم الفلكي ببرج «العقرب والنسر» وهما الصفتان اللتان تطبعان تصرفات مواليد هذا البرج أي التجدد الدائم والصفاء في العمل. ولا تعرف الحضارة التي أطلقت هذين الاسمين على برج العقرب، مع العلم أن العلماء والسحرة في مصر القديمة كانوا يعتبرونه أنحس البروج الفلكية الاثني عشر. فقد اعتقدوا، ربما بسبب تكرار الصدف، ان الطاعون والأمراض على اختلافها تنتشر في البلاد على نطاق واسع عندما تمر الشمس في برج العقرب. من هنا كان اسم البرج مستوحي من أنحس الزحافات الصغيرة واخطرها على الإنسان في مختلف البيئات الطبيعية. ويعتقد أن هذا الرأي كان سائداً منذ عهد الأسر الفرعونية الأولى الحاكمة في زمن الدولة القديمة (٣٢٠٠ق.م-٢١١١ق.م).

ان مجموعة النجوم التي تشكل برج العقرب تضم بشكل خاص نجمة ساطعة أكثر من غيرها عرفت باسم «Antares» أي قلب العقرب ويحدد علماء الفلك قطر دائرتها بأكبر من قطر الشمس بـ ٤٠٠ مرة يظهر مواليد هذا البرج، خاصة الذين تخطوا العقد الرابع من عمرهم استعداداً كبيراً لتخطي كل أنواع العقبات ويجهدون لرسم حياة جديدة لهم. إنها الدورة الأبدية لشروق النور الساطع من رحم النار اللاهبة.

ما يميزهم عن غيرهم هو حيويتهم الفياضة التي تكسو كل عمل ونشاط يقومون به، بدنياً كان أم فكرياً، بالاضافة إلى عواطفهم الحادة والعميقة.

ومن هنا نفهم لماذا يربط علماء التنجيم الفلكي بين العقرب والنسر أي بين الصفتين المتلازمتين لمواليد هذا البرج وهما الطبع الفائض الحيوية (مثال حركة العقرب في الاتجاهات المتعددة) والطبع المثالي الطموح (مثال إنطلاق النسر وتحليقه الدائم في العلى).

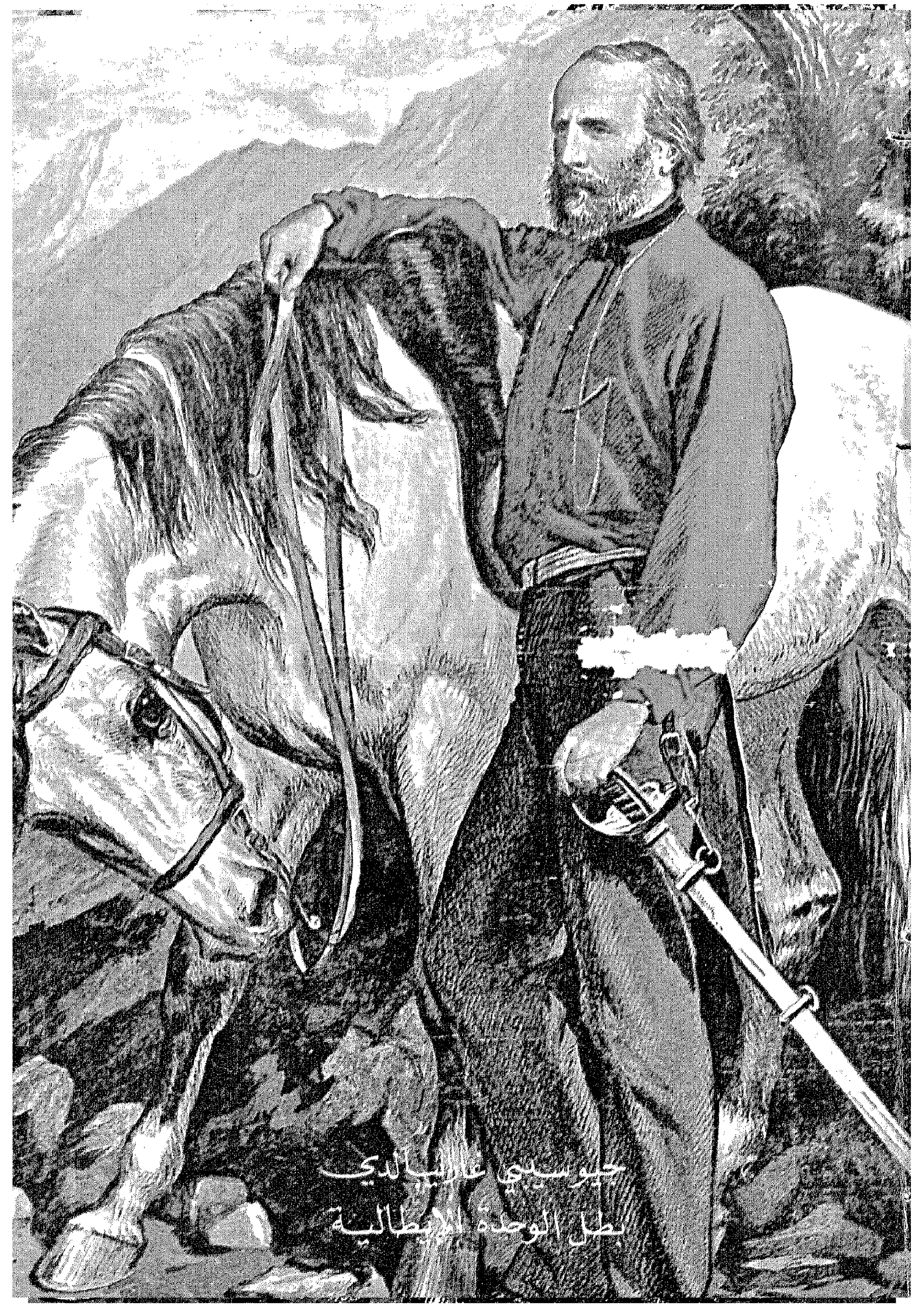
إن كل الدلائل تشير إلى عكس الرأي السائد والقائل بأن برج العقرب هو أسوأ البروج الفلكية. ذلك أن مواليد هذا البرج، بفضل طبعهم المتحفز هذا ينجحون عادة في مواجهة الظروف العادية والاستثنائية وهم في معظم ما يقومون به قليلاً ما يجنحون نحو الاعمال المسيئة للنفس وللغير، ولكن إذا اخطأوا التصرف، يظهر هذا الخطأ للناس فادحاً وكبيراً وذلك بسبب طبيعة «دوي العقرب» الفياضة.

وبالنتيجة تكون اعمالهم الناجحة ناجحة بشكل باهر وأعمالهم الفاشلة فاشلة بشكل ذريع. وفي الحالتين يبدر عنهم تصرفات متسرعة ومليئة بالتشنج والتوتر. وهم يعرفون ذلك تماماً ولكن يصعب عليهم السيطرة عليها إلا بعد فوات الأوان. وهذا ما يدفعهم إلى ايثار الكتمان والانزواء في بعض الأحيان حتى الانتهاء من العمل الذي يقومون به. كما أنهم لا يأبهون بما يقوله الأصدقاء الذين لا يستوعبون، في معظمهم، مغزى العمل إلا بعد انجازه.

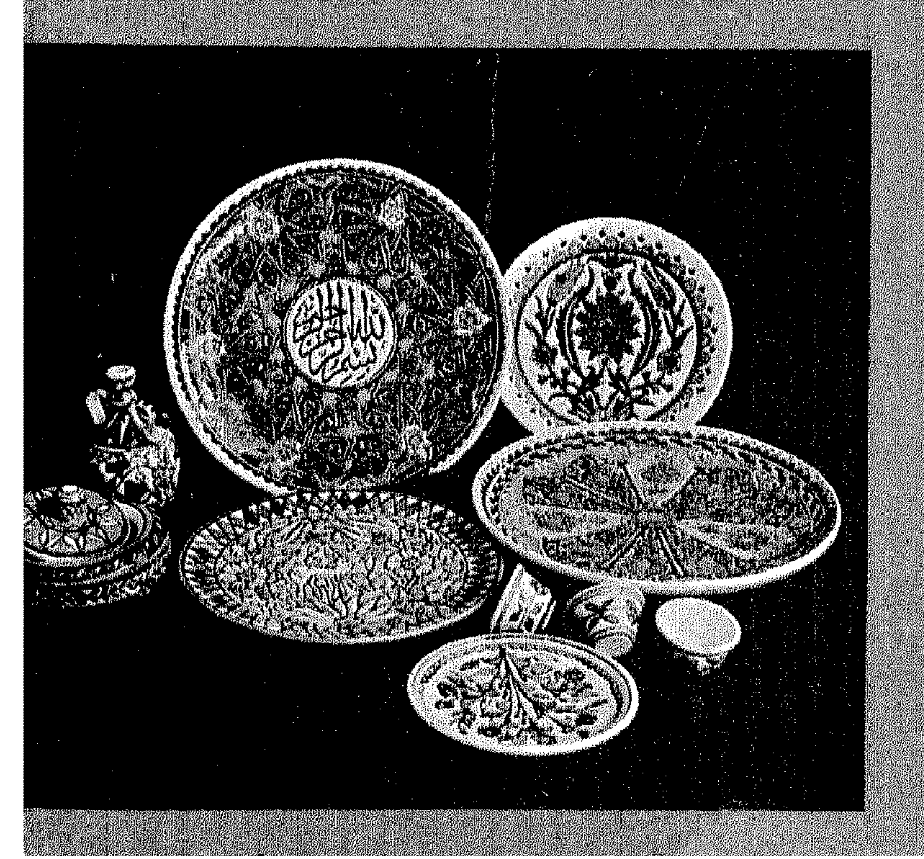
إستناداً إلى أبحاث العلماء فان برج العقرب له تأثير مباشر في ناحية محدودة من الجسم البشري هي الأعضاء التناسلية.

من الشخصيات العالمية المشهورة في التاريخ القديم والحديث والمولودة تحت برج العقرب، نذكر:

رئيسة وزراء الهند السابقة انديرا غاندي. السياسي الأميركي روبرت كينيدي (١٩٢٥-١٩٦٨) - زعيم الهند جواهر لال نهرو- الرئيس الأميركي تيودور روزفلت (١٩٠١ - ١٩٠٩)، الجنرال شارل ديغول، الملكة ماري انطوانيت زوجة لويس السادس عشر- المستشرق البريطاني ريتشارد بورتون (١٨٢١ - ١٨٩٠) وهو الذي ترجم كتاب «ألف ليلة وليلة» إلى الإنكليزية، العالمة الكيمائية البولندية الأصل ماري كوري (١٨٦٧ - ١٩٣٤) الفيلسوف الفرنسي فولتير- الكاتبة البريطانية جورج إيليوت (١٨١٩ - ١٨٨٠). ●



جيوسيبي غاريبالدي
بطل الوحدة الإيطالية



من المصنوعات الحرفية
الفلسطينية الشهيرة
(راجع مقالة
"تاريخ الفنون الشعبية
في فلسطين" ص ٥٠)